رسائل ابن عربي

كتاب التنبيهات وكشف الستر
وتبصرة الطالب ورسائل أخرى

(٦)

تحقيق وتقديم
قاسم محمد عباس

الانتشار العربي

تحقيق
قاسم محمد عباس

رسائل ابن عربي

كتاب التنبيهات وكشف الستر
وتبصرة الطالب ورسائل أخرى

محيي الدين بن عربي
٥٦٠ - ٦٣٨ هـ

الانتشار العربي
Arab Diffusion Company

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

رسائل ابن عربي

كتاب التنبيهات وكشف الستر
وتبصرة الطالب ورسائل أخرى

تحقيق وتقديم
قاسم محمد عباس

المجلد السادس

ص.ب. 113/5752

E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت-لبنان
هاتف: ٦٥٩١٤٨-٩٦١١ فاكس: ٦٥٩١٥٠-٩٦١١

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

الفهرست

تمهيد ٩
موضوعات الرسائل ١٣
الخطوات التي قمنا بها لتحقيق هذه الرسائل ٢٣

كشف الستر لأهل السرّ

التحقيق ٢٧
التملكات ٢٩

رسالة الوقت والآن

التحقيق ٤٧

كتاب الهُوَ

التحقيق ٥٥
وصف النسخة ٥٦
التملكات ٥٦
ـ الثانية ٥٦
وصف النسخة ٥٧
التملكات ٥٧
وبه ثقتي وعليه اعتمادي. ٥٩

المعلوم من عقائد
أهل الرسوم

التحقيق ٧٣
وصف النسخة ٧٤
[قال الشاهد] ٧٧
الفصل الأول: في معرفة العلم الحامل القائم بلسان المغربي ٧٩

المحتويات

الفصل الثاني: في معرفة الحامل المحمول اللازم بلسان المشرقي ٨١
الفصل الثالث: في معرفة الإبداع والتركيب باللسان الشامي ٨٣
الفصل الرابع: في معرفة التلخيص والترتيب باللسان اليمني ٨٥

الاتحاد الكوني
في حضرة الإشهاد العيني

التحقيق ٨٩
وصف النسخة ٨٩
خطبة المطوقة الورقاء ١٠٠
خطبة العقاب المالك ١٠٢
خطبة الغريبة العنقاء ١٠٤
خطبة الغراب الحالك ١٠٤

تبصرة الطالب وطالبة القارب
إلى موطن الغرائب والعجائب

التحقيق ١٠٩

رسالة التنبيهات

التحقيق ١٢٣
وصف النسخة ١٢٣
التنبيه الأول ١٢٥
التنبيه الثاني ١٢٥
التنبيه الثالث ١٢٦
التنبيه الرابع ١٢٦
التنبيه الخامس ١٢٧
التنبيه السادس ١٢٧
التنبيه السابع ١٢٨
التنبيه الثامن ١٢٩
التنبيه التاسع ١٣٠
التنبيه العاشر ١٣١
التنبيه الحادي عشر ١٣٢
التنبيه الثاني عشر ١٣٣
التنبيه الثالث عشر ١٣٣
التنبيه الرابع عشر ١٣٤
التنبيه الخامس عشر ١٣٤

المحتويات

التنبيه السادس عشر ١٣٥
التنبيه السابع عشر ١٣٥
التنبيه الثامن عشر ١٣٦
التنبيه التاسع عشر ١٣٧
التنبيه العشرون ١٣٧
التنبيه الحادي والعشرون ١٣٧
التنبيه الثاني والعشرون ١٣٨
التنبيه الثالث والعشرون ١٣٨
التنبيه الرابع والعشرون ١٣٩
التنبيه الخامس والعشرون ١٤٠
التنبيه السادس والعشرون ١٤٠
التنبيه السابع والعشرون ١٤١
التنبيه الثامن والعشرون ١٤٢
التنبيه التاسع والعشرون ١٤٢
التنبيه الثلاثون ١٤٣
التنبيه الحادي والثلاثون ١٤٤
التنبيه الثاني والثلاثون ١٤٥
التنبيه الثالث والثلاثون ١٤٥
التنبيه الرابع والثلاثون ١٤٥
التنبيه الخامس والثلاثون ١٤٦
فصل ١٤٧

رسالة الاستعداد الكلي
كتاب الخلوة

تحقيق ١٥١
بيان وإيضاح ١٥٥
باب ما ينبغي أن يكون صاحب الخلوة ١٥٦
باب ذكر الخلوة المطلقة ١٥٦
خلوة الهدهد ١٦٠
خلوة الصمدانية ١٦٠
خلوة العزيز ١٦٠

المحتويات

رسالة نسبة
الخرقة وشروطها

التحقيق ١٦٥
فصل بلا وصل ١٧٢

حزب الأحدية

التحقيق ١٧٧
وصف النسخة ١٧٧

كتاب
التنزلات الموصلية

التحقيق ١٨٥
في سر وضع الشريعة ١٨٨
في معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه ١٨٨
في معرفة مقام الرسالة، ومقام الرسول من حيث هو رسول، ومن أين نودي وأين مقام، والخلافة والنبوة والولاية والإيمان، والعالم والجاهل، والظان والشاك والمقلدين لهم ١٨٩
في تلقي الرسالة وشروطها وأحكامها ١٨٩
في معرفة تلقي الرسالة الثانية الموروثة من النبوة ١٩٠
من التنزلات في معرفة النية والفرق بينهما وبين الإرادة والقصد والهمة والعزم والهاجس ١٩٠
في معرفة أسرار التكبير ١٩١
في إسرائه مع المخاطبة بآدم عليه السلام ١٩٣
في بيان الصلاة الوسطى، أي صلاة هي ولماذا سميت بالوسطى؟ ١٩٤
وفي معنى قوله: والذين هم على صلاتهم دائمون ١٩٤

رسالة المحبة

التحقيق ١٩٩

رسالة المرائي
المسماة بالمبشرات

التحقيق ٢٠٧
وصف النسخة ٢٠٧

منهج البيان
لأهل الرضوان

التحقيق ٢١٩
مصادر ومراجع المقدمة والتحقيق ٢٢٣

تمهيد

كان اختيار هذه الرسائل دون غيرها من النصوص التي أتيح لنا العثور عليها ودراستها، اختياراً مستنداً إلى دوافع عديدة أهمها: إن الموضوعات التي يتناولها ابن عربي في هذه الرسائل تمثل امتداداً حقيقياً لمشروعه الوجودي والمعرفي، فضلاً عن أنها تقدم للنشر للمرة الأولى، وهي أيضاً تتمحور حول رؤية الوجود، رؤية ذات طابع أحادي يتركز حول وجود اللّه، لتثير بشكل واسع إشكالية الذات الإلهية والعالم من جهة، والعالم والإنسان من جهة أخرى، وهي لا تنفصل بأي حال من الأحوال عن الموقف الأول الذي أعلنه ابن عربي في مشروعه الأساسي فصوص الحكم تحديداً، عندما بدأ اندفاعته الحادة التي شكلت خروجه الجديد على الفكرة الإسلامية السائدة، مختصراً بذلك صيحات الصوفية قبله وشطحاتهم العاطفية إلى منظور جديد، مستمداً رؤاه ومواقفه من المدوّنة الشرعية والفلسفية، ومن التراث الصوفي السابق عليه، لذا جاءت أول معارضة لهذا المنظور الجديد من قبل الفقهاء والعلماء المتزمتين، الذين أكدوا طرد ابن عربي من الحضيرة الإسلامية، بالاستناد إلى الآراء التي أعلنها دون تردد في كتابه فصوص الحكم.

إن رسائل هذا الكتاب هي تتمة لطروحات ابن عربي التي تناولها في فصوص الحكم، بل تؤكدها وتفصّل في محدداتها، لتشكل في النهاية حلقة إضافية من حلقات نظريته المعرفية، وتسهم في الوقت نفسه في تقديم موقف دقيق ومركز لأفكار ابن عربي الإشكالية، وتوضح لنا تلك الكيفية التي تجاوز فيها ابن عربي كل المتناقضات العقائدية، لينتج بعد ذلك الموقف التحديثي الفاعل، الذي أسسه داخل التفكير الإسلامي، هذا الموقف الذي تمكّن فيه من التملص من كل الإلزامات المتعارضة بين الشرع والتجربة، نكتشف بوضوح أنه الشارع الأعظم حقيقة للفكر الصوفي الإسلامي، وحلقة الوصل

الحساسة بين مرحلتين فكريتين، بفهم بلورته لكل التراث السابق عليه، ومن ثم إحالته إلى رؤية صوفية فلسفية قوامها استشراف الحقائق الباطنية، عبر منهج ذوقي كشفي يؤدي إلى: أن لا موجود إلاّ اللّه، وما الكثرة الظاهرة في الوجود إلاّ وهم في جوهرها.

وإذا ما حدَّدنا بأن رسائل هذا المجلد من موسوعة ابن عربي تتوزع على مفاصل متعددة في فكر ابن عربي، فإنما تتركز ضمن المنظور العام داخل بؤرة مركزية نعني بها فهم ابن عربي لوحدة الوجود، إذ أنه يستمد كل ما لديه من إمكانات معرفية وذوقية وبيانية للذهاب بموقفه إلى أقصاه، وهو يحاول اقتناص رؤيته الصوفية المنفلتة، الرؤية العصية عل الإعلان عبر الحرف واللغة، ليعلن صراحة عن التماثل بين اللّه والإنسان، ذلك التماثل الذي يعجز العقل عن إدراكه.

وبالاستفادة من ثقافته الموسوعية، ورؤيته الباطنية، وحلّه لبعض الإشكاليات المزمنة عند الفلاسفة والمتكلمين حلاً وسطياً، استطاع أن يمنح الوجود معناه الحقيقي بالاستناد إلى ثنائية حادة، تقوم أحياناً على الجمع بين وحدة الوجود وثنائيته، وأحياناً أُخر على الجزم بوحدة الوجود الصريحة، ليُرجع هذا التعدد في الوجود إلى الواحد الذي يشكل المرتبة الأصل، مثلما يتضح ذلك في رسائل (كشف الستر) و(كتاب الهو) و(تبصرة الطالب) وغيرها، ورسائل أخرى يمكن عدُّها من أهم رسائل ابن عربي حول الإنسان الكامل والحقيقة المحمدية مثل رسالة (التنبيهات) ورسالة (التنزلات)، وتناول في رسائل أخرى مجال الإلهيات، ونشأة الكون ومراتب الوجود والزمان الصوفي، ومراتب سلوك الطريق الصوفي، ومجمل مكونات نظريته الروحية.

إن القارىء سيجد نفسه إزاء فلسفة تفضي إلى رؤية الوجود، رؤية باطنية جوانية تتحقق من الأمر على ما هو عليه لا كما تتعامل معها الحواس، وفق منهج ذوقي يتجاوز الاستدلال، في الوقت الذي نرى فيه ابن عربي لم يتوقف عن محاولة عقلنة نتائج تجربته القائمة على الحس الباطني، والإدراك الذوقي، بسبب مواجهته لإشكاليات معقدة في الوجود والمعرفة.

تهيىء لنا رسائل هذا المجلد الاقتراب من البنية الفلسفية الخاصة بابن عربي، وهو يقوم بعبء تحديد آليات التفكير في الذات الإلهية، والإنسان، والعالم، بعيداً عن الحضور المادي للأشياء، هذا الحضور المضلل في نظره؛ لأنه حضور يخفي الحقائق الأزلية وراءه،

ومن ثم المحاولة لردم المسافة الفاصلة بين الداخل والخارج، والظاهر والباطن، وباقي المتضادات، بفهم أن جوهرها واحد، فنجد أن ابن عربي يستند إلى استراتيجية تعبير الرؤى القائمة على الخيال، التي يمكن أن نلامسها بدقة في هذه الرسائل.

إن رغبتنا في نشر هذه الرسائل تأتي إسهاماً في إتمام موسوعة ابن عربي التي بدأت برسائل المجلد الأول من هذه الموسوعة، بهدف توفير مكتبة متكاملة تسهم بوضوح في قراءة أعمال ابن عربي، وعليه ينبغي القول هنا إننا لم ندخر أي جهد لإظهار هذه الرسائل التي نرجّح أنها كتبت في مراحل متفاوتة من مسيرة هذا الصوفي، الذي كتب بعضها في فترة استقراره بدمشق بعد عام ٦٢٧هـ، وهي ولا شك منعطفاً حاداً في فكر ابن عربي بشكل خاص، ومفاصل مهمة في الفكر الصوفي الإسلامي بشكل عام.

موضوعات الرسائل

تشكل موضوعة «اللّه/الإنسان» المجال الحيوي في فكر «ابن عربي»، وتأتي نصوص هذا الكتاب لتكشف عن البؤرة المركزية في هذا المجال، التي تستند إلى مستويين متعارضين، تنهض بينهما علاقة أثارت جملة من الأسئلة داخل الحقل الديني والأخلاقي، لخطورة نتائج هذه العلاقة على فكر الجماعة. وقبل تحديد مستويي هذه العلاقة، تتوجب الإشارة إلى أننا لا نبحث في نفي شرعية هذه العلاقة أو تأكيدها، وإنما نحاول أن نتلمس جذورها داخل نصوص هذا الكتاب، والاحتكاك بكيفية التماثل الذي تؤكده النصوص بين طرفي العلاقة، لغرض الوصول إلى محدداتها البعيدة، خاصة أن هذه النصوص تنضوي تحت عنوان هذه العلاقة بلا تعسف، وليس لنا أن نتعامل مع ما نتناوله هنا باعتباره تصورات نهائية، وإنما هي إجراءات اقترحناها لغرض إعلان مضامين نصوص هذا الكتاب.

وما يجب أن ننبه إليه قبل كل شيء، هو كيفية التعامل مع ـ المعضلة الاصطلاحية ـ التي تشارك بمساحة كبيرة في إزالة إشكالية هذه العلاقة التي بين اللّه والإنسان، لاشتغال هذه الاصطلاحية داخل نظام لا يمكن أن نشابهه مع نظير قاموسي متداول يوجهها حرفياً، لأننا بذلك سنوسع الإشكالية، ونضيف إليها قدراً أكبر من التعقيد، لذا لا بدّ من الرجوع إلى قاموس «ابن عربي»، الذي سنستخدمه كما هو لضرورات تقنية، الشيء الذي يمكن أن يمنحنا موقفاً مفتوحاً إلى حدّ ما للتعامل مع جهاز اصطلاحي يحتمل التعارض والتماثل، الموقف الذي تنبني عليه قوام هذه العلاقة المستندة إلى ثنائية تتجلى في أكثر من مستوى، ففي الوقت الذي يتكوّن فيه «الإنسان» على الصورة الإلهية، تتحدد «حقيقته» وفق النظرة الصوفية لحديث خلق (آدم)[1]، وعندما يتشكل هذا «الإنسان» على صورة الكون والجامع

(١) «إن اللّه خلق آدم على صورته»، شرح الجامع الصغير، ٤٤٧/٣.

لحقائقه، تتحدد «طبيعته» البدنية العنصرية وفق النظرة ذاتها.

ولا يعني ذلك أن ثمة مقابلة ضدية تقوم إجرائياً، بسبب التقابل بين (الحق والخلق) و(الظاهر والباطن) و(الأول والآخر)؛ لأن النصّين المحوريين في الكتاب ونعني بهما: «رسالة كشف الستر» و«كتاب الهُوَ» يؤكدان على إقصاء أية اثنينية، وإذا ما بدت الوحدة القائمة في فكر «ابن عربي» في بعض وجوهها على أنها اثنينية، فإن ذلك يحدث اعتبارياً فقط، والذي يؤكد هذه الاعتبارية، تلك الكيفية التي يقوم بها طرفا العلاقة بالدخول والخروج إلى المكان الفاصل الجامع المتكون منهما في الأساس، المكان الذي يمكننا نعته بالمنطقة البرزخية الجامعة والفاصلة للاثنين في الوقت نفسه.

ولما كان الإنسان في المستوى الأول هو مثلٌ للّه وخليفته، باعتباره المجلى الوحيد للكمالات الإلهية، والجامع لحقائق الأسماء الإلهية، وهو موجود أول بهذه الصفة؛ لأنه: «جمعية صور الربوبية، والحقائق الوجوبية التي مادتها وهيولاها عماء الرب، والحقيقة الفعالة، لها أحدية جمع ذات الألوهية، وظاهرها الطبيعة الكلية، التي يُعبّر عنها في مشرب التحقيق بالحقيقة الإلهية الكلية [كشف الستر]؛ فإنه على المستوى الثاني، مخالف للّه وضد له، وموجود آخر باعتباره: «حقيقة مقيدة، سافلة متكثرة، قابلة للوجود من الحقيقة الواجبة» [كشف الستر].

إن آلية الجمع التي يتداخل فيها المستويان المحددان بـ «حقيقة» الإنسان و«طبيعته»، لا تنهض على هذا التضاد، بمنظور أن العالم بكل مراتبه هو مظاهر لحقائق الألوهة ومجاليها، وهذه الحقائق والمجالي متفرقة في العالم الممكن بذاته الواجب بغيره، فإننا نجد مجلاها في المظهر الكلي، الذي يمثل: «حقيقة أحدية جامعة بين الإطلاق والتقيّد، والفعل والانفعال، والتأثر والتأثير، فهي مطلقة من وجه ونسبة، ومقيدة من أخرى، فعالة من وجه، منفعلة من آخر، وهذه الحقيقة هي أحدية جمع الحقيقتين، ولها مرتبة الأولية الكبرى، والأخروية العظمى، والبرزخية الشاملة المثلى، وهي للبرزخ الجامع والإنسان الكامل» [كشف الستر].

بسبب أن النشأة الإنسانية هي أسمى مظهر للجمعية الإلهية المتكونة من الأسماء والصفات، وعبر هذه النشأة تتجلى الصفات المتفرقة في العالم: وهي الذات الإلهية ـ متصفة بالأسماء ـ وحقيقة الحقائق ـ العقل الأول عند «أفلوطين» ـ، والطبيعة الكلية، ومن ثم الجانب العنصري ـ الجسم البشري: «النشأة الحاملة لهذه الأوصاف»[1]، فالإنسان المتكوّن من:

(١) فصوص الحكم، ٤٨، تعليق «أبو العلا عفيفي»، ٣/١٠.

«جسم» و«طبيعة» و«عقل» و«روح»، هو طبيعة رباعية لا تدانيها صفات أي كائن آخر، هي النشأة التي استحقت الخلافة عن اللّه. يمكن أن نلمس تعهد فكر «ابن عربي» للأخذ بالمستويين المتعارضين، كموقف ينظم تعارضهما، ومن ثم المرور عبرهما، مكوناً بهذا المفهوم الجمعي الفصلي «البرزخ» وحدة «تضاد/تماثل» هي المحدد الأساس لتفكيره، بتصور جمع الإنسان لحقائق الألوهة وحقائق العالم، لغرض إزالة التعارض، بمنطق أن الجانب الأول لا يلغي الجانب الثاني، ولا يقصيه، لأنه هو هو، بانتظام معرفته لنفسه: «فمتى عرفت نفسك، ارتفعت أنانيتك، وعرفت أنك لم تكن غير اللّه سبحانه، فإن كان لك وجود مستقل، لا تحتاج إلى الفناء، ولا إلى معرفة النفس، فتكون رباً سواه، تعالى اللّه أن يوجد ربّ سواه» [كتاب الهوّ].

فهي إذن هيمنة للتماثل على ما سواه، وطبيعة المعضلة لا تبرز على المستوى الوجودي المحض، وإنما تقوم إشكالية التضاد على المستوى المعرفي في: «آحاد النوع الإنساني، حينما يتجاهل الإنسان أحد جانبيه، ويرى أحدهما ويركز عليه[1]، يتشكل إذن مفهوم «اللّه/الإنسان» أو «الحق/الخلق» بفهم أن لا موجود إلاّ اللّه، هو الوجود كله، ولا موجود سواه، وعليه فوجوده مطلق أزلي، وهو إله واحد لا ثاني له، والعالم والموجودات موجودة به، فذاته مجردة عن النسب والإضافات، وهي سارية في ذوات جميع الموجودات، مع أنها ذات مجردة عن كل وصف ونسبة»

«كما يجب وجوده، يجب عدم ما سواه، فإن الذي يظن أنه سواه، ليس سواه، لأنه منزّه أن يكون غيره، بل غيره هو، بلا غيرية الغير، مع وجود في وجوده ظاهراً وباطناً» [كتاب الهو]. فيؤكد «ابن عربي» على المسافة الفاصلة، غير القابلة للاختراق، تلك المسافة التي تبعد اللّه عن مثل أو شبه، فنواجه تلك الحقيقة الوجودية الواحدة، المتمثلة بجذر المستويين اللذين يمنحان الإنسان أن يكون قوام تلك الوحدة، لأن اللّه أحب أن يُعرف بصورة غيرية، فأظهر الإنسان، فكان المخلوق الوحيد الذي امتاز بمعرفة ربه أكثر من غيره: «كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أُعرف، فخلقت الخلق فبه عرفوني»، تتوضح الغاية من الإنسان، إذ هي رغبة اللّه في أن يرى نفسه في صورة تتجلى فيها صفاته وأسماؤه، أي أن يرى نفسه في مرآة العالم[2]، وعلى الرغم من تشكيل العالم لوفرة من الكيانات المنفصلة، المرئية، المتفرقة من ذات واحدة في كثرة شكلية غير حقيقية، فإن هذه الكثرة توصف بالخيال أو الوهم الذي يتجلى العالم من خلاله

(١) فلسفة التأويل، ١٩٥ ـ ٢٠٠.

(٢) فصوص الحكم، ٢: ٧ ـ تعليق الفص الآدمي.

حيث: «جاز أن يكون وجودك وجوده، ووجود جميع الأشياء من المكونات ـ من الأعراض والجواهر ـ وجوده، متى ظهر سر ذرة من الذرات، ظهر سر جميع المكونات الظاهرة والباطنة، ولا ترى الذرات سوى اللّه، بل وجود الذرات اسمها ومسماها» [كتاب الهو]، بيد أن مواضع التجربة التي يظل فيها «الحق/الخلق» تشكل أوجه علاقة تتماهى مع صفات أخرى ثنائية أيضاً: «المطلق/المقيد» و«الواجب/الممكن» و«التنزيه/التشبيه» و«الواحد/الكثير»، فيترتب انقلاب بينهما بفهم أن الوفرة المفرطة لأحد طرفي الثنائية تشكل نقصاً للآخر، ويمكن أن تثبت في آناتها رغم التضاد، عبر سريان أحدهما في الآخر؛ لأن كل واحد من الطرفين يبقى مسكوناً بالآخر، فمن أراد ـ مثلاً ـ أن يعرفه في التنزيه وحده، لا يمكن أن يحيط بمعرفته، ومن أراد معرفته، عبر وسائل التشبيه، لا يمكن أن يجد طريقاً إلى رؤيته، فلا يعرف حقيقته إلاّ هو:

ونـــزهّـــه وشـــبّـــهـــه ... وَقُـــمْ فـــي الـــمـــقـــعـــدِ الـــصـــدقِ
وكـــنْ فـــي الـــجـــمـــع إن شـــئـــت ... وإنْ شـــئـــت فـــفـــي الـــفـــرقِ

[كشف الستر]

لنتمكن من القول إن محاولة بلوغ المعرفة الحقيقية، تتحدد في رؤيته الشاملة بالجمع بين ضديه، بحيث تتوفر معرفته بصورة شاملة «الإجمال»، لاستحالة التعرّف إليه في «التفصيل»، لأنه يشكل اللامحدود واللامتشكل المائل في كل شكل[1]، وهو الباطن القائم في كل ظاهر.

يتأسس أسلوب التفكير هذا في نصي «كشف الستر» و«كتاب الهو» على امتداد مساحتيهما، حيث نخلص إلى معرفة اللّه المقيمة في ذات الإنسان: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»... فإذا العارف والمعروف واحد، والواصل والموصول واحد، والرائي والمرئي واحد... العارف صفته، والمعروف ذاته... فمن هذا عُلِمَ أنه لا وصل ولا فصل، وعلم أن العارف هو المعروف، والرائي هو المرئي، والواصل هو الموصول، وما وصل إليه غيره، وما انفصل عنه غيره» [كتاب الهو]. الإعلان هنا أن الإنسان هو شكله، وأنه هو نفس الإنسان، بفهم أن الإنسان بالنسبة إليه يقابل الهيئة البدنية للإنسان، ليمارس اللّه في الإنسان دوره، إذ أنه الروح التي تنظم شكله البدني، الإطار المحدد المحتوي للظاهر والباطن، اللذين يشكلان الذات الإنسانية، أما الصورة البدنية التي ستقصى خارج الفناء، بعد خروج الروح منها، فلن تكون شبيهة بأي شكل آخر، لانعدام فنائها وبقائها، أو وجودها في الأساس؛ لأن: «إضافة معرفة اللّه إلى فناء الوجود، وفناء الفناء... غلط محض، وسهو واضح، فإن معرفة اللّه تعالى

(١) الصورة والغيب، ١٤٢.

لا تحتاج إلى فناء الوجود، ولا إلى فناء فنائه، لأن الأشياء لا وجود لها، وما لا موجود له لا فناء له، فإن الفناء بعد إثبات الوجود» [كتاب الهو]، إذن المعضلة معرفية، ويمكن أن نصف مراتب الوجود أيضاً بنسبة من المعرفة، التي تتناسب مع مرتبتها الوجودية من جهة، ومع قدرها من الصفاء والكدورة من جهة أخرى[1]، ولما كان الإنسان هو الوحيد المحتوي على بعدين متناقضين، فإن الوقوف عند البعد المادي، يؤدي إلى الضياع والكفر، والهبوط إلى سفلية الحيوانات والجمادات، مثلما يمكن أن يدفعه الوقوف عند البعد الإلهي فيه إلى ادعاء الألوهية، لنفهم أن قيام أحد البعدين لوحده يعارض الغرض الإلهي الأول من إخراج الوجود من خزائن العلم الإلهي الباطن إلى الصورة الظاهرة المتمثلة بالكون، ولذا فإن الوجود بمراتبه المتعددة يتراكم على الحقيقة الإلهية الباطنة، وفي الوقت نفسه تتكدس هذه المراتب في الإنسان ظاهراً، مثلما تتركز في باطنه كل حقائق الألوهة، ومن هنا برزت حاجة المعرفة عند الإنسان لإزالة هذا التعارض الناشيء بين ظاهره وباطنه، عن طريق معراجه للوصول إلى المعرفة الحقة، وبالنظر إلى هذه المراتب المتراكمة، نجدها تنفصل إلى مجموعتين: الأولى: مرتبة خيالية، هي في جذرها الأول التماثل الإلهي في الخيال المطلق «مراتب برزخية» والثانية: مراتب تقوم على أساس رباعي تتضمن «البرزخ المطلق» و«عالم الأمر» و«عالم الخلق» و«عالم الكون والاستحالة». وينهض كل عالم من هذه العوالم على أساس رباعي أيضاً، وهنا يؤسس «ابن عربي» فهمه للإنسان بتصور جمعه لهاتين المجموعتين، وما يتفرغ منهما. بمعنى آخر أن وجود الإنسان يتميز بموقع برزخي من جهة، ويتميز بأساس رباعي من حيث حقيقته الإلهية الكونية من جهة أخرى، وكأن هذا التصور الرباعي المساحة الفاعلة داخل نص «الاتحاد الكوني»، النص الذي يدخل إلى «عالم الأمر» من أبعاده الرباعية، التي تلخص لنا فكرة التربيع في فكر «ابن عربي» إذ أن العالم من حيث حقيقته قام على أربعة أركان في صورته الجسمية والروحانية، فهو من حيث طبيعته وروحه مربع. فعن طريق أم وأب وعلاقة تفاعل «نكاح» ظهرت الرحمة الإلهية من أربعة وجوه، بتصورنا للرحمة التي هي بمعنى منح اللّه الوجود للأشياء[2].

يحدد «ابن عربي» مكونات «عالم الأمر» بمسميات اجترحها من خارج الحقل الصوفي، ولهذه المسميات: ـ «العقاب» و«الورقاء» و«العنقاء» و«الغراب» ـ خيارات تتطابق مع الوصف

(١) فلسفة التأويل، ١٩٥ ـ ١٩٧.

(٢) فصوص الحكم، ٢: ١١، «التعليقات».

الأول لها، وتضيف إليها وظائف جديدة أدق فاعلية، إذ أن مسمياتها الأولى: «العقل الأول» و«النفس الكلية» و«الهيولى» و«الجسم الكلي» هي ذاتها الطيور الأربعة الروحانية ـ مراتب عالم الأمر ـ إن منح «ابن عربي» أسماء أخرى جديدة لمراتب «عالم الأمر» تشتغل داخل النظام الاصطلاحي ـ الضيق التداول ـ أكد على علاقة التفاعل بين هذه المراتب، التي يمكن أن تتماثل مع علاقة (آدم) (بحواء): فآدم هو الموجود الأول على المستوى الإنساني، ثم خلقت حواء من جزء منه، فتناكحا، فأولدها توأمين فتناكحا بدورهما لتستمر دورة الحياة، ومثل هذا التشبيه عند «ابن عربي» لا يخلو من دلالة، بل هو شديد الدلالة على علاقة التفاعل القائمة بين مراتب عالم الأمر، فآدم يمكن أن يكون موازياً للعقل الأول «العقاب»، واللوح المحفوظ أو النفس الكلية «الورقاء»، يمكن أن تكون موازية لحواء، وقد انبعثت النفس الكلية عن العقل الأول «القلم»، كما خلقت حواء من آدم، والعلاقة بين القلم واللوح أو (العقل الأول) و(النفس الكلية)، هي علاقة تدلٍ وكتابة وتسطير، يمكن أن تتوازى مع علاقة النكاح بين آدم وحواء وكان نتيجة هذا التدلي والتسطير، وجود الطبيعة والهباء[1] أو (الهيولى والجسم الكلي) أو ـ العنقاء والغراب ـ، وهكذا تتضح علاقة التفاعل بين هذه المراتب، بالتوازي الذي بين آدم والقلم، وحواء والنفس الكلية، وما نتج عنهما عبر التفاعل، دون أن تؤثر المسميات الجديدة على هذا التفاعل، بل منحتها قدراً دلالياً حساساً، زاد من وضوح وظائفها، فالعقاب الذي هو القلم: كناية عن بعض صفات الامتناع والعزة لهذا الطائر[2]، ينطق بدلالات العقل الأول بشدة داخل نص «الاتحاد الكوني»، والورقاء تحدد طبيعة النفس الكلية كمرتبة ثانية في مقابل العُقاب، كذلك الوصف نفسه يمتد إلى العنقاء والغراب، وعليه يتوجب علينا التعامل مع هذه الكنايات، التي استقدمها «ابن عربي» من عالم الطيور، لما للطيران من دلالات مباشرة ترتبط بانشدادها إلى شجرة الوجود المشار إليها في النص، فإدخال هذه الكنايات إلى الجهاز الاصطلاحي لم يأتِ اعتباطاً، ولم يكن نحتاً اصطلاحياً محضاً؛ لأنه في الوقت نفسه فصل هذه الطيور من كينونتها، وجعلها صفات لمدلولات مضافة للمصطلح الفلسفي الشائع، وقدم في هذا التقسيم حججاً علمية دعم بها شرحه لمكونات «عالم الأمر»: «أين أنت وحجاب العزة الأحمى؟ أين أنت والهويات المطلقة؟ أين أنت والإنيّات المحققة؟ أين أنت وحضرة الإشارات؟ أين أنت والمحادثات؟ أين أنت والمسامرات؟ أين أنت والشجرة العلى؟ أين أنت والفروع الدُّنى؟ أين أنت والغريبة العنقاء؟ أين أنت والمطوقة الورقاء؟ أين أنت والغراب الحالك؟ أين أنت

(١) فلسفة التأويل، ١٦٣.

(٢) المعجم الصوفي، ٨١١.

والعقاب المالك؟ يا محجوب كيف تسأل بالأين عن العين؟» [الاتحاد الكوني].

إن هذا التصور الرباعي الذي يتفشى في فكر «ابن عربي»، يستند إلى أصل التمثّل الإلهي في الخيال المطلق، الجانب الأول للإنسان من حيث حقائقه الإلهية الكونية، والعالم في الحقيقة «إنسان كبير»، هذا العالم المتفرق الكيانات، يجتمع في «عالم صغير» هو الإنسان الذي يجمع في داخله ما تفرق من كيانات في العالم. تتكرس الموازاة بين الإنسان والعالم في معظم نصوص «ابن عربي» وتشغل مساحة كبيرة منها[1]، حتى وإن كان هذا الإنسان آخر مراتب الوجود، فهو أرقاها، ولا يمكن النظر إلى آخريته هذه بفهم أنها آخرية زمانية، إذ ليس هناك أي مقترب للزمان عند «ابن عربي»، وهذه الإشكالية تنتهي بقيام التصور الدائري للوجود[2]، الذي يمكن أن يبعد عن أذهاننا مفهوم الآخرية الزمانية، وفي الإطار الشامل لنظرية «ابن عربي»، يستمد الزمان أو «الوقت» حدوده الثلاثية عبر «الحال» ـ «الحاضر» ـ «الإنسان»، لتتحرك هذه الثلاثية داخل نص: «رسالة الوقت والآن» في مجال يكتسب فيه الوقت عدة مستويات تتصاعد ديناميكياً، لتنقل مفهوم الزمن من حقله الأول إلى مجال علاقة الإنسان بالتجليات الإلهية، ليعارض «ابن عربي» تصور المتكلمين للوقت لمّا حدّدوه بمجموع الانات التي يمكن من خلالها تعيين حصول حدث غير معلوم بحدث معلوم من جهة، ويتجاوز تصور الفلاسفة للوقت لما اتخذوه مقياساً لقياس حركة الفلك الأطلس من جهة أخرى، فبحث عن الوقت المتمركز في «الآن»، المتوالد الذي يلغي الماضي والحاضر، ليحدده وجودياً ـ بطريقة إجرائية ـ على أنه أمر وجودي بين عدمين[3]، «برزخ بين الجلال والجمال» [رسالة الوقت]، إذن الوقت هو كل ما حكم على الإنسان، بفهم أنه لا يحكم على الإنسان الآن من خلال استعداداته، فخلص إلى أن الوقت هو: «الحال» القائم بالإنسان، أي التجلي الإلهي بحسب الإمكانات الاستعدادية، فهو: «آن من الفرد الأحد، الذي هو أجل أن يُعبر بوقت» [رسالة الوقت].

ينشر «ابن عربي» جهازاً كاملاً يشتمل على حقيقة الإنسان الباطنية، وتقسيمه لمراتب الوجود رباعياً على ضوء تلك الحقيقة، مستفيداً من تحديده لمفهوم «الوقت» باعتباره جانباً إلهياً في الإنسان، ليمنح شفرة الوقت نوعاً من التوافق الجمالي، الذي يؤكده حضور اللّه المستمر، فبنى هذه الأجزاء بانتظام ارتباطها باللّه الدائم التجلي والتحول في الصور، والإنسان يعرفه تماماً في

---

(١) انظر مثلاً الفتوحات، ١/١٢٠، ٢/٧٠، وعقلة المستوفز، ٣٢، وإنشاء الدوائر، ٢١، والتدابير الإلهية، ١٠٨.

(٢) فلسفة التأويل، ١٥٧.

(٣) المعجم الصوفي، ١٢٢٥.

هذه الصور، ويعبده فيها حتى: «يفنى رسم السالك في وجود الحق، ثم يحققه بفني رسم الوقت بالحق، ومن هنا قال المتقدمون... إن الوقت هو الحق، لاستغراق رسمه في الحق» [رسالة الوقت].

فهو إذن تجلٍ لا يتوقف، ودوام مستمر بين عدمين، لا محدد من صور الموجودات و: «تغير دائم وتحول في الصور في كل آن»[1]، يسميه «ابن عربي» ـ الخلق الجديد ـــ، وحفظ الوقت وفق أدق تشكيل، عن طريق إبعاد الإشكالية بالرجوع إلى تداخل العلاقة بين مستويات النص القرآني:

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2]، لأن «السر كله في حفظ الوقت والقيام بحكمه ومرسومه» [رسالة الوقت]، ليمكننا الجزم بعد ذلك أن الوقت هو اللّه، بحكم الدلالة الإشارية لرموز الحديث: «لا تسبوا الدهر، فإن اللّه هو الدهر»[3]، إشارة إلى أن وجود الدهر، هو وجود اللّه [كتاب الهو]، فلا عدم ولا وجود، وليس هناك خلق بمعنى الإيجاد من العدم، إذ يستحيل في تصور «ابن عربي» الوجود عن العدم المحض، ذلك هو مجد الإنسان، الذي يساوي العالم ويساوي اللّه، باعتبار أنه روح العالم فقدم موازاته بين حقائق الألوهة وحقائق العالم داخل «الإنسان الكامل»، المتضمن لصورتي الالهية والكونية، ولما كان هذا الإنسان روح العالم، فإنه يستحيل خلو هذا العالم من ممثل لهذه الروح، التي تستمد ديمومتها من اللّه، عبر تزوّدها بإمداداته وعلومه بدوام فاعل مستمر عن طريق هذه العلوم الإلهية المتمحورة حول اللّه وصفاته وأسمائه، مثلما تتضمن العلم بأحكام هذه الأسماء الإلهية ولوازمها، مضافاً إليها العلم بأعيان الموجودات وأعيانها الخارجية، بتصور أنها مظاهر للّه، من خلال هذا التفرّع الذي يولد في نظرية «ابن عربي».

إن العلاقة المقترحة بين محاور الرسائل جميعاً، تنشد إلى نقطة: أن الروح الإنسانية هي خليفة اللّه في أرض البدن[4]، التي توازي «الروح المحمدي» الذي برز اللّه فيه بذاته وصفاته المعنوية لا النفسية[5]، وحدّد «ابن عربي» وقوع هذه الروح في موقع وسطي بين اللّه والعالم،

---

(١) فصوص الحكم، ٨/٢، «التعليقات».

(٢) سورة ق، الآية ١٥.

(٣) مسند أحمد بن حنبل، ٢١١/٥، ٢٩٩.

(٤) التدبيرات الإلهية، ١٢٠.

(٥) المصدر السابق، ٢١٥.

لتكون اللّه والعالم معاً، بالفصل والجمع في آن واحد، الأمر الذي وفّر له أن ينهي تصوره لعالم الأمر على مستوى حقائقه الرباعية التي تتجلى في الإنسان ظاهراً وباطناً، بمنظور قيام حقائق الروح، العقل والنفس في البعد الباطني للإنسان[1] وتجلّت في ظاهره حقائق الطبيعة الأربع، فقام ظاهره على التربيع. وبالرجوع إلى مقدمة «الفتوحات المكية» نواجه أهمية المفهوم الرباعي في فكر «ابن عربي» الذي اعتمد في إنشاء هذه المقدمة على أحد نصوص هذا الكتاب: «المعلوم من عقائد أهل الرسوم»، والنص محاولة للاقتراب من الأصول المتداولة للدين الإسلامي، حيث استطاع أن يكثف داخل هذا النص «٤٢» باباً، حدّد فيها مآخذ أدلة العقيدة السنية، التي شغلت الفكر الإسلامي قروناً عديدة. إن الإشارة إلى دور هذا النص وأهميته تتلخص في اعتماد «ابن عربي» على مفاصله الرباعية لغرض إنشاء مقدمته في «الفتوحات المكية»، ذلك أن النص كُتب بلغة معقدة، يتناوب في عرض أفكاره أربع منطوقات متباينة، تتمثل بأربعة أطراف وبالعودة إلى نص «الاتحاد الكوني» وتوزيعه الرباعي، ومروراً بـ «رسالة التنبيهات»، يمكن ملامسة المرموزات الرباعية عند «ابن عربي» التي تتضح في نص «المعلوم من عقائد أهل الرسوم»، الأمر الذي يلخص الموازاة التي حددناها في بداية العرض، بين الإنسان واللّه من جهة، والإنسان والعالم من جهة أخرى، حيث نستطيع أن نحدد وجهي الحقيقة الواحدة، رغم التغاير والتماثل، فإنه لا يتجاوز أحدهما الآخر، لنجد أن كلا الوجهين ينهضان على حقائق رباعية كشفتها نصوص هذا الكتاب.

(١) المعجم الصوفي، ١١٦، ١١٧، ١٠٣٣.

الخطوات التي قمنا بها لتحقيق هذه الرسائل

١ ـ ترتيب الكتاب بالأسلوب المعاصر في الكتابة، حسب القوانين الإملائية المعاصرة.

٢ ـ تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٣ ـ تخريج النصوص التي نقلها «ابن عربي» من كتبه السابقة، ومن كتب المتقدمين، مع الإشارة إلى مظانها، فإذا كان النقل مطابقاً للأصل، اكتفينا بالإحالة إلى المصدر، وإذا كان ثمة اختلاف، أثبتنا النص كما هو في الهامش، ليتسنى للقارىء المقارنة بين النصين.

٤ ـ تخريج القصائد والأبيات، والإشارة في الهامش إلى بحورها، وإثبات الفروقات بينها وبين مظان التخريج.

٥ ـ ضبط النص بالشكل في الأماكن التي تحتمل أكثر من قراءة، مستعينين في ذلك على دقة المعنى وسلامته.

٦ ـ تنقيط النص.

٧ ـ تصحيح الأخطاء اللغوية والنحوية في متون الرسائل، مع الإشارة إلى هذه الأخطاء في الهامش.

٨ ـ تدخلنا بالنص في عدة مواضع، مضيفين بعض الألفاظ، التي نعتقد أن سياق النص لا يستقيم إلاّ بها، ووضعنا إضافاتنا بين قوسين معقوفتين.

٩ ـ شرح بعض المفردات الغامضة.

١٠ ـ نبهنا في الهوامش إلى الكلمات غير المقروءة في الأصل، وهي قليلة جداً على أية حال.

١١ ـ أثبتنا السقط في المتن إذا كان السياق يقتضيه، وأشرنا إلى ذلك في الهامش، وإذا لم

يقتض سياق الكلام ذلك السقط أهملناه، ولم نشر إليه في الهامش.

١٢ ـ وضعنا أرقام نهايات الصفحات بين قوسين معقوفتين في المتن.

١٣ ـ أجرينا المقابلة للرسائل التي عثرنا على أكثر من نسخة لها، لغرض الوصول إلى نص أقرب ما يكون إلى نسخة المؤلف، وفي هذا الصدد قمنا بمقابلة رسالة «المعلوم من عقائد أهل الرسوم» على مقدمة طبعة «الفتوحات المكية»، ونبّهنا إلى الفوارق بينهما في الهامش.

كشف الستر لأهل السرّ

التحقيق

اعتمدتُ في تحقيق نص رسالة (كشف الستر لأهل السر) على المخطوطة المرقمة (٣٧٩٥)، وهي مجموع في التصوف يقع في (١٠٣ ورقة)، حفظت المخطوطة في دار المخطوطات ببغداد، تميزت بجودة الخط، وسلامته من الآفات، تضمنت (١٦) رسالة في التصوف جميعها لابن عربي، وتسلسل رسائل هذا المجموع كما يلي:

١) القصيدة التائية[١] (من الورقة ١ وجه إلى ٣٠ ظهر).

٢) عقلة المستوفز[٢] (من ٣٣و- ٤٤ظ).

٣) كتاب كنه ما لا بدّ للمريد منه[٣] (من ٤٥و - ٤٩).

٤) منهج البيان لأهل الرضوان[٤] (٤٩ظ فقط).

٥) حلية الأبدال[٥] (من ٥٠ و - ٥١ظ).

٦) كشف الستر لأهل السر (رسالتنا هذه) من ٥٢و - ٥٦ظ.

٧) تبصرة الطالب وطالبة القارب (الرسالة السادسة من كتابنا) من ٥٢ و- ٦١ظ.

---

(١) لما تطبع بعد.

(٢) طبعه ونشره نيبرج مع كتاب (التدبيرات الإلهية) و(إنشاء الدوائر) في ليدن سنة ١٩١٩.

(٣) طبع مع كتاب (الأخلاق) المنسوب لابن عربي، المكتبة المحمودية، ب.ت.

(٤) الرسالة الأخيرة من هذا المجلد، انظر مقدمتها التحقيقية.

(٥) طبع ضمن رسائل ابن عربي المطبوع في حيدر آباد الدكن سنة ١٩٤٨، وأعادت دار صادر طبعها مصورة عنها.

٨) نسبة الخرقة (الرسالة التاسعة من كتابنا) من ٦٢و ـ ٦٨ظ.

٩) كتاب إجازة الشيخ محيي الدين بن عربي للملك المظفر[١] (من ٦٦و ـ ٦٨ظ).

١٠) كتاب فهرست أسامي كتب الشيخ محيي الدين[٢] (٦٩و ـ ٧١و).

١١) كتب مشكاة الأنوار فيما روي عن الله من الأخبار[٣] (٧٢و ـ ٨٢و).

١٢) الشأن الإلهي[٤] (٨٣و ـ ٨٨و).

١٣) الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني (الرسالة الخامسة من كتابنا) من ٨٩و ـ ٩٣و.

١٤) رسالة الوقت والآن (الرسالة الثانية من كتابنا) من ٩٤و ـ ٩٥و.

١٥) الفناء بالكلية في عين المشاهدة القدسية[٥] (من ٩٥ظ ـ ٩٨ظ).

١٦) الواو والميم والنون[٦] (من ٩٩و ـ ١٠٣و).

وصف النسخة:

ـ مقاس الصفحات: ١٥ × ١٠ سم.

ـ عدد الأسطر: ٢٨ سطراً.

ـ عدد كلمات السطر: ١٢ كلمة.

ـ نوع الخط: خط نسخ دارج.

ـ نوع الجلد ولونه: ورق عادي صقيل مائل إلى البياض، يرقى إلى القرن العاشر الهجري.

---

(١) نقلها النبهاني في (جامع كرامات الأولياء).

(٢) المنشور في المجلد الأول من موسوعة ابن عربي، مؤسسة الانتشار العربي.

(٣) الطبعة الأولى، المطبعة العلمية، حلب ١٩٢٧.

(٤) طبع ضمن رسائل ابن عربي، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٤٨ ط١.

(٥) طبع ضمن رسائل ابن عربي، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٤٨ ط١.

(٦) طبع ضمن المجلد الأول من موسوعة ابن عربي، مؤسسة الانتشار العربي، وكانت الرسالة قد طبعت ضمن رسائل ابن عربي، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٤٨ ط١.

ـ اسم الناسخ: تخلو المخطوطة من ذكر اسم الناسخ.

ـ تاريخ النسخ: يوم الجمعة أول يوم في شهر جمادى الآخرة من شهور سنة ٩٨٤هـ، وهذا التاريخ يؤكده ما ذكره الدكتور مصطفى جواد في سجلات المتحف العراقي، بأنها تعود للقرن العاشر الهجري.

التملكات

لا توجد أية تملكات في المخطوطة، وبرجوعنا إلى سجلات المتحف العراقي تبيّن لنا أن آخر مالكي هذه المخطوطة هم ورثة المرحوم أحمد نيازي، الذين صُودرت منهم المخطوطة لصالح مكتبة المتحف العراقي، وفق محضر محكمة الكرادة الشرقية المرقم (١٧/ت/١٣ في ١٩٦٧/٣/٨).

كتبت المخطوطة بمداد أسود، باستثناء العناوين التي أفرد الناسخ لمعظمها صفحات خاصة، وكذلك الفوارز المستخدمة كعلامات توقف، حيث دونت بمداد أحمر، وقام الناسخ بتصفيح جميع أوراق المخطوطة التي رقمت حديثاً بمداد أحمر.

ارشدنا الله وإياكم ان من تحقق بمعرفة نفسه فقد تحقق بمعرفة ربه والتحقق بمعرفة
النفس هو ان يتحقق الله سبحانه للعبد المؤمن والانسان الكامل الوارث للخلافة الا
لفيه من معدن الرسالة المحمدية انه مخلوق على صورته وهو آدم عصره وقته لقوله
عليه الصلاة والسلام ان الله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وجاء
في اول التوراة نريد ان نخلق انسانا على مثالنا وشكلنا وصورتنا اذ كما قال سبحانه
وتعالى صحت الخلافة للانسان الكامل ايا كان انشاء صورته الظاهرة من حقايق العالم وصوره
وصورته الباطنة على صورته تعالى ولذا كما قال تعالى كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ولم يقل كنت اذنه وعينه وحيث اوردنا هذه الكلمات
وجب ان نبين معنى الصورة واقسامها ومعنى التصوير المخلوق عليها آدم فالصورة
هيئة اجتماعية من اوضاع مخصوصة شكلية في اي مادة فرضت واي اجزاء قدرت
ومثلت وتنقسم الصورة الى عقلية وعلمية وخيالية وذهنية ونورية وروحانية
والحسية فالصورة المذكورة في الحديث هي صورة الكلمة نوريه ذاتية قايمة بجناب الله
تعالى وتقدس وهي جمعية صور الربوبية والحقايق الوجوبية التي مادتها وهيولاها
عماء الرب والحقيقة الفعالة لها احدية تجمع ذات الالوهية وظاهرها الطبيعة الكلية
التي يعبر عنها في مشرب التحقيق بالحقيقة الالهية الكلية الحاصرة لصور اوايل العالم كله
ومواده عينها الفعالة للصور كلها وهذه الحقيقة تفعل الصور الاسمائية باطنها في
المادة العمائية كما ذكرنا وهي صنعها وعينها ولا امتياز بينها وبين العالم الا في التعقل
لا في العين فان النشاة واحدة جامعة لحقيقتها للصور الحقانية الوجوبية العلوية
والصور الخلقية الكونية السفلية الامكانية من الحقايق الكيانية وامهات الحقايق
ثلاثة الاولى حقيقة مطلقة بالذات فعالة موثرة عالية وجودها واجب لها
بذاتها من ذاتها وهي حقيقة الحق وهو الله سبحانه وتعالى واحدة ثانية واثنينيتها
حقيقة مقيدة منفعلة سافلة متكثرة قابلة للوجود من الحقيقة الواجبة بالفيض
الاقدس والتجلي الانفسي وهي حقيقة العالم الممكن بذاته واجب بغيره يعني واجب
بالمظهر له والمتجلي به وهو واجب الوجود الحق سبحانه اياك ان تسمي حقيقة احدية
جامعة بين الاطلاق والتقييد والفعل والانفعال والتاثير والتاثر فهي مطلقة من
وجه ونسبة مقيدة من اخرى فعاله من وجه ومنفعلة من اخرى وهذه الحقيقة هي
احدية جمع الحقيقتين ولها مرتبة الاولية الكبرى والاحدية العظمى والبرزخية
الشاملة المثلى وهي البرزخ الجامع والانسان الكامل التي صورته الله مستوية على
عرش قلبه تحققا وتحقيقا وشهودا وتصديقا وايمانا وتصديقا وحقا موجودا
كما قال عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله عز وجل ما وسعني ارضي ولا سمائي وانما
وسعني قلب عبدي المؤمن فالعبد المؤمن هو القابل الكلي والكون الجامع الالهي الذي

يظهر

نموذج من رسالة كشف الستر

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاّ باللّه، عليه توكلت وإليه أنيب. الحمد للّه الواحد الأحد، الفرد الصمد، القيوم السرمد، الأول والآخر، والباطن والظاهر، وهو بكل شيء عليم، وسع كل شيء برحمته، ودبر كل شيء بحكمته، وخلق (آدم) على صورته، وأسجد له ملائكته، والصلاة والسلام الأبديان السرمديان على سيدنا (محمد)، أكمل المظاهر الإلهية، وأجمع البرازخ الإنسانية، وعلى آله وصحبه وورثته وأولادهم، أهل المراتب العرفانية والمناصب التوحيدية.

أما بعد: فلما فتح لنا الحق سبحانه أبواب الحقيقة، بعد أن منحنا أسباب الطريقة، وهدانا لكشف أسرار التوحيد، ولكل مسترشد سعيد، فكشفت في هذا المختصر، لمن شرح اللّه صدره ووسّع قلبه وأشهده سر قوله: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[1]، ولذلك أشار سيدنا (علي) كرم اللّه وجهه، حيث قال: من عرف نفسه فقد عرف ربه، ومن عرف ربه فقد أحبه، ومن أحبه الحق فقد جذبه، ومن جذبه فقد قرّبه، ومن قرّبه أفناه عن وجوده، وأبقاه بشهوده، ومنحه كمال مشهوده، وأطلعه على حقائق جوده. وسميتها بكشف الستر لأهل السر، مستمداً من اللّه هداية طريقه، وبيان الحق بتحقيقه، إنه بمقاصدنا ولي كفيل، واللّه يقول الحق وهو يهدي السبيل. اعلم أيها المسترشد السعيد أرشدنا اللّه وإياك إلى الصراط الحميد، أن من أراد الخوض في بحر التوحيد، والعبور على قنطرة التفريد، لا بدّ له من التحقق بالفناء، أما بالذوق الصحيح الحالي، أو بالكشف الصريح العالي، ومن لم يكن له قدم صدق في الفناء، لم يجز له أن يحوم حول هذا الفناء، ومن توجه بغير دليل إلى الحمى، لم يزدد إلاّ ضلالاً وعمى، وقال:

متى ما شئتَ تطلب دار ليلى ... بغير طريقها وقع الضلالُ[2]

---

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، ٢: ٢٦٢.

(٢) من الوافر.

ومرآة البصيرة كيف يبدو بها شيء وما حصل الصقالُ

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[1]؛ لأن لكل مقصد سبيلاً، ولكل وجه مولياً ودليلاً، وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الفناء هو اضمحلال ما سوى الحق سبحانه وتعالى، وذلك بأن لا ترى موجوداً غيره، ولا وجوداً إلاّ له، وما سواه هالك، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2] وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝﴾[3]، فيتحقق لك عدمك الأزلي، فتكون لله كما لم تكن، فيكون لك كما لم يزل، ولا ترى الكون إلاّ خيالاً، لا حقيقة له في نفسه، وإنما حقيقته الحق[4]، ووجوده من حيث هو هو، مع عدم الإطلاق والتقيد، وجود الحق سبحانه وتعالى:

هذا الوجود وأن تكثر ظاهراً وحياتكم ما فيه إلاّ أنتمُ[5]
أنتم حقيقة كل موجود بدا ووجود هذي الكائنات توهمُ

❀ ❀ ❀

إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقه[6]
والذي يفهم هذا حاز أسرار الطريقه

وبعد تمهيد هذه المقدمة نشرع في المقصود، والله يبلغ المقصود؛ لأنه هو المقصود الموجود المعبود. اعلم [٥٢و] أرشدنا الله وإياك أن من تحقق بمعرفة نفسه، فقد تحقق بمعرفة ربه، والتحقق بمعرفة النفس، هو أن يحقق الله سبحانه للعبد المؤمن، والإنسان الكامل، الوارث للخلافة الإلهية من معدن الرسالة المحمدية، أنه مخلوق على صورته، وهو (آدم) عصره ووقته، لقوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله خلق آدم على صورته)[7]، وفي رواية: على صورة الرحمن، وجاء في أول التوراة «نريد أن نخلق إنساناً على مثالنا وشكلنا وصورتنا»[8] أو كما قال سبحانه.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٨.
(٢) سورة القصص، الآية ٨٨.
(٣) سورة الرحمن، الآية ٢٦.
(٤) «الحق» حاشية.
(٥) من الكامل.
(٦) من الرمل، فصوص الحكم: ١٥٩.
(٧) شرح الجامع الصغير، ٤٤٧/٣، ورواه أحمد في مسنده والبخاري، ومسلم عن أبي هريرة، ورواه عنه الطبراني وغيره.
(٨) «وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا» العهد القديم، سفر التكوين: ٢٦/١.

ولما صحت الخلافة للإنسان الكامل، أراه إنشاء صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره، وصورته الباطنة على صورته تعالى[1] ولذلك قال تعالى:

(كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به)[2]، ولم يقل: كنت أذنه وعينه وحيث أوردنا هذه الكلمات وجب أن نبيّن معنى الصورة وأقسامها، ومعنى الصورة المخلوق عليها (آدم)، فالصورة: هيئة اجتماعية من أوضاع مخصوصة شكلية، في أي مادة فرضت، وأي أجزاء قُدِّرت ومُثِّلت، وتنقسم الصورة إلى: عقلية، وعلمية، وخيالية، وذهنية، ونورية، وروحانية، وإلهية، فالصورة المذكورة في الحديث، هي صورة إلهية نورية ذاتية قائمة بجناب اللّه تعالى وتقدس، وهي جمعية صور الربوبية، والحقائق الوجوبية، التي مادتها وهيولاها عماء الرب، والحقيقة الفعالة لها أحدية جمع ذات الألوهية، وظاهر الطبيعة الكلية، التي يُعبر عنها في مشرب التحقيق بالحقيقة الإلهية الكلية، الحاصرة لقوابل العالم كله، ومواد عينها الفعالة للصور كلها، وهذه الحقيقة تفعل الصور الاسمائية بباطنها في المادة العمائية، كما ذكرنا، وهي منها وعينها، ولا امتياز بينها وبين العالم، إلاّ في التعقّل، لا في العين فإن النشأة واحدة جامعة بحقيقتها للصور الحقانية الوجوبية العلوية، والصور الخلقية الكونية السفلية الإمكانية، من الحقائق الكيانية. وأمهات الحقائق ثلاث[3]: الأولى: حقيقة مطلقة بالذات، فعّالة مؤثرة عالية، وجودها واجب لها بذاتها، وهي حقيقة الحق ـ وهو اللّه سبحانه وتعالى ـ واحدة شائية. والثانية: حقيقة مقيّدة، منفعلة سافلة متكثرة قابلة للوجود من الحقيقة الواجبة بالفيض الأقدس، والتجلي الأنفس، وهي حقيقة العالم الممكن بذاته، واجب بغيره، يعني: واجب بالمظهر له، والمتجلي به، وهو واجب الوجود الحق سبحانه. الثالثة: حقيقة أحدية جامعة بين الإطلاق والتقييد، والفعّال والانفعال، والتأثير والتأثر، فهي مطلقة من وجه ونسبة، مقيدة من أخرى، فعّالة من وجه، منفعلة من آخر، وهذه الحقيقة هي: أحدية جمع الحقيقتين، ولها مرتبة الأولية الكبرى، والأخروية العظمى، والبرزخية الشاملة المثلى، وهي للبرزخ الجامع، والإنسان الكامل، التي صورة اللّه مستوية على عرش قلبه كشفاً وتحقيقاً، وشهوداً وتدقيقاً، وإيماناً وتصديقاً، وحقاً موجوداً، كما قال عليه

---

(١) «فما صحت الخلافة إلاّ للإنسان الكامل، فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى ولذلك قال فيه (كنت سمعه وبصره) وما قال: كنت عينه وأذنه» فصوص الحكم، ٥٥.

(٢) البخاري، رقاق ٣٨، وأخرجه «ابن عربي» في ـ مشكاة الأنوار، ٧٧ برقم ٩١، وأحمد بن حنبل ٦/ ٢٥٦.

(٣) في الأصل «ثلاثة».

الصلاة والسلام حكاية عن اللّه عزّ وجل: (ما وسعني أرضي ولا سمائي، وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن)[1]، فالعبد المؤمن هو القابل الكلي، والكون الجامع الآلي، الذي [٥٢ظ] تظهر به الأسماء والصفات، والأفعال والذات، على ما هي عليه من الكمال، فيؤمن بقابليته الكلية المحيطة، ويعطي الأمان لصور الذات، والأسماء والصفات، والأفعال والآيات الظاهرة في مظهريته عن التغيير والتحريف والتبديل، فتظهر صورها في مرآته الكاملة الشاملة كاملة، ويؤمن أيضاً أن يعطي الأمانة لصور النسب وحقائقها أيضاً، من عدم ظهور آثارها من خفاء حكم الغيب والعدم، بإظهارها في محال ظهور أحكامها وأسرارها في حقائق مظهرياته المعنوية والروحانية، والطبيعية، والعنصرية، والمثالية، فالإنسان الكامل هو المظهر الكلي، والمقصد الغايتي الأصلي، حامل الأمانة الإلهية، وصاحب الصورة النزيهية عن المثلية، ولما كان المراد الكلي المطلوب، والمقصد الغايتي المحبوب من إيجاد العالم، كمال الجلاء والاستجلاء، وظهور الحق، وإظهار نفسه لنفسه، ظهوراً فعلياً تفصيلياً، كما اقتضت ذاته المطلقة تكميلاً لمرتبتي الجمع والفرقان، والعلم والقرآن، والإخفاء والإعلان، والرحمة والرضوان، لإظهار الغيب والشهادة، وتفنن القدرة والإرادة، وكان الحق سبحانه في كماله الذاتي، يرى ذاته في ذاته بذاته، رؤية ذاتية، غير زائدة على ذاته ولا متميزة عنها، لا في العقل والتعقل، ولا في الواقع والخارج، ويرى أسماءه وصفاته ونعوته وتجلياته، وأفعاله وآياته أيضاً، كذلك نسباً ذاتية، لها شؤون[2] عينية غيبية مستهلكة الاحكام، تحت قهر الأحدية، غير ظاهرة الآثار، ولا متميزة الأعيان بعضها عن بعض، منطمسة في حيطة جلال الصمدية، مضمحلة في أنوار الواحدية، كامنة كائنة في عين الفردية، وكينونتها فيها وكمونها ككينونة النصفية، والثلثية، والربعية، وغيرها من النسب في الواحد، هذا من حيث كماله الذاتي الأحدي، ولكنه شاء أن يظهر من حيث الكمال الاسمائي التفصيلي، بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، في مظاهرها ومجاليها ومراتبها، التي يرى الحق فيها نفسه: «لأن رؤية الشيء نفسه في نفسه ليست مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة، فإنه تظهر له نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه، مما لم يكن يظهر له من غير وجود هذا المحل ولا تجليه له»[3]، فلا تكون رؤية الحق نفسه في كون جامع للأمر على ما[4] هو عليه، وهي رؤية ذاته في ذاته، كرؤيته سبحانه وتعالى في كون غير

---

(١) الإحياء، الغزالي، ١٥/٣.

(٢) في الأصل «شؤوناً».

(٣) فصوص الحكم، ٤٨ ـ ٤٩.

(٤) «ما» حاشية.

جامع للأمر على ما هو عليه؛ لأن الأسماء الإلهية كانت في قبض قهر الأحدية الجمعية الإلهية الذاتية، أحدية في الحضرة الأحدية، لا ظهور لها لعدم مظاهرها، وهي العوالم، وكلها عالم: (كان اللّه ولا شيء معه)[1] وكانت كثرة الأسماء مستهلكة مكمونة مجملة في أحدية عين الذات، ولسان تعينه بكنى حرف التاء، وهو تعينه في ذات اللاهوت، كنزاً جامعاً لجوهر حقائق الأسماء والمسميات، إذ الكنز ذهب وفضة وجواهر مجتمعة في الغيب، فالذهب صورة الذات، والفضة صورة الصفات، والكنز مخفي عن الأغيار، فأحب الحق بمشيئته من حيث الأسماء أن يعطيها التحقق في أعيانها بالوجود والإيجاد، وتحقق في [٥٣و] حقائقها للشهود والاشهاد على رؤوس الاشهاد، كما قال سبحانه: (كنت كنزاً مخفياً لا أعرف، فأحببت أن أُعرف)[2]، أي أن يعرفني كل تعين من تعيناتي في مظاهري ومجالي ومراتبي، التي ليست ذات الألوهية، بل بسببها يظهر السر الكامل بتجلي الحق، التجلي التعرفي، في قوله:

فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم بالنعم فبي عرفوني.

فلما شاء الحق سبحانه، وأحب إظهار سره الكامن، وجلاء حسنه الباطن، وإبداء كماله المستحسن، بجميع المحامد كلها والمحاسن كقوله:

كل الجمال غدا لوجهك مجملاً لكنه في العالمين مفصلُ[3]

ظهر بالكون الجامع الإنساني، والكتاب الأكمل الفرقاني، والمظهر الشامل القرآني، وصورة الاسم الرحماني، الحاصر للأمر الإلهي الكياني؛ لأن الإنسان أول بالحقيقة، والآية في البداية، آخر في الغاية والنهاية، ظاهر بالصورة، باطن بالسر والسورة جامع الأولية والآخرية، والباطنية والظاهرية وجميعته؛ لكونه برزخاً جامعاً بين بحري الوجوب والإمكان، ولما كانت مرتبته جامعة بين الحقية والخلقية، والربانية والعبدانية، تعيَّن الوجود الحق في مظهريته بحسبها تعيناً كلياً جمعياً أحدياً فالمرتبة منحصرة بين الحق الواجب والخلق الممكن، معمورة بهما، فالحق أبداً حق على بقائه وغنائه ووجوده الذاتي، والخلق خلق أبداً على فنائه وفقره وعدمه الذاتي، فالوجود للحق، وهو في مرتبته الحقية حق، وفي مرتبته الخلقية خلق، وفي النشأة الإنسانية الجامعية خلق جامع بينهما، مطلق عن الجمع بينهما أيضاً، فالدائرة الوجودية محيطة

---

(١) ورد بلفظ «كان اللّه ولم يكن شيء قبله» صحيح البخاري، باب التوحيد، حديث رقم ٢٢، مسند ابن حنبل مجلد ٢، حديث رقم ٤٣١.

(٢) كشف الخفاء، العجلوني: ١٣٢/٢، والمقاصد، للسخاوي، ٣٢٧.

(٣) من الكامل، ووردت (مفصل) في الأصل «مفصلاً»، وورد البيت في اصطلاحات الكاشاني منسوباً إلى (الشيباني).

بقوسين، ومتنصفة بشطرين على قطرين، فالشطر الأعلى للحقية والوجوب، والشطر الأدنى للكون والخلق، والبرزخ الجامع يظهر بالتعيين ويصدق على إطلاق الحكمين، وله الجمع بين البحرين، وليس له نعت ذاتي سوى الجمعية والإطلاق، فله أن يظهر بمظهرية الأسماء والمسميات والذات على الوجه الأوفى، فعند مشيئة الحق ومحبته من حيث الأسماء الحسنى، والتجليات العليا، أن يتعين بتعيناته القصوى، تجلّت تجلياً جمعياً، وانبعثت انبعاثاً حبياً إلى المظهر الكلي، الجامع للأمر الإلهي، فامتدت رقائق النسب إلى متعلقاتها، واشرأبت حقائق الوجوب إلى متعلقاتها، وطلبت الربوبية المربوب، والإلهية المألوه[1]، والمحبوبية المحبوب، فقامت بظاهرياتها مظاهر لباطنها، وبشهادتها مجالي لغيبها، فالظاهرة لمظاهر هي عينها الناظرة، بمناظر هي عينها، وفيها أنّيها ظهرت الحقائق الوجوبية، والنسب التي اقتضتها الربوبية في متعلقاتها ومظاهرها ومجاليها، وزهرت أنوار التجليات الفعلية في مراتبها ومرائيها، فرأت أنفسها متمايزة الأعيان والآثار، متغايرة الظلم والأنوار، وتعينت أحكامها ولوازمها ممتازة، وثبتت عوارضها ولواحقها إلى أحيازها منحازة، فأعيان الموجودات المعلومات العلوية، وأشخاص المخلوقات السفلية مظاهر النسب الوجوبية، ومجالي تعينات أسباب الربوبية، فيرى الحق فيها حقائق الأسماء، وأعيان صفات الاعتلاء على عروشها، ومحتوية على جنودها وجيوشها، فما منا إلاّ له من الحق مقام معلوم، ومن الوجود ذوق [٥٣ظ] مقسوم.

واعلم أن المناظر، والمجالي، والمظاهر، والمرائي التي يرى الحق فيها نفسه، لو لم يكن لها حيثية متعينة، وخصيصة واستعداد معيّن تمتاز بها عن الظاهر فيها، لكان الظاهر فيها ـ وهو الحق ـ غير متعين عن غيبته، فظهور الحق وتجليه في مرتبة من المراتب، جزئية كانت أو كلية، إنما يكون بحسب المحل، ويقبل بقدر ما أعطاه الحق من الاستعداد، وما هيأ له من القابلية، وليس ذلك بحسب الحق؛ لأن ذلك لا يسعه قلب المؤمن، ولا يسعه شيء أبداً، وذلك تجلي الحق بذاته على ما هي عليه لذاته، وإنما وسع قلب المؤمن التجلي الاسمائي، وهو تجلي الحق بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا كليها، ويسمى تجلي الألوهية للمألوه الذي هو صورة جمعيتها، ومظهر شؤون حكمتها؛ لأن الحق أوجد العالم وجود شبح بلا روح، فكان كمرآة غير مجلوة[2]،

---

(١) «وان الأسماء الإلهية عين المسمى، وليس إلاّ هو، وأنها طالبة ما تعطيه من الحقائق، وليست الحقائق التي تطلبها الأسماء إلاّ العالم، فالألوهية تطلب المألوه، والربوبية تطلب المربوب، وإلاّ فلا عين لها إلاّ به وجوداً أو تقديراً». فصوص الحكم، ١١٩.

(٢) «وقد كان الحق سبحانه أوجد العالم كله وجود شبح مسوى، لا روح فيه فكان كمرآة غير مجلوة». فصوص الحكم، ٤٩.

فجلاها بالإنسان الكامل الجامع لحقائق العالم، وصورها وأسمائها ومسمياتها، بكمال مظهريته ذاتاً وصفاتاً، وصورة ومعنى، جمعاً وتفصيلاً، ظاهراً وباطناً، وأولاً وآخراً، ولا يحصل كمال العالم، وأسماء الحقائق والأعيان، إلاّ بنشأة (آدم) في عين العالم، ووجود الإنسان الظاهر بصورة الرحمن، فكان الإنسان الكامل روحاً لذلك الشبح العالمي، فكان قبول الإنسان الكامل للتجلي الإلهي أكمل قبول؛ لأنه ما من قابل من القوابل يقبل فيض الحق على نحو من القبول، ويتعين تجلي من التجليات وصورة من مظهريه، إلاّ وفي الإنسان الكامل مثل ذلك القابل على الوجه التام من حيث إن التجلي على جميع الأشياء، وعلى كل القوابل كامل، وفي الإنسان الجامع أكمل، فروحانيته أتمّ الروحانيات وأكملها، وطبيعته العنصرية أجمع الأمزجة وأعدلها، ونشأته أوسع النشآت وأفضلها، وأشملها، واستعداد مظهريته لظهور الحق أعم المظهريات والاستعدادات، وأقبلها وأعظمها، وتعين صورة الحق والخلق في مظهريته أكمل التعينات وأجلّها وأشرفها وأكبرها، وبه حصل كمال الجلاء والاستجلاء، وبه اتصل كمال فيض الذات بالأسماء فهو مظهر الفيض الجامع، والبرزخ الشامل المحيط المانع، وبه تميز الوجوب عن الإمكان، وظهر كمال حقائق الأسماء والأعيان، فكان (آدم) بصورته العنصرية جلاء مرآة العالم، وكان العالم شبحاً لا روح فيه[1]، قبل وجود هذه النشآت الإنسانية، الجامعة للكمالات الإلهية، فكان روح العوالم الكلية والجزئية؛ لأنه رابطة فيض شؤون الحق الذاتية والاسمائية والصفاتية، على حقائق العالم الكلية والجزئية، فجلى الحق سبحانه عن هذا العالم الصدأ، الذي كان فيه بصورة (آدم)، وتجلى الحق سبحانه على هذا المجلى الأتم، والمظهر الأعم، تجلياً كاملاً، وتحققاً شاملاً، فرأى نفسه فيه رؤية ذاتية، وإحاطة كلية شاملة للاسمائية الإلهية؛ لأنه سوّاه مرآة لذاته، ليرى فيه علماً وعيناً جميع كمالات أسمائه وصفاته، وأفعاله وآياته، فظهر لنفسه فيه ظهوراً جامعاً بين الكمال الاسمائي والكمال الذاتي، وكمّل به نشأة العالم، وخصّصه بحقائق الأسماء وسماه (آدم)، فالعالم كله كالعين الجامعة للأعيان، ونور تلك العين وسرّها الإنسان؛ لأنه صورة الرحمن، الجامع لحقائق الأسماء والأعيان، وصور الموجودات والأكوان، فكان قابلية العالم مظهر صورة (آدم)، وجلاء قلبه الأعظم جمعية الإنسان الأكرم، وروحه القائم بقلبه وصورته، وقابليته وجلائيته، عين تجلي الرحمن، على قلب الإنسان بالفيض الأقدس، والتجلي الأنفس، فقلب الإنسان الكامل مظهر الكمالات الإلهية، وصورته روح الحقائق الكلية، واستعداده سر الجمعية الإنسانية، فروحه مرآة الذات الأحدية، وقلبه مجلى الكمالات الواحدية، وعقله جلاء العوالم الكلية، وجسمه روح

(١) «فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة، وروح تلك الصورة». فصوص الحكم، ٤٩.

الموجودات الحسية، فهو صورة الحق الظاهر، ومرآة اسمه الباطن، والمقصد الأول، والمظهر الآخر، فهذا معنى قوله صلى اللّه عليه وسلم: (إن اللّه خلق آدم على صورته)[1] ومن كشف الحق له هذه الأسرار، وأفاض على قلبه من هذه الأنوار، ووهبه اللّه من خصائص هباته، وكشف له ما طبع في مرآته، وتحقق [٥٤و] بمعرفة نفسه، التي توجب له التحقق بمعرفة ربه كشفاً وشهوداً، فعرف حينئذٍ من هو، وما هو المقصود منه ما هو، حققنا اللّه بحقائق معرفته، وهدانا إلى سبيل توحيده وهدايته، إنه بأحوالنا عليم كفيل، يهدي اللّه لنوره من يشاء، واللّه يتولى الحق وهو يهدي السبيل.

ثم اعلم أن معرفتك للحق، إنما هي معرفتك لنفسك ومعرفتك بنفسك، لها مرتبتان في مشرب التحقيق: ـ الأولى: معرفتك بربك من حيث أنت، الثانية: معرفتك بربك من حيث هو، لا من حيث أنت[2] فالمتحقق بالمعرفة الثانية مرضي عند ربه، منادى بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[3] فما أمرها أن ترجع إلاّ إلى ربها، الذي دعاها فعرفته من الكل، راضية مرضية، فادخلي في عبادي من حيث ما لهم هذا المقام، هم كل عبد عرف ربه، واقتصر عليه، ولم ينظر إلى رب غيره، مع أحدية العين، فالنفس المطمئنة لا بدّ أن تدخل فيهم، فإن المقام بينها وبينهم، لكونهم راضين مرضيين مخاطبين، وادخلي جنتي التي بها أسترك[4]، وهي ستري، وليست جنتي سواك يا عبدي، فإذا دخل العارف جنة ربه، حيث ظهر فيه وعرف به، مستتراً عن الأفعال والآثار المذمومة عند من لا يرضاها من الأرباب والعبيد؛ لأن لكل اسم عبداً[5] هو ربه، وذلك العبد جسم وهو قلبه، فصار وقاية لربه عن ألسنة أهل المذام والعيب؛ والمذام هي بالإضافة إلى العبد آثار لربه، وجعل ربه وقاية وجُنة له في جميع المحامد، فأضافها جميعها إلى ربه فلا تضاف المحامد إليه من حيث

---

(١) تقدم تخريج الحديث آنفاً.

(٢) «فتكون صاحب معرفتين: معرفة به من حيث أنت، ومعرفة به بك من حيث هو، لا من حيث أنت». فصوص الحكم، ٩٢.

(٣) سورة الفجر، الآية ٢٧.

(٤) «وكذلك كل نفس مطمئنة قيل لها: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ فما أمرها أن ترجع إلاّ إلى ربها، الذي دعاها فعرفته من الكل، راضية مرضية ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ من حيث ما لهم هذا المقام، فالعباد المذكورون هنا كل عبد عرف ربه تعالى، واقتصر عليه ولم ينظر إلى رب غيره، مع أحدية العين لا بدّ من ذلك، وادخلي جنتي التي بها ستري». فصوص الحكم، ٩٢.

(٥) في الأصل: (عبد).

هو، بل إلى ربه، واستتر بربه عن الإضافة والمحامد، كما استتر ربه به عن المذام، فكما أن العبد لا يوجد إلاّ بربه، فكذلك الرب لا يكون ظاهراً متعيناً في عينه إلاّ بعبده، فهو مظهره ومظهَره، والناظر فيه وبه، وإذا ثبت أن اللّه لا يُعرف بالحقيقة؛ لأن التجلي الأحدي ممتنع؛ لأنه تعالى بالذات غني عن العالمين، فتجليه الأحدي لا يُبقي غيراً متجلياً له، فلا يكون تجليه الأحدي إلاّ بذاته لذاته، فلا يعرف حقيقته إلاّ هو، بل من حيث ظهور الأسماء عن البطون، وبروزها عن الكمون، افتقرت إلى المظاهر، وأثبتت أن الحق هو الأول والآخر، كما هو الباطن والظاهر، وإذا ثبت أن اللّه لا يعرف بالحقيقة، فعبده الذي هو مظهره لا يعرف بالحقيقة، فإذا نادى كل رب عبده إليه، وأمره بالدخول في جنته والوقوف عليه، فيدخل العارف نفسه ويعرف أنه مظهره ومجلاه، هو عبده، وهو ربه ومولاه، وهو عرشه ومستواه، فلا ينفك ربه يحبه ويرضاه، ولا يزال عبده يعرفه ويهواه، فلا بدّ لكل منهما عن الآخر، كما قيل:

فما انفك يرضاني بكل محبة ... وما زلت أهواه بكل مودةِ[1]

فممتنع عنه انفصالي وواجب ... وصالي بلا إمكان بعد وقربةِ

فحينئذٍ يعرف العبد نفسه بربه، وبه عبر المعرفة الأولى، وفي هذه المعرفة يضاف إليه كل ما يضاف إلى ربه من الكمالات، ويضاف إلى ربه كل ما يضاف من المظهريات، فيعرف نفسه بربه، بعد معرفته ربه بنفسه، طرداً وعكساً، جمعاً وفرادى، دائماً أبداً؛ لأن دخول الجنة دخول مخلد مؤبد، فيعرف نفسه وربه، من حيث ربه لا من حيث هو، وكان يعرف ربه من حيث نفسه، فحصل له الجمع بين المعرفتين، والتحقق [٥٤ظ] بالحسنيين، وفي هذا المقام [قلت]:

فأنت عبد وأنت رب ... لمن له فيه أنت عبدُ[2]

وأنت رب وأنت عبد ... لمن له في الخطاب عهدُ

فأنت عبد له من حيث وسلطانه عليك، وأنت رب له من حيث ظهور سلطانك فيه، على من دونك وعليه أيضاً، من حيث إجابته لك ولسواك حين تدعوه، فما أنت على كل حال إلاّ تعيين من تعيناته، وتجلٍ من تجلياته، وأنت أيضاً رب من حيث ظهور الربوبية بك وفيك، لرب خاطبك بخطاب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[3] فقلت: بلى، بين العباد الراضين بربوبيته، المرضين

(١) من الطويل.

(٢) من المنسرح، فصوص الحكم، ٩٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

حين قالوا ما قلت، ونالوا ما نلت، وما توجه خطاب من الأحدي الذات إليك خاصة، فلهذا قيل:

فكل عقد عليه شخص يحلّه من سواه عقدُ[1]

فإن عبد اللّطيف والرؤوف على عقده يحلّه عقد وعزيمة عليها القهار المعز، وعبد الظاهر على عقد يحلّه الباطن، وبالعكس فهذا حكم جميع المربوبين والأرباب من غير تخليط ولا تخبيط بين المقامات والعقائد، فكل مرضي عند ربه، فرضي اللّه عن عبيده، فهم مرضيون، ورضوا عنه، فهو مرضي، فتقابلت حضرات الأرباب، وحضرات العباد، تقابل الأمثال؛ لأن كل واحدة من الحضرتين مرضية عند الأخرى، راضٍ بها، فالمثلية بين الحضرات تامة، فالتضاد كذلك، فقابلت كل واحدة غيرها، الضد الضد[2].

إذ المثل الحقيقي كالضد لعدم اجتماعه مع ضده، يعني: بمثله حقيقة، إذ لا تميز؛ لأنها[3] فرضت على الأخرى؛ لأن حقيقتهما واحدة، وإذ لا تميز، فلا بينية، ولا اثنينية، فلا ضدية، ولا مثلية، فما ثمَّ إلاّ وجود واحد، فهو هو لا غيره، فالوجود حقيقة واحدة تعينت في مراتب متميزة عقلاً، فما ثم عقل إلاّ متميزاً، وأيضاً فما ثم مثل يوجب الاثنينية، فالمظهر عين الظاهر، والظاهر عين المظهر، فانظر تشهد الخلق في مرآة الحق، والحق في مرآة الخلق، فترى العجب العجاب:

فلم يبق إلاّ الحق لم يبق كائنُ
فما ثم موصول وما ثم بائنُ[4]
بذا جاء برهان[5] **الحديث فما أرى**
بعيني إلاّ عينه إذ أُعايِنُ

ذلك لمن خشي ربه أن يكونه، لعلمه بالتميز، يعني: لما ثبتت مرتبة الرب عن مرتبة

---

(١) من المنسرح، فصوص الحكم، ٩٢.

(٢) «فرضي اللّه عن عبيده، فهم مرضيون، ورضوا عنه فهو مرضي، فتقابلت الحضرتان تقابل الأمثال، والأمثال أضداد؛ لأن المثلين لا يجتمعان إذ لا يتميزان، وما ثم إلاّ متميز، فما ثم مثل، فما في الوجود مثل، فما في الوجود ضد، فإن الوجود حقيقة واحدة، والشيء لا يضاد نفسه». فصوص الحكم، ٩٢.

(٣) في الأصل «لأنهما».

(٤) من الطويل، فصوص الحكم، ٩٣.

(٥) في فصوص الحكم، ٩٣ (العيان).

العبد، خشي العبد ربه، أن يكون بحصول العلم في العقل بالتميز، فوقف على مركز عبدانيته، مرضياً عند ربه، لكونه راضياً بربوبيته له وعليه، ورضي به الرب غاية الرضى بعبوديته، به وله وعليه وفيه، وقد دلّنا على التميز جهل أعيان في الوجود، بما أتى به عالم فوقع التميز بين العبيد وبين الأرباب، لتفسر الاسم الواحد الإلهي بجميع الوجوه من جميع وجوهه، وذلك من حيث الذات الأحدية، فالمعز لا يفسر بالمذل، والأول لا يفسر بالآخر، والرحيم لا يفسر بالقهار[1]، من حيث خصوصيات الأسماء، ولكنه يفسّر بضده وغيره من حيث عين تلك الذات الأحدية المتجلية بجميع الأسماء؛ لأنه تعالى من حيث ذاته لا ضد له، ولا ند له في الحضرة الأحدية، وفي الحضرة الواحدية [٥٥و] باعتبار كثرة الأسماء، فالأسماء أضداد وأنداد، ولما كان لأسماء الحضرة لكل اسم دلالتان: دلالة على الذات المسماة بالأسماء كلها، فيوضع ويحمل عليه سائر الأسماء؛ لأنه عين تلك الذات المتجلية به، وبالأسماء كلها، ودلالة مخصوصة هي مفهومة، يمتاز بها عن غيره من الأسماء[2]، كالحي من العليم، والقاهر من اللطيف، وكل اسم له خصوصية وحقيقة، وكل حقيقة لها ظهور وآثار في العلم والعين:

فلا تنظر إلى الحقِ وتعريه عن الخلقِ[3]
ولا تنظر إلى الخلقِ وتكسوه سوى الحقِ

يعني أن الحقية تستلزم الخلقية، استلزام الرب للمربوب، والخالق للمخلوق، والإله للمألوه، لما بينهما من التضايف، فلا يلاحظ أحدهما بدون الآخر، وكذا عكسه؛ لأن الاستلزام من التضايف من الجانبين؛ ولأن الخلق إذا نظرته من غير خلعة الوجود الحق، بقي على عدمه

---

(١) «ذلك لمن خشي ربه، أن يكونه لعلمه بالتمييز، دلنا على ذلك جهل أعيان في الوجود بما أتى به عالم، فقد وقع التمييز بين العبيد، فقد وقع التميز بين الأرباب، ولو لم يقع التمييز لفسّر الاسم الواحد الإلهي من جميع وجوهه بما يفسّر الآخر، والمعز لا يفسر بتفسير المذل إلى مثل ذلك، لكنه هو من وجه الأحدية كما نقول في كل اسم إنه دليل على الذات، وعلى حقيقته من حيث هو، فالمسمى واحد، فالمعز هو المذل من حيث المسمى، والمعز ليس المذل من حيث نفسه وحقيقته، فإن المفهوم يختلف في الفهم في كل واحد منهما». فصوص الحكم، ٩٣.

(٢) «فالذي لمسمى اللّه، هو الذي لتلك الصورة، ولا يقال هي هو، ولا هي غيره، وقد أشار أبو القاسم بن قسي في خلعه إلى هذا بقوله: إن كل اسم إلهي يتسمى بجميع الأسماء الإلهية، وينعت بها، وذلك أن كل اسم يدل على الذات وعلى المعنى، الذي سبق له ويطلبه، فمن حيث دلالته على الذات له جميع الأسماء، ومن حيث دلالته على المعنى الذي ينفرد به، يتميز عن غيره، كالرب والخالق والمصوّر إلى غير ذلك». فصوص الحكم، ٧٩.

(٣) فصوص الحكم، ٩٣.

الأصلي؛ لأنه إنْ نظرته كذلك، رجع إلى عدميته الأصلية، فإن الخلق لفظ مفترى على الحق، فإذا عريته عن الحق لم يبق ما سميته[1] به، وما الخلق إلاّ اختلاق وبهتة على الحق:

﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾[2]، وإنما هو تجلي وجوده في بعض مراتب شهوده، فلو نظرت بخِلع الخِلع الوجودية الحقية عنه، لم يبق شيء، فعند ذلك تجد اللّه هناك، يعني تجد اللّه عنده؛ لأنه يستحيل وجود الخلق بدون الحق، ويستحيل حصر الحق في الخلق:

ونَـــزِّهْـــه وشَـــبِّـــهْـــهُ وقُـــمْ فـــي الـــمَـــقـــعَـــدِ الـــصـــدقِ[3]
وكُـــنْ فـــي الـــجـــمـــعِ إنْ شِـــئـــتَ وإن شِـــئـــتَ فـــفـــي الـــفـــرقِ

يعني نزّهه عن [أن] يكون متعيناً بتعين، فيشبه متعيناً آخر، فإذاً يلزم الشرك، وشبّهه بالخلق من حيث الحقيقة، فيكون عين كل متعين، إذ لا موجود سواه، فهو هو، كان ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، فاجمع بين التنزيه والتشبيه، بنفي ما سواه مطلقاً، فتقوم بمقعد الصدق، في مقام التوحيد الذاتي، والجمع بين المطلق والمقيّد، فكن بالجمع ناظراً إلى الحق بدون الخلق، فإن الوجود ليس إلاّ له، بل هو هو، وإن شئت لاحظت الخلق في الحق، بتعدد الواحد بالذات، الكثير بالأسماء والتعينات، فكن في الفرق باعتبار التعينات الخلقية، واندراج الهوية الحقية، في الهوية الخلقية:

تَـــحـــزْ بـــالـــكـــلِّ إن كـــلّ[4] تـــبـــدى قـــصـــبَ الـــســـبـــقِ[5]
فـــلا تـــفـــنـــى ولا تـــبـــقـــى ولا تُـــفـــنـــي ولا تُـــبـــقـــي

يعني: إذا كنت في الجمع وفي الفرق بعد الجمع بحسب المشيئة، تحز قصب السبق بالكل منهما؛ لأن الكل جمع وفرق، كل منهما تبدى لك، بحيث لا تحتجب بأحدهما عن الآخر، فتشهد الخلق حقاً، والحق خلقاً، والحق حقاً، والخلق خلقاً، فلا يحجبك أحد الشهودين من الآخر، ولم يفتك شهوده؛ لأن الكل ليس إلاّ هو، ولا يختلف إلاّ بالاعتبارات، فلا تفنى عند كونك حقاً عن الخلقية، ولا تبقى حقاً بلا خلق؛ لأن الحقيقة واحدة، فلك أن تكون حقاً بلا خلق، أو خلقاً بلا حق، وخلقاً وحقاً معاً، ولا يفنى الخلق عند تجلي الحق،

---

(١) في الأصل «سميه».
(٢) سورة النور، الآية ٣٩.
(٣) من مجزوء الهزج، فصوص الحكم، ٩٣.
(٤) في الأصل «الكل».
(٥) من مجزوء الهزج، فصوص الحكم، ٩٣.

فإنه فانٍ حقيقة في الأزل، فكيف يفنيه، ولا يبقى الحق فإنه باقٍ لم يزل، ولك أن تشهدهما وتبينهما كل في رتبته واحداً في وجود واحد لامعاً:

ولا يُلقى عليك الوحي في غيرٍ ولا تُلقي[1]

لأن معنى الوجود واحد لا غير، فإن كنت عبداً يلقى عليك الوحي منك وفيك، لا من غيرك، ولا في غيرك، وإن كنت رباً فلا تلقى في غير، وما ثم غير؛ لأن الوجود واحد، أُحدٌ في المدد، كثير في العدد، وله الأزل والأبد، والدوام والسرمد، فهو الأول والآخر والباطن والظاهر، وهو بكل شيء عليم، وبتجلي ذاته العزيز، وبأسمائه وصفاته وأفعاله الحكيم، وسبحان اللّه، وما أنا من المشركين، وسلام على المرسلين، والحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على سيدنا (محمد)، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين آمين.

(١) من مجزوء الهزج، فصوص الحكم، ٩٣.

رسالة الوقت والآن

التحقيق

اعتمدت في تحقيق نص رسالة (الوقت والآن) على المخطوطة المرقمة (٣٧٩٥) المحفوظة في دار المخطوطات ببغداد، وهي مجموع في التصوف يقع في (١٠٣ ورقة)[١]، وجاء تسلسل رسالة الوقت والآن في المجموع الرسالة: ١٤، تبدأ الرسالة من الورقة ٩٤ وجه، وحتى الورقة ٩٥ وجه بقياس ١٥ × ١٠ سم، وعدد الأسطر ٢٨ سطراً في كل صفحة، تضمن كل سطر منها ١٢ كلمة تقريباً.

كتبت الرسالة بخط نسخ دارج، على ورق يرقى إلى القرن العاشر الهجري، وخلت الرسالة من اسم الناسخ، لكنه ورد أنها نسخت يوم الجمعة أول يوم في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٨٤ هجرية، دوّنت الرسالة بمداد أسود، بينما دوّن عنوان الرسالة بمداد أحمر في صفحة منفصلة، كذلك الفوارز التي استخدمت كعلامات توقف، وقام الناسخ بتصفيح أوراق الرسالة التي رقمت ترقيماً حديثاً بمداد أحمر.

(١) تمّ الحديث عن هذه المخطوطة ووصفها في المقدمة التحقيقية لرسالة (كشف الستر) فانظرها هناك.

نموذج من رسالة الوقت والآن

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل.

الحمد للّه ولي الحمد ومستحقه، وصلى اللّه على سيدنا (محمد) صفوته من خلقه وآله وصحبه وسلم.

اعلم أيها الأخ الموفق السعيد، بعناية اللّه الحميد المجيد، أن مدار طريق أهل اللّه، وهم السادة الصوفية الموصل إلى اللّه تعالى، على حفظ الوقت، والقيام بحكمه ومرسومه، وهذا الوقت الذي وقع عليه اصطلاح الصوفية، من الأمور الدقيقة الغامضة التي لا يتنبّه لها[1]، إلاّ المؤيد بنور البصيرة القدسية، والمنصور بعناية الحضرة العلية، والحقيقة الإلهية، والمراد به وقت المريد السالك الرامي إشارته إلى الحق، عن قوس صدق العزيمة السائرة على ضوء مصباح اليقظة، أو على ضوء مصباح الكشف الصادق، ولا يزال هذا الوقت مشهداً[2] في باب السلوك، مصاحباً للسالك، حتى يفنى رسم السالك في وجود الحق، ثم يحققه بفني رسم الوقت بالحق، ومن هنا قال[3] المتقدمون من علماء الحق:

«إن الوقت هو الحق لاستغراق رسمه في الحق»[4]، وقد كشف لنا الحق في الوقت أمراً جليلاً ذكرناه في الجزء الثاني من كتاب: (السر الأحدي)[5] وتلخيصه: إن الوقت واحد مشهد، لكنه يختلف بحسب اختلافات المقامات، والمقصود ها هنا: ذكر وقت المريد

---

(١) في الأصل (له).
(٢) في الأصل (مشهد).
(٣) في الأصل (قالوا).
(٤) لم نعثر عليه في المظان التي بين أيدينا.
(٥) لم نعثر على أي إشارة إلى هذا الكتاب في المظان التي بين أيدينا.

الصادق فهو برزخ بين الجلال والجمال، وهو باطنه وباعثه إلى نعت الجمال، وإلى نعت الجلال على السواء، وذلك أن وقت المريد هو آنٌ من الفرد الأحد، الذي هو أجلّ أن يُعبر بوقت، لنزاهته عن الوقت، وسابقيته على الإلهية والفناء والبقاء في شأن الخلق الجديد، المشار إليه بقوله:

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[1]، فالمريد الصادق محتجب في الوقت من أجل المؤقِت، بالقيام فيه بحق العبودية للحق على الحضور، وهو في عين ذلك الوقت ملاحظ[2] لنعت الجمال واللطف، ولنعت الجلال والقهر على السواء، فأما كونه ملاحظاً لنعت الجمال واللطف، فهو من كونه مخصصاً في عين ذلك الزمن الفرد بالوجود، الذي اقتضى الحق منه القيام بالعبودية فيه، التي أوجده لها، ويشهد ذلك من لطف الحق به، ومراعاته إياه، وحسن توجيهه إليه، في عين ذلك الزمن الفرد، وأما ملاحظته لنعت الجلال في عين ذلك الوقت الدقيق، فهو من حيث ملاحظته بسلب وجوده، العائد للّه في عين ذلك الوقت بالعبودية، فإن وجود الكائنات كلها، إنما هو ثوب معار عليها بتخصيص من الحق، ينزعه مالكه إذا شاء بأسرع وقت، فلهذا قلنا لك: إن وقت المريد الصادق [٩٤ظ] برزخ بين الجلال والجمال، فهو لا يشهد في الزمن الفرد العالم فيه للّه بالعبودية، إلاّ مسألة الجواز بين وجوده وعدمه في عين ذلك الوقت وإلى ذلك الإشارة بقولهم:

«الصوفي ابن وقته»[3]، فهو وإن كان مخصصاً في عين ذلك الوقت بالوجود العالم بالعبودية، فهو لا يحكم على الحق باستمداد الوجود إلى ما فوق ذلك الوقت، الذي هو فيه بالوجود، وإن شاء سلب عنه الوجود في عين ذلك الزمن، فالمريد عميٌّ من غير الوقت الدقيق في التحقيق، فيقوم للّه في عين ذلك الوقت الدقيق، بعبودية مودّع على حسب ما يعطيه تحققه في مقام الإشارة، قال عليه السلام:

(إذا صليت، صلِّ صلاة مودع)[4]، وهو الذي لا يرى له وجوداً أبداً على عين وقته الدقيق، الذي هو فيه بالتحقيق، فإذا كانت عبودية المريد عبودية مودّع في مقام الإحسان، الذي أشار إليه بقوله عليه السلام:

---

(١) سورة ق، الآية ١٥.

(٢) في الأصل (ملاحظاً).

(٣) الرسالة القشيرية، ٣٤.

(٤) مسند أحمد، ٤١٢/٥، وسنن ابن ماجه، زهد، ١٥.

(اعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1] وهو مقام المراقبة والحضور، بالمحبة والأدب، حصل الإرب، ونجح القصد، وانطوى رسم الوقت في عين الحق، وهذا هو الصوفي، الذي هو ابن وقته. وقد ورد [في] الحديث حين سئل: من أسعد الناس يا رسول اللّه؟ قال:

(أسعد الناس من لم ينس المقابر والبلى، وعد نفسه من الموتى، ولم يحسب من أيامه غداً)[2]، وهو عين ما ذكرناه؛ فإن قوله صلى اللّه عليه وسلم: ولم يحسب من أيامه غداً بقيت أوقاته الدقيقة الفردية، التي له عند الحضور في الحقيقة، فإن من عدّ نفسه في عين كل وقت دقيق من الموتى، فهو ملاحظ عدمه في الزمن الفرد، ملحوظ من باب نعت الجلال، وإنما ذكر صلى اللّه عليه وسلم الأيام، لكونه مشرّعاً متكلماً عن العامة، فالكلام الجامع الذي يعطيهم[3] مشربه من حيث عمومه، ويعطي [ذا] الحاجة مشربه من حيث خصوصه.

وهذا مطّرد في كلام اللّه، وفي كلام رسوله؛ فإن الحاجة لا تقع عندهم إلاّ أيام الرب، التي هي الشهور الإلهية في متعلقاتها؛ لكونهم طالعوا سر الألوهية في المخلوقات، وفرض فعل القدرة وانفعالها في الزمن الفرد، فلم يقع عندهم من العبارة المحمدية والأمر المطابق للمعنى الإلهي.

وأما العامة، فأخذوا اللفظ من حيث عمومه، وساغ لهم مشربه من هذه الحيثية، لتوسع الرحمة المنزّلة إليهم، المشار إليها بقوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]. فاعلم هذا أيها الأخ الموفق السعيد، واحفظ الوقت المشار إليه:

﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾[5]، فإن السر كله في حفظ الوقت، والقيام بحكمه

---

(١) أخرجه البخاري في جامعه ١٩٢/١، في الإيمان برقم ٤٧، ومسلم ١٨/١، في أول كتاب الإيمان، وأبو داود في السنن، ٥٢٦/٢، والترمذي في الإيمان برقم ٢٦١٣، وابن ماجه ١٧/١ في الإيمان، وأحمد في مسنده، ٢٧/١ و٥١ و٥٣ و٣١٩.

(٢) الترمذي، قيامة، ١٧.

(٣) في الأصل «يعطهم».

(٤) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٥) سورة ق، الآية ١٥.

ومرسومه، فافهم هذه السدنة[1] الصغيرة، فإنها جليلة القدر، واللّه يقول الحق، وهو يهدي السبيل، والحمد للّه وحده وصلى اللّه على سيدنا (محمد) وعلى آله وصحبه بعده، وعلى أتباعه وجنده وسلم [٩٥و].

(١) «السدن الستر والجمع أسدان»، وقيل النون هنا بدل من اللام في أسدال». لسان العرب، مادة «سدن» ٦٩/١٧، ولعل المعنى الذي قصده ابن عربي من السدنة «هو السر».

كتاب الهُوَ

التحقيق

اعتمدتُ في تحقيق رسالة (كتاب الهوَ) على مخطوطتين أساسيتين حفظتا في دار المخطوطات ببغداد:

ـ الأولى برقم (١٩٨٩) وهي مجموع في التصوف يقع في (١١٥) ورقة، تعرّضت المخطوطة لآثار الرطوبة والأرضة، وتفككت معظم أوراقها، ولكن لحسن الحظ لم تتأثر متون الرسائل بهذه الأضرار، تتضمن المخطوطة مجموعة كتب ورسائل في التصوف هي:

١) كتاب العبادلة[١] لابن عربي (من ١ وجه إلى ٩ ظهر).

٢) مختارات شعرية بعضها لابن عربي (من ١٠و ـ ١١و).

٣) كتاب الهُوَ رسالتنا هذه (من ١١ظ ـ ١٦ظ).

٤) فوائد ملتقطة من الرسالة القشيرية (من ١٧و ـ ٢٧).

٥) شرح موال في الحقيقة (٢٧و ـ ٢٩ظ).

٦) فوائد تحقيقية من كلام الشيخ الأكبر والصدر القونوي (٢٩ظ ـ ٣٩ظ).

٧) شرح الرسلانية لعبد الغني النابلسي (٣٩ظ ـ ٨٦ظ).

٨) نخبة المسألة في شرح التحفة المرسلة لعبد الغني النابلسي (٨٦ظ ـ ١٠٨و).

٩) الفتوحات الإلهية لأبي يحيى زكريا الأنصاري (١٠٨ظ ـ ١١٣و).

١٠) نبذة في بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب (١١٣ظ ـ ١١٥و).

---

(١) طبع بتحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة القاهرة ١٩٦٩م.

وصف النسخة:

ـ مقاس الصفحات: ٢٠ × ١٣,٥ سم.

ـ عدد الأسطر: ٢٥ سطراً.

ـ عدد كلمات السطر: ١٢ كلمة.

ـ نوع الخط: خط نسخ دارج.

ـ نوع الجلد ولونه: جلد قديم أحمر على هيئة حافظة.

ـ نوع الورق: ورق أسمر دمشقي حائل اللون مائل إلى الصفرة خشن الملمس، ترقى صناعته إلى بداية القرن الثاني عشر الهجري.

ـ الناسخ: تخلو المخطوطة من ذكر اسم الناسخ.

ـ تاريخ النسخ: ٢١ ربيع الأول سنة ١١٣٣هـ.

التملكات:

دوّن على الورقة الأولى من المخطوطة بخط نسخ وبمداد أحمر ما نصّه: (نظر فيه واستفاد منه عذير [كذا] معانيه، داعياً لمالكه بالبقاء والعلو... تراب أقدام السالكين السيد ابن... ابن الحكيم الصالحي من دمشق، دعا له في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ألف). ودوّن على الورقة نفسها بخط فارسي وبمداد أسود باهت ما نصّه: (علي أبو النور الجربي، الواعظ العام بمصر عفا اللّه عنه ١٣٣٨هـ)، وكتبت المخطوطة بمداد أسود، ما عدا العناوين التي دوّنت بمداد أحمر، ولم يخصص لها الناسخ صفحات خاصة.

ـ الثانية:

برقم (٣٥٧٦٦)، المحفوظة في دار المخطوطات ببغداد، وهي مجموع صوفي يقع في (١٣٤) ورقة، يضم (١٥) كتاباً ورسالة في التصوف والنحو والشعر والحساب وغيرها، يبدأ كتاب الهو من الورقة ٤٢ ظهر، وينتهي بالورقة ٤٦ وجه، والنص في هذه النسخة سقيم يخلو من فقرات كاملة مقارنة بالنسخة الأم، التي تقدم الحديث عنها، ولكننا حاولنا الاستفادة من هذه النسخة لترميم النص النهائي، وأشرنا إلى ذلك في الهامش، دون أن نشير إلى مواضع النقص في هذه النسخة لعدم جدوى هذه الإشارة، ولكي لا نثقل النص بهوامش تخلو من الفائدة.

وصف النسخة:

ـ مقاس الصفحات: ٢٤ × ١٥,٥ سم.

ـ عدد الأسطر: ٢٤ سطراً.

ـ عدد كلمات السطر: عشر كلمات.

ـ نوع الخط: نسخ متأخر.

ـ نوع الجلد ولونه: جلد حديث أسود.

ـ نوع الورق ولونه: ورق أبيض مصفر، خشن الملمس، ترقى صناعته إلى القرن الثالث عشر الهجري.

ـ اسم الناسخ: إبراهيم السمنودي المنصوري.

ـ تاريخ النسخ: ٢٢ شوال سنة ١٣٠١هـ.

التملكات:

دوّن أحد مالكي هذه النسخة على الورقة (١ وجه) وبقلم الرصاص تملكاً نصّه: (ملك هذا، الفقير خادم العلم الشريف إبراهيم الرزاز، اللّهم افتح عليه بالعلم والقرآن، وارزقه العمل لما فيهما يا كريم، واغفر له ولوالديه ولمشايخه والاخوان ولجميع المسلمين، آمين ربّ العالمين).

بالربوبية فقد جعل ذلك الشيء ايضا ربا محتاجا الى الله بالربوبية
ومن جوز ان يكون مع الله شيء يقوم بنفسه او يقوم به وجوفان عن وجوده
او من فنايه ممنوع بعيد بعيد ما شم رايحة معرفة النفس لان من جوز ان
يكون موجود اسواه قايما به وفيه بصير فانيا وفناؤه يصير فانيا
في فنايه فيتسلسل الفنا بالفنا وحسن اشرك بعد شرك وليس بمعرفة النفس
لا من شرك لا عرف لا بالله ولا بنفسه فان قال قايل كيف السبيل الى معرفة
النفس ومعرفة الله تعالى فالجواب سبيل معرفتهما ان تعلم ان الله عز وجل
كان ولم يكن معه شيء وهو الان كما كان فان قال قايل اريد نفسي غير الله
ولا اريد الله نفسي فالجواب اراد النبي صلى الله عليه وسلم بالنفس وجودك
وحقيقتك لا النفس المسماة بالمقامة والامارة والمطمينة بل اشار
بالنفس الى ما سوى الله عز وجل حيما قال عليه السلام اللهم ارنا الاشياء
كما هي عيانا اشار بالاشياء الى ما سوى الله تعالى اي عرفني الذي سواك
لاعلم واعرف الاشياء اي شيء هي اهي انت ام غيرك او هي قديم ام
حادث ام باقام فان فاز اراه الله ما سواه نفسه بلا وجود ما سواه فرأى الاشياء
فراى الاشياء كما هي اعني راى الاشياء ذات الله تعالى له كيف ولا اين
ولا اسم الاشياء يقع على النفس وغيرها من الاشياء فان وجود النفس
ووجود الاشياء سيان في الشبهة فمتى عرف الاشياء عرف النفس ومتى
عرف النفس فقد عرف الرب لان الذي يظن انه سوى الله ليس هو بل
عين الله سوى الله تعالى ولكنه لا تعرفه وانت تراه ولا تعلم انك تراه
ومتى يكشف لك هذا السر علمت انك لست ما سوى الله تعالى وعلمت انك
كنت مقصودك ومطلوبك في طلبك ربك وعرفت انك تحتاج الى الغنا
وانك لم تزل ولا تزال بلا حين ولا اوان كما ذكرنا من قبل وترى جميع صفاتك
صفاته وظاهرك ظاهره وباطنك باطنه واولك اوله واخرك اخره
بلا شك ولا ريب حينئذ المعرفة اما قبلها فلا ترى صفاتك صفاته في ذاتك
ذاته بلا تصوير ورتبك اياه وتصويرته اياك لا بقليل ولا كثير كل شيء

نموذج من كتاب الهو

بسم الله الرحمن الرحيم (*)

وبه ثقتي وعليه اعتمادي.

الحمد للّه وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، روي عن النبي صلى اللّه عليه وسلم في بيان قوله: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[1]، الحمد[2] للّه الذي لم يكن قبل وحدانيته قبل الا والقبل هو، ولم يكن بعد فردانيته بعد الا والبعد هو، كان ولا بعد معه ولا قبل، ولا فوق ولا تحت، ولا قرب ولا بعد، ولا كيف ولا أين، ولا حين ولا أوان، ولا وقت ولا زمان، ولا كون ولا مكان، وهو الآن كما كان، هو الواحد بلا وحدانية، وهو

(*) نسب (حاجي خليفة) هذه الرسالة إلى (البلباني)، في كشف الظنون (/) بعنوان: (الرسالة البلبانية في الوحدة الوجودية)، وهو العنوان نفسه في نسخة (أ) المعتمدة في التحقيق، فيما عنونت النسخة (ب) ــ التي لم تنسب لأحد ــ بـ (رسالة في وحدة وجود اللّه سبحانه وتعالى). ومن تفحص هذين العنوانين يتضح أنهما صياغات متأخرة عن عصر (ابن عربي)، الذي لم يستخدم مصطلح (وحدة الوجود) كما هو معلوم. وبعد تفحصنا لفهرست مؤلفات (ابن عربي)، الذي ألّفه سنة ٦٣٢هـ، بتحقيق (كوركيس عواد)، تبين أن هناك كتاباً واحداً باسم (كتاب الهو)، وهو غير (كتاب الياء)، المطبوع على أنه (كتاب الهو) ضمن رسائل (ابن عربي)، طبعة حيدر آباد. وبرجوعنا إلى الفقرات العديدة من هذه الرسالة، التي أوردتها د. (سعاد الحكيم) في (المعجم الصوفي) ــ وهي من كبار دارسي (ابن عربي)، معتمدة على نسخة (رياض حمدان)، المحفوظة في مكتبته الخاصة بدمشق، والمنسوبة لـ (ابن عربي)، دون لبس تبين أن هذه الفقرات مطابقة تماماً لنسختينا المعتمدتين في التحقيق، الأمر الذي أكّد لنا صحة نسبة هذه الرسالة إلى (ابن عربي) لا سيما أن (د. سعاد الحكيم) لم تشر إلى عكس ذلك، وهي التي اطلعت على عدد كبير من آثار (ابن عربي) المخطوطة والمطبوعة، لإنجاز (المعجم الصوفي)، ولم تناقش نسبة هذه الرسالة. فضلاً عن ذلك أننا لم نجد بعد ــ فحصنا لأفكار هذه الرسالة ــ ما يعارض ما ذهبت إليه د. سعاد الحكيم. وعليه أثبتنا العنوان الصحيح.

(١) ورد الحديث في كشف الخفاء، ٢٦٢/٢ برقم (٢٥٣٢).

(٢) بداية نسخة (ب).

الفرد بلا فردانية،ليس مركباً من الاسم والمسمى، فإن اسمه هو، والمسمى هو، فلا اسم غيره، ولا مسمى غيره، فلهذا هو[١] الاسم والمسمى، هو الأول بلا أولية، وهو الآخر بلا آخرية، وهو الظاهر بلا ظاهرية، وهو الباطن بلا باطنية. أعني: أنه وجود حروف الأول، وهو وجود حروف الآخر، وهو وجود حروف الظاهر، وهو وجود حروف الباطن فلا أول ولا آخر، ولا ظاهر ولا باطن إلاّ هو، وجود حروف الباطن هو، وجود حروف الظاهر هو، وجود حروف الأول هو، وجود حروف الآخر هو، ولا ظاهر ولا باطن إلاّ هو، بلا صيران وجود[٢] هذه الحروف وجوده، وصيران وجود هذه الأحرف هو. فافهم هذا لئلا تقع في غلط الحلولية.

لا هو في شيء، ولا شيء فيه، لا داخلاً ولا خارجاً، ينبغي أن تعرفه بهذه الصفة[٣]، لا بالعلم ولا بالعقل، ولا بالفهم ولا بالوهم، ولا بالحس ولا بالعين الظاهرة، ولا بالعين[٤] الباطنة ولا بالادراك، لا يراه إلاّ هو ولا يدركه إلاّ هو، و[٥] لا يعلمه إلاّ هو، يرى نفسه بنفسه، ويعرف نفسه بنفسه، لا يراه أحد غيره، ولا يدركه أحد غيره[٦]، حجابه وحدانيته لا يحجبه شيء غيره، حجابه وجوده، تستر وجوده بوحدانيته بلا كيف، لا يراه أحد غيره ولا يدركه غيره[٧]، لا نبي مرسل ولا ولي كامل ولا ملك مقرب يعرفه، نبيه هو ورسوله هو، ورسالته هو وكلامه هو، أرسل نفسه بنفسه إلى نفسه ولا[٨] واسطة ولا سبب غيره، ولا تفاوت بين المرسِل والمُرسَل، والمرسَل به والمرسل إليه، ووجود حرف اللّه[٩] وجوده، لا غيره ولا فناه، ولا اسمه ولا مسماه، ولا وجوده بغيره، فلهذا قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: (من عرف [١١ ظ] نفسه فقد عرف ربه)، وقال عليه الصلاة والسلام: (عرفت ربي بربي)[١٠] أشار عليه السلام

---

(١) (هو) حاشية.

(٢) (وجود) زيادة من (ب).

(٣) في (ب) (الصفات).

(٤) (الظاهرة ولا بالعين) زيادة من (ب).

(٥) (الواو) زيادة من (ب).

(٦) (ولا يدركه أحد غيره) زيادة من (ب).

(٧) (ولا يدركه أحد غيره) زيادة من (ب).

(٨) في (ب) بلا.

(٩) في (ب): (حروف النبي).

(١٠) لم نعثر عليه في مظان الحديث التي بين أيدينا.

بذلك أنك لست أنت أنت، بل أنت هو بلا أنت[1]، لا هو داخل فيك، ولا أنت داخل فيه، ولا هو خارج عنك، ولا أنت خارج عنه، ما أعني بذلك: أنك موجود وصفتك هكذا بلا غير له[2]، بل أعني به: أنك ما كنت قط ولا تكون، لا بنفسك ولا به، ولا فيه ولا معه ولا عنه ولا منه ولا له، ولا أنت فانٍ ولا موجود، أنت هو وهو أنت، بلا علة من هذه العلل. فإن عرفت وجودك بهذه الصفة، فقد عرفت اللّه، وإلاّ فلا. وأكثر العارفين أضافوا معرفة اللّه إلى فناء الوجود، وفناء الفناء، وذلك غلط محض[3] وسهو واضح، فإن معرفة اللّه تعالى لا تحتاج إلى فناء الوجود، ولا إلى فناء فنائه؛ لأن الأشياء لا وجود له، وما لا وجود له لا فناء له، فإن الفناء بعد إثبات الوجود. فإذا عرفت نفسك بلا وجود ولا فناء، فقد عرفت اللّه تعالى، وإلاّ فلا.

وفي إضافة معرفة اللّه تعالى إلى فناء الوجود، وإلى فناء فنائه إثبات للشرك[4]؛ لأنك إذا أضفت معرفة اللّه تعالى إلى فناء الوجود وفناء الفناء، كان الوجود لغير اللّه تعالى ونقيضه، وهذا شرك واضح؛ لأن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: (من عرف نفسه، فقد عرف نفسه)، ولم يقل: من أفنى نفسه فقد عرف ربه، فإن إثبات[5] الغير يناقض فناءه، وما لا يجوز ثبوته لا يجوز فناءه، ووجودك لا شيء و [اللاشيء][6] لا يضاف إلى شيء لا فانٍ ولا غير فانٍ، ولا موجود ولا معدوم. أشار عليه السلام إلى أنك معدوم الآن، كما كنت معدوماً قبل التكوين، فالآن ـ لقوله عليه السلام: (كان اللّه ولا شيء معه...)[7] الحديث[8] ـ الأزل، والآن الأبد، والآن القدم. فاللّه هو وجود الأزل، ووجود الأبد، ووجود القدم بلا وجود الأزل والأبد والقدم، فإن لم يكن كذلك، ما كان وحده لا شريك له وواجب أن يكون وحده لا شريك له، كان شريكه هو الذي يكون وجوده[9] بذاته لا بوجود اللّه، فيكون إذاً رباً ثانياً، وذلك محال، فليس للّه شريك ولا ند ولا كفؤ ومن رأى شيئاً مع اللّه تعالى، أو من اللّه،

---

(١) في (ب): (أنك لست أنت هو، وهو أنت بلا أنت).

(٢) (بلا غير له) زيادة من (ب).

(٣) (محض) زيادة من (ب).

(٤) (إثبات للشرك) زيادة من (ب).

(٥) في (ب): (فناء).

(٦) في (أ): (الشيء) وفي (ب): (لا شيء) والصواب ما أثبتناه.

(٧) ورد الحديث بلفظ: «كان اللّه ولم يكن شيء قبله» صحيح البخاري: باب التوحيد، حديث رقم (٢٢)، ومسند (ابن حنبل)، المجلد الثاني، حديث رقم (٤٣١).

(٨) (لقوله عليه السلام: كان اللّه ولا شيء معه... الحديث) حاشية.

(٩) (أن يكون وحده لا شريك له، كان شريكه هو الذي يكون وجوده) زيادة من نسخة (ب).

أو في اللّه، وذلك الشيء يحتاج إلى اللّه [١٢و] بالربوبية، فقد جعل ذلك الشيء أيضاً شريكاً محتاجاً إلى اللّه بالربوبية، ومن جوَّز أن يكون مع اللّه شيء يقوم بنفسه أو يقوم به وهو فانٍ عن وجوده أو من فنائه، فهو بعد بعيد، ما شمّ رائحة معرفة النفس؛ لأن من جوَّز أن يكون موجود[١] سواه قائماً به وفيه، يصير فانياً، وفناؤه يصير فانياً في فنائه، فيتسلسل الفناء بالفناء، وهذا شرك بعد شرك، وليس معرفة للنفس؛ لأنه شرك لا عارف باللّه، ولا بنفسه.

فإن قال قائل: كيف السبيل إلى معرفة النفس ومعرفة اللّه؟

فالجواب: سبيل معرفتهما أن تعلم أن اللّه عزّ وجل كان ولم يكن معه شيء، وهو الآن كما كان. فإن قال قائل: أرى نفسي غير اللّه ولا أرى اللّه نفسي!

فالجواب: أراد النبي صلى اللّه عليه وسلم بالنفس: وجودك وحقيقتك، لا النفس المسماة باللوامة والأمارة المطمئنة، بل أشار بالنفس إلى ما سوى اللّه عزّ وجل جميعاً.

قال عليه السلام: (اللّهم أرني الأشياء كما هي عياناً)[٢] أشار بالأشياء إلى ما سوى اللّه تعالى. أي عرِّفني الذي سِواك، لأعلم وأعرف الأشياء، أي شيء هي؟ أهي أنت أم غيرك؟ أم هي قديم أو حادث؟ أو باقٍ أم فانٍ؟ فإن أراه اللّه ما سواه نفسه بلا وجود ما سواه من الأشياء، فرأى الأشياء كما هي، أعني: رأى الأشياء ذات اللّه تعالى بلا كيف، ولا أين ولا اسم. واسم[٣] الأشياء يقع على النفس وغيرها من الأشياء، فإن وجود النفس ووجود الأشياء سيان في الشيئية. فمتى عرف الأشياء، عرف النفس، ومتى عرف النفس، فقد عرف الرب؛ لأن الذي يظن أنه سوى اللّه، ليس هو سوى اللّه[٤]، بل عين اللّه سوى اللّه تعالى، ولكنك[٥] لا تعرفه وأنت تراه، ولا تعلم أنك تراه، ومتى كُشف لك هذا السّر، علمت أنك لست ما سوى اللّه تعالى، وعلمت أنك كنت مقصودك ومطلوبك في طلبك ربك، وعرفت أنك لا تحتاج إلى الفناء ولا إلى فناء الفناء[٦]، وأنك لم تزل ولا تزال بلا حين ولا أوان، كما ذكرنا من قبل،

---

(١) في الأصل (موجوداً).

(٢) لم نعثر عليه في مظان الحديث التي بين أيدينا.

(٣) (اسم) حاشية.

(٤) (سوى اللّه) زيادة من (ب).

(٥) في الأصل (لكنه) والتصحيح من (ب).

(٦) (ولا إلى فناء الفناء) زيادة من (ب).

وترى جميع صفاتك صفاته، وظاهرك ظاهره، وباطنك باطنه، وأولك أوله، وآخرك آخره، بلا شك ولا ريب حين المعرفة، أما قبلها فلا ترى صفاتك صفاته، وذاتك ذاته بلا صيرورتك إياه، وصيرورته إياك لا بقليل ولا كثير، ﴿كُلُّ شَيْءٍ [١٢ظ] هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[١]، بالظاهر والباطن. يعني: لا موجود إلاّ هو، ولا وجود لغيره، فيحتاج إلى الهلاك ويبقى وجهه.

أعني: لا شيء موجود إلا وجهه، فكما أن من لم يعرف شيئاً، ثم عرفه، فأفنى وجوده بإفناء جهله، ما أفنى وجوده، بل أفنى جهله، ووجوده باقٍ بحاله من غير تبديل وجوده بوجود آخر، ولا ترك وجود المنكِر بوجود العارف ولا تداخل، بل ارتفع الجهل، فلا تظن أنك تحتاج إلى الفناء، فإن احتجت إلى الفناء، فأنت إذاً حجابه، والحجاب غير اللّه سبحانه، فيلزم من غلبة غيره عليه بالرفع عن رؤيته له. وهذا[٢] غلط وسهو، وقد ذكرنا من قبل أن وحدانيته حجابه وفردانيته لا غيره، ولهذا جاز للواصل إليه على الحقيقة[٣] أن يقول: «أنا الحق»[٤]، وأن يقول: «سبحاني»[٥]، وما وصل واصل إليه إلاّ ورأى صفاته صفات اللّه، وذاته ذات اللّه، بلا صيران[٦] صفاته وذاته، ولا داخلاً في اللّه ولا خارجاً منه قط، ولا إنه فانٍ في اللّه أو ولا باقٍ في اللّه، ويرى نفسه أنه لم يكن قط، ولا إنه كان، ثم فُني، فإنه لا نفس إلاّ نفسه، ولا وجود إلاّ وجوده، وإلى هذا أشار النبي صلى اللّه عليه وسلم بقوله: (لا تسبوا الدهر، فإن اللّه هو الدهر)[٧]، إشارة إلى أن وجود الدهر وجود اللّه تبارك وتعالى عن الشريك والند والكفؤ. وروي عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: [قال] تعالى: (يا عبدي! مرضت فلم تعدني، وسألتك فلم تعطني)[٨]، وإلى غير ذلك، إشارة إلى أن وجود السائل وجوده، ووجود المريض وجوده،

---

(١) سورة القصص، الآية ٨٨.

(٢) في الأصل (وهنا).

(٣) في الأصل (على الحقية).

(٤) إشارة إلى بيت (الحلاج):

(فأنا الحق حق للحق حق لابس ذاته فما ثم فرق)

ديوان الحلاج، ٤٨، وانظر كذلك كتاب الطواسين: طاسين الأزل والالتباس.

(٥) إشارة إلى بيت (الحلاج):

(أنا أنت بلا شك فسبحانك سبحاني)

ديوان الحلاج، ٥٨.

(٦) في (ب): (كون).

(٧) مسند أحمد بن حنبل: ٢٩٩/٥، ٢١١.

(٨) صحيح مسلم، بر ٤٣.

فمتى جاز أن يكون وجود السائل وجوده، ووجود المريض وجوده، جاز أن يكون وجودك وجوده، ووجود جميع الأشياء من المكونات ـ من الأعراض والجواهر ـ وجوده، ومتى ظهر سر ذرة من الذرات ظهر سر جميع المكونات الظاهرة والباطنة، ولا ترى الذرات سوى اللّه تعالى، بل وجود الذرات اسمها ومسماها، ووجودها كلها هو بلا شك ولا ريب، ولا ترى أن اللّه سبحانه خلق الأشياء قط، بل ترى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] من إظهار وجوده وإخفائه بلا كيفية؛ لأنه ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ [١٣و] بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]. ظهر بوحدانيته وبطن بفردانيته، وهو الأول بذاته وقيوميته، وهو الآخر بديموميته، وجود حروف الأول هو، ووجود حروف الآخر هو، ووجود حروف الظاهر هو، ووجود حروف الباطن هو، هو اسمه وهو مسماه، وكما يجب وجوده، يجب عدم ما سواه، فإن الذي يظن أنه سواه، ليس سواه[3]؛ لأنه منزّه عن أن يكون غيره، بل غيره هو، هو بلا غيرية الغير مع وجود في وجوده ظاهراً أو باطناً، ولمن اتصف بهذه الصفة أوصاف كثيرة لا حدّ ولا نهاية لها، فكما أن من مات بصورته، وانقطعت جميع أوصافه عنها المحمودة والمذمومة، كذلك من مات بالموتة المعنوية، ينقطع عن جميع أوصافه المحمودة والمذمومة، ويقوم اللّه تعالى مقامه في جميع الحالات، ويقوم مقام ذاته ذات اللّه تعالى، ومقام صفاته صفاتُ اللّه تعالى، ولذلك قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: (موتوا قبل أن تموتوا)[4]، وقال صلى اللّه عليه وسلم: (لايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه وبصره ويده ورجله)[5] إلى آخره فأشار إلى أن من عرف نفسه، يرى جميع وجوده سبحانه وجودَه، ولا يرى تغيراً في ذاته ولا في صفاته، إذ لم يكن هو موجوداً بذاته، بل كان جاهلاً بمعرفة نفسه، فمتى عرفت نفسك، ارتفعت أنانيتك، وعرفت أنك لم تكن غير اللّه سبحانه، فإن كان لك وجود مستقل، لا تحتاج إلى الفناء ولا إلى معرفة النفس، فتكون رباً سواه، تعالى اللّه أن يوجد ربٌ سواه، ففائدة معرفة النفس: أن تعلم وتتحقق أن وجودك ليس بموجود ولا معدوم، وأنك لست كائناً، ولا كنت ولا تكون قط، ويظهر بذلك معنى قوله «لا إله إلاّ اللّه» إذ لا إله غيره، ولا وجود لغيره، ولا غير موجود سواه، ولا إله إلاّ إياه. فإن قال قائل: عطلت ربوبيته؛ لأنه لم يزل رباً ولا مربوب، ولم يزل

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٢٩.

(٢) سورة الحديد، الآية ٣.

(٣) (ليس سواه) حاشية.

(٤) سنن ابن ماجه، فتن ٢٤.

(٥) صحيح البخاري رقاق، ٣٨، مسند أحمد بن حنبل، ٢٥٦/٦.

خالقاً ولا مخلوق، وهو الآن كما كان، خالقيته وربوبيته لا تحتاج إلى مخلوق ومربوب، ولم يزل خالق عن خالقيته، ولا مخلوق عن مخلوقيته، بل للّه الحكمة البالغة فيفعل ما [١٣ظ] يشاء بقدرته، ويحكم ما يريد بحكمه، فهو قبل تكوين المكونات[١]، كان موصوفاً بجميع أوصافه، وهو الآن كما كان، فلا تفاوت بين الحدوث[٢] وبين القدم، فالحدوث مقتضى ظاهريته، والقدم مقتضى باطنيته، ظاهره باطنه، وباطنه ظاهره، أوله آخره، وآخره أوله، والجميع واحد، والواحد جميع، كانت صفته ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٣]، وما كان معه شيء سواه، وهو الآن كما كان، ولا وجود سواه بالحقيقة، كما كان في الأزل وفي القدم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، ولا يوم ولا شأن، كما لو لم يكن في القدم لا شأن ولا يوم، فوجود الموجودات وعدمها سيان، وإلاّ لزم طريان طرأ في وحدانيته، وذلك نقص، وجلّت وحدانيته عن ذلك. فمتى عرفت نفسك بهذه الصفة من غير إضافة ضد وند وكفؤ[٤] وشريك إلى اللّه تعالى، فقد عرفتها بالحقيقة. ولذلك قال صلى اللّه عليه وسلم: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، فإنه عليه الصلاة والسلام عَلِمَ ورأى أن لا شيء سواه، ثم أشار إلى [أن] معرفة النفس هي معرفة اللّه تعالى، أي اعرف نفسك، أي وجودك أنك لست أنت، ولكنك لا تعرف، أي اعرف أن وجودك ليس بوجودك، ولا غير وجودك، فلست بموجود ولا بمعدوم، ولا غير موجود ولا غير معدوم، وجودك وعدمك وجوده بلا وجود وعدم؛ لأن عين وجودك وعدمك وجوده؛ ولأن عين وجوده عين وجودك وعدمك، فإن رأيت الأشياء بلا رؤية شيء آخر مع اللّه وفي اللّه أنها هو، فقد عرفت نفسك، فإن معرفة النفس بهذه الصفة، هي معرفة اللّه بلا شك ولا ريب، ولا تركيب شيء من الحدوث مع القدم وفيه وبه. فإن سأل سائل: كيف السبيل[٥] إلى وصاله؟ فأنت تقول: لا غيرٌ سواه، والشيء الواحد لا يصل إلى نفسه.

فالجواب: لا يُشك أنه في الحقيقة لا وصل ولا فصل، ولا بعد ولا قرب، لأنه لا يمكن الوصال إلاّ بين الاثنين، فإن لم يكن إلاّ واحد[٦]، فلا وصل ولا فصل، فإن الواصل يحتاج إلى شيئين متساويين أو غير متساويين، فإن كانا متساويين فهما شيئان [١٤و]، وإن

(١) في (أ): (المكنونات) والتصحيح من (ب).
(٢) في (أ): (الحدث) والتصحيح من (ب).
(٣) سورة الرحمن، الآية ٢٩.
(٤) في الأصل (ضداً وندا وكفؤاً).
(٥) (السبيل) حاشية.
(٦) في الأصل (واحداً).

كانا غير متساويين فهما ضدان، وهو تعالى منزّه عن أن يكون له ضد وند[1] وشبيه، فالوصال في غير الوصال، والقرب في غير القرب، والبعد في غير البعد، فيكون وصل بلا وصل، وقرب بلا قرب، وبعد بلا بعد.

فإن قيل: فهمنا الوصل بلا وصل، فما معنى القرب بلا قرب؟ والبعد بلا بعد؟ فالجواب أنك: في أول القرب والبعد لم تكن شيئاً سوى اللّه، ولكنك لم تكن عارفاً بنفسك، ولم تعلم أنك هو بلا أنت، فمتى وصلت إلى اللّه تعالى، أي عرفت نفسك بلا وجود حروف العرفان، علمت أنك كنت إياه، وما كنت تعرف قبل أنك هو، أو غير هو، فإذا حصل لك العرفان، علمت أنك عرفت اللّه باللّه لا بنفسك، مثال ذلك: هو أنك لا تعرف بأن اسمك (محمود)، ومسماك (محمود)، فإن الاسم والمسمى في الحقيقة واحد، وتظن أن اسمك (محمد)، وبعد حين عرفت أنك (محمود)، فوجودك بالقرار، واسم (محمود) ومسمى (محمد) ارتفع عنك بمعرفتك نفسك أنك (محمود)، ولم تكن (محموداً) إلاّ بفنائك لاسم (محمد)، وهي نفس وجودك؛ لأن الفناء يكون بعد إثبات وجودك، فإن إثباتك وجودك مع وجوده شرك باللّه سبحانه وتعالى، فما نقص بهذا المثال (لمحمود) شيء ولا (محمد) فُنيَ في (محمود)، ولا دخل (محمود) في (محمد)، ولا خرج منه، فبعد ما عرف (محمود) نفسه أن (محمود) لا (محمد)، فقد عرف نفسه بنفسه لا (بمحمد)، فإن (محمداً) لم يكن أصلاً، بل هو (محمود) على أصله (كان اللّه ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان)، فإذا العارف والمعروف واحد، والواصل والموصول واحد، والرائي والمرئي واحد، والمحب والمحبوب واحد، والعارف صفته، والمعروف ذاته، والواصف[2] والموصوف ذاته، والصفة والموصوف واحد. هذا بيان (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، فمن فهم هذا المثال، علم أنه لا وصل ولا فصل، وعلم أن العارف هو المعروف، والرائي هو المرئي، والواصل هو الموصول، وما وصل إليه غيره، وما انفصل عنه غيره، فمن فهم ذلك خلص عن الشرك، وإلاّ لا يجد رائحة الخلاص عن الشرك، وأكثر [١٤ظ] العارفين الذين ظنوا أنهم عرفوا أنفسهم وعرفوا ربهم[3]، وأنهم خلصوا من علقة الوجود، قالوا إن الطريق لا يتيسر إلاّ بالفناء وبفناء الفناء، وذلك لعدم فهمهم قول النبي صلى اللّه عليه وسلم، ولظنهم أنهم يمحون الشرك بإشاراتهم طوراً إلى نفي الوجود. أي فناء الوجود، وطوراً إلى فناء الفناء، وطوراً إلى محق المحق، وطوراً إلى الاصطلام، فهذه الإشارة كلها شرك

---

(١) في الأصل (ضداً وندأ).

(٢) في الأصل (الواصل) والصواب ما أثبتناه.

(٣) (عرفوا ربهم) حاشية.

محض، فإن من جوّز أن يكون شيء سواه، فيفنى بعد وجود فنائه، فقد أثبت شيئاً ما سواه، ومن أثبت شيئاً ما سواه، فقد أشرك باللّه تعالى. أرشدهم اللّه وإيانا إلى سواء السبيل، بمنّه وكرمه ولاحول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم.

قلت:

ظننت ظنوناً بأنك أنتَ ... وما أن تكون ولا قطّ كنتَ[1]
فإن أنت أنت فإنك ربّ ... وثاني اثنين دع ما ظننتَ
فلا فرق بين وجوديكما ... فما بان عنك ولا عنه بنتَ[2]
فإن قلت جهلاً بأنك غيرٌ ... خشنت وإن زال جهلك لنتَ
فوصلك هجر وهجرك وصل ... وبعدك قربٌ بهذا حَسُنتَ
دع العقل وافهم بنور انكشاف ... لئلا يفوتك ما عنه صنتَ
ولا تشرك مع اللّه شيئاً ... لئلا تهون وبالشرك هنتَ

فإن قال قائل: أنت تشير إلى أن عرفانك نفسك هو عرفان اللّه تعالى، والعارف بنفسه غير اللّه، وغير اللّه كيف يعرف اللّه؟ ومن لم يعرف اللّه[3] كيف يصل إليه؟ فالجواب: من عرف نفسه علم أن وجوده ليس بوجوده، ولا غير وجوده، بل وجوده وجود اللّه بلا صيرورة[4] وجوده وجود اللّه تعالى، وبلا دخول وجوده في وجود اللّه سبحانه، ولا خروج وجوده منه، ولا كون وجوده معه وفيه، بل يرى وجوده ـ لا محالة ـ كان قبل أن يكون بلا فناء الوجود، ولا فناء الفناء، فإن فناء الشيء يقتضي ثبوته أولاً، وثبوت الشيء بنفسه يقتضي كينونيته بنفسه، لا بقدرة اللّه تعالى، وهذا محال صريح واضح، فتبين أن عرفان [١٥و] العارف بنفسه هو عرفان اللّه نفسه، لأن نفسه[5] ليس إلاّ هو، وعنى[6] رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالنفس الوجود، فمن وصل إلى هذا المقام لم يكن وجوده في الظاهر والباطن وجوده، بل وجود اللّه تعالى، وكلامه كلام اللّه، وفعله فعل اللّه، ودعواه معرفة اللّه، هو دعواه[7] معرفة نفسه، ودعواه معرفة

---

(١) من المنسرح.
(٢) في نسخة (ب) يأتي هذا البيت قبل البيت الثاني.
(٣) (من لم يعرف اللّه) زيادة من (ب).
(٤) في (ب): (صيران).
(٥) (لأن نفسه) حاشية.
(٦) في (أ): (عن) والتصحيح من (ب).
(٧) (هو دعواه) حاشية.

نفسه، هو دعواه معرفة اللّه، ولكنك تسمع الدعوى منه، وترى الفعل منه، وترى وجوده غير وجود[1] اللّه، كما ترى نفسك غير اللّه، لجهلك بمعرفة نفسك، فإن المؤمن مرآة المؤمن، فهو هو بعينه، أي بنظره، فإن عينه عين اللّه، أي نظره نظر اللّه بلا كيفية، لا هو هو بعينك وعلمك وفهمك أو وهمك أو ظنك أو رؤيتك، بل هو هو بعينه وعلمه ورؤيته.

فإن قال قائل: أنا اللّه، فاسمع منه لا من الغير، فإن اللّه جلت قدرته يقول لنفسه بنفسه ﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾[2] ولكنك وصلت إليه، فإن وصلت إلى ما وصل إليه، فهمت ما يقول، وقلت ما يقول، ورأيت ما يرى. وعلى الجملة: وجود الأشياء وجوده بلا وجودهم، فلا تقعن في الشبهة، ولا تتوهمن بهذه الإشارات أن اللّه تعالى مخلوق، فإن بعض العارفين قال: «الصوفي غير مخلوق»[3]، وذلك بعد الكشف التام وزوال الشكوك والأوهام، وهذه اللقمة لمن كان له حلق أوسع من الكونين، فأما من كان حلقه كالكونين فلا توافقه، فإنها أعظم من الكونين. وعلى الجملة: فاعلم أن الرائي والمرئي، والواجد والموجود، العارف والمعروف، والموجِد والموجَد، والمدرِك والمدرَك واحد يرى وجوده بوجوده، ويدرك وجوده بوجوده، بلا كيفية إدراك ورؤية ومعرفة، وبلا وجود حروف صورة الإدراك والرؤية والمعرفة، فكما أن وجوده بلا كيفية، ومعرفة نفسه بلا كيفية، وإدراك نفسه بلا كيفية، ورؤيته نفسه بلا كيفية.

فإن سأل سائل وقال: بأي نظر[4] تنظر إلى المحبوبات والمكروهات [١٥ظ] فإذا رأينا مثلاً (روثاً) أو (جيفة) فتقول هو اللّه؟!! فالجواب: تعالى وتقدس أن يكون شيئاً من هذه الأشياء، وكلامنا مع من لا يرى الجيفة جيفة، والروث روثاً، بل كلامنا مع من له بصيرة، ليس بأكمه، فإن من لم يعرف نفسه، فهو أكمه وأعمى، وقبل ذهاب الأكمهية والعمى، لا يصل إلى هذه المعاني، وهذه المخاطبة مع اللّه، لا مع غيره، ولا مع الأكمه، فإن الواصل إلى هذا المقام يعلم أنه ليس غير اللّه، وخطابنا[5] مع من له عزيمة وهمة في طلب العرفان، وفي طلب النفس لمعرفة اللّه، وتطرأ في قلبه صورة الطالب[6] والاشتياق إلى اللّه تعالى مع من لا قصد ولا مقصد له.

---

(١) (وجود) زيادة من (ب).
(٢) سورة طه، الآية ١٤.
(٣) لم نعثر عليه في المظان التي بين أيدينا.
(٤) (نظر) حاشية.
(٥) في (ب) (وإشارتنا لمن).
(٦) في (أ): (صورة الطلب) والتصحيح من (ب).

فإن سأل سائل وقال: اللّه تعالى لا تدركه الأبصار وأنت تقول[1] بخلافه، فما حقيقة ما تقول؟

فالجواب عن ذلك: جميع ما قلنا هو معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[2] أي ليس أحد، ولا بصر معه يدركه، فلو جاز أن يكون في الوجود غيره، لجاز أن يدركه غيره. نبهنا اللّه تعالى بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ إلى[3] أنه ليس غيره[4] سواه، يعني: لا يدركه غيره، بل يدركه هو وهو اللّه فلا غير إلاّ هو، فهو المدرِك لذاته بذاته لا غير، فلا تدركه الأبصار، إذ لا أبصار إلاّ وجوده[5] ومَن قال: إنها لا تدركه الأبصار؛ لأنها محدثة، والمحدث لا يدرك القديم الباقي فهو بعد بعيد، لا يعرف[6] نفسه إذ لا شيء ولا أبصار إلاّ هو، فهو يدرك وجوده بلا وجود الإدراك، وبلا كيفية لا غيره[7] ولهذا قلت:

عرفت الرّبّ بالرّبِ ... بلا شكٍ ولا ريبِ[8]
فذاتي ذاتهُ حقاً ... بلا نقصٍ ولا عيبِ
ولا غيران[9] بينهما ... فنفسي مظهر الغيبِ
ومن عرّفته نفسي ... بلا مزجٍ ولا شَوبِ
وصلتُ وصول محبوبٍ ... بلا بعدٍ ولا قُربِ
ونلت عطاء ذي قدم[10] ... بلا منٍّ ولا سببِ[١٦]
ولا فُنيت له نفسي ... ولا تبقى لذي ذوبِ
ولكن قد تعرت منك عن عبد وعن ربِ

(١) (تقول) حاشية.
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.
(٣) في (أ) و(ب): (على) والصواب ما أثبتناه.
(٤) في (ب): (غير).
(٥) في (أ): (وجود) والتصحيح من (ب).
(٦) في (ب): (لم يدرك).
(٧) في (ب): (لا غير).
(٨) من مجزوء الهزج.
(٩) في (ب): (عيران).
(١٠) في (ب): (فيض).

فإن سأل سائل وقال: أنت تثبت اللّه تعالى، وتنفي كل شيء، فما هذه الأشياء التي نراها؟

فالجواب: هذه المقامات مع مَن لا يرى سوى اللّه شيئاً، ومَن يرى شيئاً سوى اللّه، فليس لنا معه جواب ولا سؤال، فإنه لا يرى غير ما يرى، ومَن عرف نفسه، لا يرى غير اللّه، ومن لم يعرفها، لا يرى اللّه سبحانه: وكل إناء بالذي فيه يرشح. فقد شرحنا كثيراً[1] مثل هذا الكلام من قبل، وإن شرحنا أكثر من ذلك[2]، فمن لا يرى، لا يرى ولا يفهم ولا يدرك، ومن يرى، يرى ويفهم ويدرك، والواصل تكفيه الإشارة، وغير الواصل لا يفهم لا بالتعليم، ولا بالتدبير[3]، ولا بالتقدير، ولا بالعبارة، ولا بالعقل، ولا[4] بالعلم، الذي هو تحصيل[5] الحاصل، إلاّ بخدمة شيخ كامل واصل، وأستاذ حاذق سالك فاضل ليهتدي بنوره، ويسلكه بهمته، ويصل به إلى مقصوده إن شاء اللّه تعالى، واللّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وفقنا اللّه وإياكم لما يحبه ويرضاه، إنه على كل شيء قدير، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[6]. [١٦ظ].

---

(١) في (أ): (شرحنا شروحاً كثيراً) والتصحيح من (ب).

(٢) (شرحنا أكثر من ذلك) زيادة من (ب).

(٣) (ولا بالتدبير) زيادة من (ب).

(٤) (ولا) زيادة من (ب).

(٥) (الذي هو تحصيل) حاشية.

(٦) دوّن الناسخ تاريخ الفراغ من النسخ كما يلي: (تمت في ٢١ ربيع الأول سنة ١١٣٣هـ).

المعلوم من عقائد
أهل الرسوم

التحقيق

اعتمدت في تحقيق نص رسالة (المعلوم من عقائد أهل الرسوم) على مخطوطة أساسية برقم (٤١٧) المحفوظة في مكتبة الأسكوريال في إسبانيا، وحصلنا على نسخة مصوّرة عنها محفوظة في خزانة مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم (١٦/مجاميع) تضم ثمانية كتب لابن عربي هي:

١) كتاب المعشرات[١].

٢) الرسالة الغوثية[٢].

٣) بلغة الغواص في الإنسان ومعدن الإخلاص في معرفة الأكوان[٣].

٤) المعلوم من عقائد أهل الرسوم (رسالتنا هذه).

٥) القصيدة التائية.

٦) المسائل لإيضاح المسائل[٤].

٧) رسالة التنبيهات[٥].

---

(١) طبع في مصر، ب.ت.

(٢) أنجزنا تحقيق هذه الرسالة، وستصدر ضمن مجلدات موسوعة ابن عربي عن مؤسسة الانتشار العربي.

(٣) فرغنا من تحقيق هذا الكتاب وسيصدر عن مؤسسة الانتشار العربي في مجلد كبير ضمن موسوعة ابن عربي.

(٤) طبع وصدر بتحقيقنا عن دار أزمنة في عمان ١٩٩٩.

(٥) وردت في الأصل (التنبيه).

٨) كتاب الشبيه للعالم والفقيه (مخطوط).

وصف النسخة:

- عدد الأسطر: ١٧ سطراً.
- عدد كلمات السطر: ١٠ كلمات.
- نوع الخط: نسخ دارج.
- الناسخ: محمد بن علي بن عبد الملك الحنفي مذهباً الأنصاري نسباً.
- تاريخ النسخ: أواخر شهر جمادى الآخرة من شهور سنة ٩٩٩ هجرية.

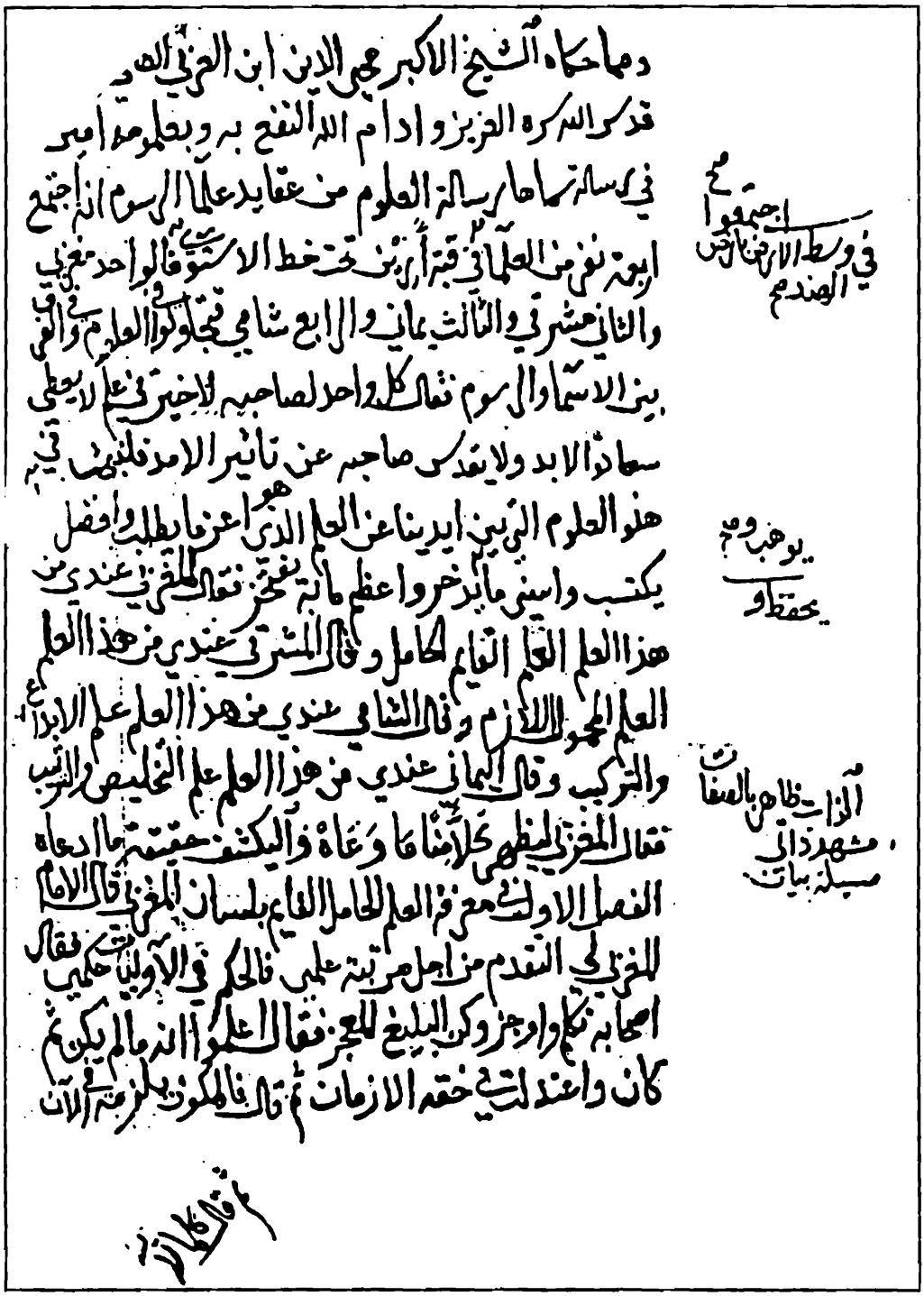

ومما حكاه الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي الطائي
قدس الله سره العزيز وادام الله النفع به وبعلومه امين
في رسالته سماها رسالة المعلوم من عقايد علماء الرسوم انه اجتمع
اربعة نفر من العلماء في قبة أربعين تحت خط الاستواء فالواحد مغربي
والثاني عشرقي والثالث يماني والرابع شامي فتجاوزوا العلوم والفرق
بين الاسماء والرسوم فقال كل واحد لصاحبه لا خير في علم لا يعطي
سعادة الابد ولا يقدس صاحبه عن تاثير الامد فلنبحث في
هذه العلوم التي بين ايدينا عن العلم الذي هو اعز ما يطلب واجل
يكتسب واسنى ما يدخر واعظم ما به يفتخر فقال المغربي عندي من
هذا العلم العلم القايم الحامل وقال المشرقي عندي من هذا العلم
العلم المحمول اللازم وقال الشامي عندي من هذا العلم علم الابداع
والتركيب وقال اليماني عندي من هذا العلم علم التخليص والترتيب
فقال المغربي ليظهر كلا منا ما وعاه وليكشف حقيقة ما ادعاه
الفصل الاول في معرفة العلم الحامل القايم بلسان المغربي قال الامام
المغربي لي التقدم من اجل مرتبة علمي فالحكم في الاوليات حكمي فقال
اصحابه تكلم وابرز وكن البليغ للعجز فقال اعلموا انه ما لم يكن ثم
كان واعتدلت في خفقه الازمان ثم قال فالكون بالزمنة في الآن

ثم قال كلا

اجتمعوا في وسط الارض تحت الصندوم

يوهب ومن يحفظ

الذات ظاهر بالصفات مشهد ذاتي مسبلة بيانات

بسم الله الرحمن الرحيم (٥)

[قال الشاهد](١)

إنه اجتمع أربعة نفر من العلماء، اجتمعوا(٢)، في (قبة ارين) تحت خط الاستواء، في وسط الأرض بأرض الهند(٣)، فالواحد مغربي، والثاني مشرقي، والثالث يماني، والرابع شامي، فتجاولوا(٤)، في العلوم، وفي الفرق بين الأسماء والرسوم. فقال كل واحد لصاحبه: لا خير في علم لا يعطي سعادة الأبد، ولا يقدس صاحبه عن تأثير الأمد، فلنبحث في هذه العلوم التي بين أيدينا عن العلم، الذي هو أعز ما يطلب، وأفضل ما يوهب و(٥) يكتسب، وأسنى ما يحفظ(٦)، ويدّخر، وأعظم ما به يفتخر. فقال المغربي: ــ

عندي من هذا العلم، العلم القائم الحامل، وقال المشرقي: ـ عندي من هذا العلم، العلم بالحامل المحمول اللازم، وقال الشامي: ـ عندي من هذا العلم، علم الابداع والتركيب، وقال

---

(٥) لم يثبت الناسخ ديباجة هذه الرسالة، وابتدأها كما يلي: (ومما حكاه الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الطائي الأندلسي الحاتمي، قدّس اللّه سره العزيز، وأدام اللّه النفع به، وبعلومه آمين، في رسالة سماها: رسالة: (المعلوم من عقائد علماء الرسوم) وقد ورد العنوان في مقدمة (الفتوحات المكية)، ٣٨، (المعلوم من عقائد أهل الرسوم)، ولذلك أثبتناه كما أورده (ابن عربي).

(١) في الفتوحات (قال الشادي)، وتجدر الإشارة إلى أننا أهملنا الفروقات غير المهمة، التي لا تؤثر على سلامة المعنى بين هذه النسخة ومقدمة الفتوحات المكية.

(٢) اجتمعوا) حاشية.

(٣) (في وسط..... الهند) حاشية، ولم ترد هذه الجملة في الفتوحات.

(٤) الفتوحات، (فتجاروا).

(٥) (يوهب و) حاشية.

(٦) (يحفظ و) حاشية.

اليماني: ـ عندي من هذا العلم، علم التخليص والتركيب، فقال المغربي[1]: ليُظهِر كلٌّ[2] منا ما وعاه، وليكشف حقيقة ما ادعاه.

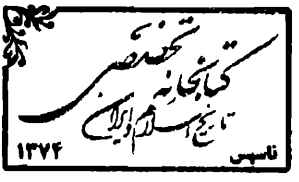

(١) الفتوحات (ثم قالوا).
(٢) في الأصل (كلاً) والصواب ما أثبتناه.

الفصل الأول:

في معرفة العلم الحامل القائم بلسان المغربي

قال الإمام المغربي: ـ لي التقدم من أجل مرتبة علمي، فالحكم في الأوليات حكمي. فقال أصحابه: ـ تكلم وأوجز وكن البليغ المعجز.

فقال: ـ اعلموا أنه ما لم يكن ثم كان، واعتدلت في حقّه الأزمان، ثم قال[1]: فالمكون يلزمه في الآن [١١٧ظ] ثم قال: كل ما لا يستغني عن أمر ما، فحكمه حكم ذلك الأمر، ولكن إذا كان من عالم الخلق والأمر، فليصرف الطالب النظر إليه، وليعول الباحث عليه. ثم قال: من كان الوجود يلزمه، فإنه يستحيل عدمه، والكائن ولم يكن، يستحيل قدمه، ولو لم يستحل عليه العدم؛ لصحة المقابل في القدم، فإن كان المقابل لم يكن، فالعجز في المقابل مستكن، وإن كان، فيستحيل على هذا الآخر الحديث الصحيح: (كان اللّه ولا شيء معه)[2]، كان ومحال أن يزول بذاته لصحة[3] الشرط واحكام الربط. ثم قال: وكل ما ظهر عينه[4] ولم يوجب حكماً، فكونه ظاهراً محال، فإنه لا يفيد علماً. ثم قال: ومن المحال تعمير المواطن؛ لأن رحلته في الزمان الثاني، ومن زمان وجوده لنفسه، وليس بقاطن، ولو جاز أن ينتقل، لقام بنفسه، واستغنى عن المحل، ولا يعدمه ضد لاتصافه بالفقد، ولا الفاعل فإن قولك فعل لا شيء، لا يقول به عاقل[5]. ثم قال: من توقف وجوده على فناء شيء، فلا وجود له، حتى يفنى، فإن وجد، فقد فني ذلك الشيء المتوقف عليه، وحصل المعنى. مَن تقدمه شيء فقد

---

(١) الفتوحات (ثم قال) غير موجودة.

(٢) (الحديث... معه) حاشية، وتقدم تخريج الحديث.

(٣) (لصحة) حاشية.

(٤) (عينه) زيادة من الفتوحات.

(٥) (ولا يعدمه... به عاقل)، زيادة من الفتوحات.

انحصر دونه وتقيد، ولزمه هذا الوصف، ولو تأيد، فقد ثبت الأين بلا مَين[1] ثم قال: ولو كان حكم المسند إليه حكم المسند، لما تناهى العدد، ولا صح وجود من وُجِد. ثم قال: ولو كان ما أثبتناه يخلى ويملى، لكان يبلى ولا يُتلى[2]، ثم قال: ولو كان يقبل التركيب لتحلل، والتأليف لاضمحل. وإذا وقع التماثل، سقط التفاضل. ثم قال: ولو كان يستدعي وجود سواه ليقوم به، لم يكن ذلك السوى مستنداً إليه، وقد صحّ استناده، فباطل أن يتوقف عليه وجوده، وقد قيده إيجاده. ثم قال: وصف الوصف محال، فلا سبيل إلى هذا العقد بحال [١١٨و]. ثم قال: الكُرة وإن كانت فانية، فليس لها ناحية، إذا كانت الجهات إليه، فحكمها عليه، وأنا منها، خارج عنها، وقد كان ولا أنا فَفِيمَ التشعبث[3] والعنا؟.

ثم قال: كل من استوطن موطناً، جازت رحلته، وثبتت نقلته، من حاذى بذاته شيئاً، فإنه يحده التثليث ويقدره، وهذا يناقض ما كان العقل أولاً[4] يقرره.

ثم قال: لو كان لا يوجد شيء إلاّ عن مستقلين اتفاقاً واختلافاً، لما رأينا في الوجود افتراقاً وائتلافاً، والمقدر حكمه حكم الواقع، فإذاً التقدير هنا للمنازع ليس بنافع.

ثم قال: إذا ثبت[5] الشيء هنا في عينه، جاز أن يراه العين بعينه المقيدة بوجهه وجفنه، وما ثم علة توجب الرؤية في مذهب أكثر الأشعرية، إلاّ الوجود بالبينة وغير البينة، ولو كانت الرؤية تؤثر في المرئي لأحلناها، فقد بانت المطالب بأدلتها كما ذكرناها.

ثم صلى وسلم بعد ما حمد، وقعد، فشكره الحاضرون على إيجازه في العبارة واستيفائه المعاني في دقيق[6] الإشارة.

---

(١) المين: الكذب. لسان العرب: (مادة مين).
(٢) الفتوحات (يبلى).
(٣) الفتوحات (التشغيب).
(٤) الفتوحات (من قبل).
(٥) الفتوحات (وجد).
(٦) (دقيق) زيادة من الفتوحات.

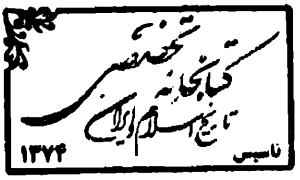

الفصل الثاني:

في معرفة الحامل المحمول[١] اللازم بلسان المشرقي

قال المشرقي: تكوين الشيء من الشيء مثل، وتكوينه لا من شيء اقتدار الأزل، من لم يمتنع عنك فقدرتك نافذة فيه[٢] ولم تزل.

ثم قال: إيجاد احكام في محكم يثبت بحكمه[٣] وجود علم المحكم، ثم قال: والحياة والإرادة في العالم شرط لازم ووصف قائم.

ثم قال: الشيء إذا قبل التقدم والمناص[٤]، فلا بدّ من مخصص لوقوع[٥] الاختصاص، وهو عين الإرادة، في حكم العقل والعادة. ثم قال: ولو أراد المريد بما لم يكن [١١٨ظ]، لكان ما لم يكن مراداً[٦] بما لم يكن.

ثم قال: من المحال أن توجب المعاني أحكامها، إلاّ لمن قامت به[٧]، فانتبه.

ثم قال مَن تحدث في نفسه[٨] بما مضى، فذلك الحديث ليس بإرادة، وبه حكم الدليل على الكلام وقضى.

ثم قال: القديم لا يقبل الطارىء، فلا تمار، ولو أحدث في نفسه ما ليس منها، لكان

---

(١) (معرفة الحامل) زيادة من الفتوحات.
(٢) في الأصل (فقدرته نافذة فيك) والتصحيح من الفتوحات.
(٣) (يثبت بحكمه) زيادة من الفتوحات.
(٤) في الأصل (والتأخر) والتصحيح من الفتوحات، وقد أثبتناه لموافقته السجع.
(٥) (مخصص لوقوع) زيادة من الفتوحات.
(٦) في الأصل (مرداً).
(٧) في الفتوحات (في غير من قامت به).
(٨) (في نفسه) زيادة من الفتوحات.

بعدم تلك الصفة ناقصاً عنها، ومن ثبت له الكمال بالعقل والنص، فلا يُنسب إلى النقص.

ثم قال: لو لم يبصرك ويسمعك، لجهل كثيراً منك، ونسبة الجهل إليه محال، ولا سبيل إلى نفي هاتين الصفتين بحال، ومن ارتكب القول بنفيهما، ارتكب مخوفاً لما يؤدي إلى كونه مؤوفاً[1] ثم قال: من ضرورة الحكم أن يوجبه معنى، كما من ضرورة المعنى الذي لا يقوم بنفسه استدعاء[2] معنى. فيا أيها المجادل كم ذا تتعنى؟ ما ذاك إلاّ لخوفك من العدد، وهذا لا يبطل حقيقة الواحد والأحد، ولو علمت أن العدد[3] هو الأحد لما شرعت في منازعة أحد، فهذا قد ثبت عن الحامل المحمول العارض[4] واللازم في مقاسم هذه المعالم، ثم قعد.

(١) (نسبة الجهل إليه..... إلى كونه مؤوفاً) زيادة من الفتوحات.

(٢) (الذي لا يقوم بنفسه استدعاء) زيادة من الفتوحات.

(٣) (وهذا لا... إن العدد) زيادة من الفتوحات.

(٤) (المحمول العارض و) زيادة من الفتوحات.

الفصل الثالث:

في معرفة الإبداع والتركيب باللسان الشامي

قال: إذا تماثلت المحدثات، وكان تعلق القدرة بها لمجرد الذات، فبأي دليل يخرج عنها بعض الممكنات.

ثم قال: لما كانت الإرادة تتعلق بمرادها حقيقة، ولم تكن القدرة الحادثة مثلها لاختلال في الطريقة، فذلك هو الكسب، فكسب للعبد وقدرة للرب، وتبيين ذلك بالحركة الاختيارية والرعدة الاضطرارية.

ثم قال: القدرة من شروطها الإيجاد إذا ساعدها العلم والإرادة، فإياك والعادة! كل ما أدّى إلى نقص الألوهية، فهو مردود، ومن جعل في الوجود في الحادثات ما ليس بمراد اللّه، فهو من المعرفة مطرود [١١٩ظ] وباب التوحيد بوجهه مسدود، وقد يريد[١] الأمر ولا يراد المأمور به، وهو الصحيح، وهذا غاية التصريح.

ثم قال: مَن أوجب على اللّه أمراً، فقد أوجب عليه حد الواجب، وذلك على اللّه محال في صحيح المذاهب. ومن قال بالوجوب لسبق العلم، فقد خرج عن الحكم المعروف عند العلماء في الواجب، وهو صحيح الحكم.

ثم قال: تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، وقد عاينا ذلك شهادة[٢] ونقلاً.

ثم قال: من لم يخرج شيء على الحقيقة من ملكه، فلا يتصف بالجور والظلم فما يجريه من حكمه في ملكه.

---

(١) في الفتوحات (يراد).

(٢) في الفتوحات (مشاهدة).

ثم قال: من هو مختار فلا يجب عليه رعاية الأصلح، وقد ثبت ذلك وصحَّ التقبيح والتحسين بالشرع والغرض.

ومن قال: إن الحسن والقبح لذاتهما فهو صاحب جهل عرضي[1].

ثم قال: إذا كان وجوب معرفة اللّه تعالى وغير ذلك، من شرطه ارتباط الضرر بتركه في المستقبل[2]، فلا يصح الوجوب بالعقل؛ لأنه يعقل. ثم قال: إذا كان العقل يستقل بنفسه في أمر، وفي أمر لا يستقل، فلا بد له من موصل إليه مستقل، فلم تستحل بعثة الرسل، وأنهم أعلم الخلق بالغايات والسبل. ثم قال: لو جاز أن يجيء الكاذب بما جاء به الصادق، لانقلبت الحقائق، ولتبدلت القدرة بالعجز، ولاستند الكذب إلى حضرة العز، وهذا كله محال، وغاية الضلال، بما يثبت الواحد، يثبت الثاني، في جميع الوجوه[3] والمعاني.

---

(١) في الفتوحات (عرض).

(٢) (في المستقبل) حاشية.

(٣) في الأصل (الوجود) والتصحيح من الفتوحات.

الفصل الرابع:

في معرفة التلخيص والترتيب باللسان اليمني

ثم قال اليمني: مَن أفسد شيئاً بعدما أنشأه، فجائز [١١٩ظ] أن يعيده كما بدأه. ثم قال: إذا قامت الصفة[١] الروحانية بجزء ما من الإنسان، فقد صحّ عليه اسم الحيوان، النائم يرى ما لا يرى اليقظان[٢]، وهو إلى جانبه لاختلاف مذاهبه، مَن قامت به الحياة، حاز[٣] اللذة والألم، فما لك لا تلتزم؟ ثم قال: البدل من الشيء يقوم مقامه، ويوجب أحكامه. ثم قال: مَن قدر على إمساك الطير في الهواء ـ وهي أجسام ـ قدر على جميع الأجرام.

ثم قال: قد كملت النشأة، واجتمعت أطراف الدائرة قبل حلول الدائرة[٤]. ثم قال: إقامة الدين هو المطلوب ولا يصح إلاّ بالإمام[٥]، فاتخاذ الإمام واجب في كل زمان. ثم قال: إذا كملت الشرائط، صحّ العقد، ولزم العالم الوفاء بالعهد، وهي: الذكورية، والبلوغ، والعقل، والعلم، والورع، والحرية، والنجدة، والكفاية[٦]، والنسب، وسلامة جانب[٧] السمع والبصر، وبهذا قال بعض أهل العلم[٨] والنظر. ثم قال: إذا تعارض إمامان، فالعقد للأكثر اتباعه، وإذا تعذّر خلع إمام ناقص لتحقق وقوع فساد شامل، فإبقاء العقد واجب، ولا يجوز إرداعه، قال

---

(١) في الفتوحات (اللطيفة).

(٢) في الأصل (المستيقظ) والتصحيح من الفتوحات وقد أثبتناه لموافقته السجع.

(٣) في الفتوحات: (جازت عليه اللذة).

(٤) (قبل حلول الدائرة) زيادة من الفتوحات.

(٥) في الأصل (الامامان) وفي الفتوحات (الامان).

(٦) في الأصل (الكفالة) والتصحيح من الفتوحات.

(٧) في الفتوحات (حاسة).

(٨) الجملة في الأصل (وبهذا وزوال أهل النظر) والتصحيح والزيادة من الفتوحات.

الشاهد[1] فوفى كل واحد من الأربعة ما اشترط، وانتظم الوجود وارتبط[2]. واللّه الموفق لما يريده ويرضاه، وصلى اللّه على سيدنا محمد، الشافع في الأمة ونبي الرحمة، وسلم تسليماً[3].

(١) في الفتوحات (قال الشادي).

(٢) نهاية نص الفتوحات.

(٣) دوّن الناسخ في خاتمة الرسالة ما نصه: (تمت الرسالة، ببركة صاحب الرسالة، على يد الفقير إلى لطف ربه القدير، الحقير (محمد بن علي بن عبد الملك) الحنفي مذهباً، الأنصاري نسباً، في أواخر شهر جمادى الآخر [كذا] من شهور سنة تسع وتسعين وتسعمائة، قوبل وصحح).

الاتحاد الكوني
في حضرة الإشهاد العيني

التحقيق

اعتمدت في تحقيق نص رسالة (الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني) على مخطوطتين أساسيتين:

الأولى: المخطوطة المرقمة (٣٠٣٠١) المحفوظة في دار المخطوطات ببغداد، وهي مجموع صوفي ناقص الآخر، يقع في (١٠٦) ورقة، يحتوي المجموع على طائفة من الكتب والرسائل في التصوف، تبدأ رسالة (الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني) من الورقة ٨٤ وجه، وتنتهي بالورقة ٩١ وجه، وقد أفادتنا هذه النسخة ـ التي تبين لنا أنها منقولة عن المخطوطة الأم التي اعتمدناها وهي المخطوطة المرقمة (٣٧٩١) ـ كثيراً في قراءة بعض الكلمات غير الواضحة أو المطموسة بفعل عملية الصيانة التي أجريت على النسخة الأم.

وصف النسخة:

- مقاس الصفحات: ١٥ × ١٠ سم.
- عدد الأسطر: ٢١ سطراً.
- عدد كلمات السطر: ١١ ـ ١٣ كلمة.
- نوع الخط: نسخ حديث.
- نوع الجلد ولونه: جلد بني.
- نوع الورق ولونه: ورق أبيض صقيل يرقى إلى القرن ١٣ الهجري.
- اسم الناسخ: تخلو المخطوطة من ذكر اسم الناسخ.
- تاريخ النسخ: يوم السبت السابع والعشرين من شهر شعبان سنة ١٢٥٣ هـ.

الثانية: المخطوطة المرقمة (٣٧٩٥) المحفوظة في دار المخطوطات ببغداد، وهي مجموع في التصوف يقع في (١٠٣ ورقة)[١]، وجاء تسلسل رسالة (الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني في المجموع الرسالة: ١٣، تبدأ الرسالة من الورقة ٨٩ وجه وحتى الورقة ٩٣ وجه، بقياس ١٥ × ١٠ سم، وعدد الأسطر ٢٨ سطراً في كل صفحة، تضمن كل سطر منها ١٢ كلمة تقريباً.

كتبت الرسالة بخط نسخ دارج، على ورق يرقى إلى القرن العاشر الهجري، وخلت الرسالة من اسم الناسخ، لكنه ورد أنها نسخت يوم الجمعة أول يوم في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٨٤ هجرية، دوّنت الرسالة بمداد أسود، بينما دوّن عنوان الرسالة بمداد أحمر في صفحة منفصلة، كذلك الفوارز التي استخدمت كعلامات توقف، وقام الناسخ بتصفيح أوراق الرسالة التي رقّمت ترقيماً حديثاً بمداد أحمر.

(١) تمّ الحديث عن هذه المخطوطة ووصفها في المقدمة التحقيقية لرسالة (كشف الستر) فانظرها هناك.

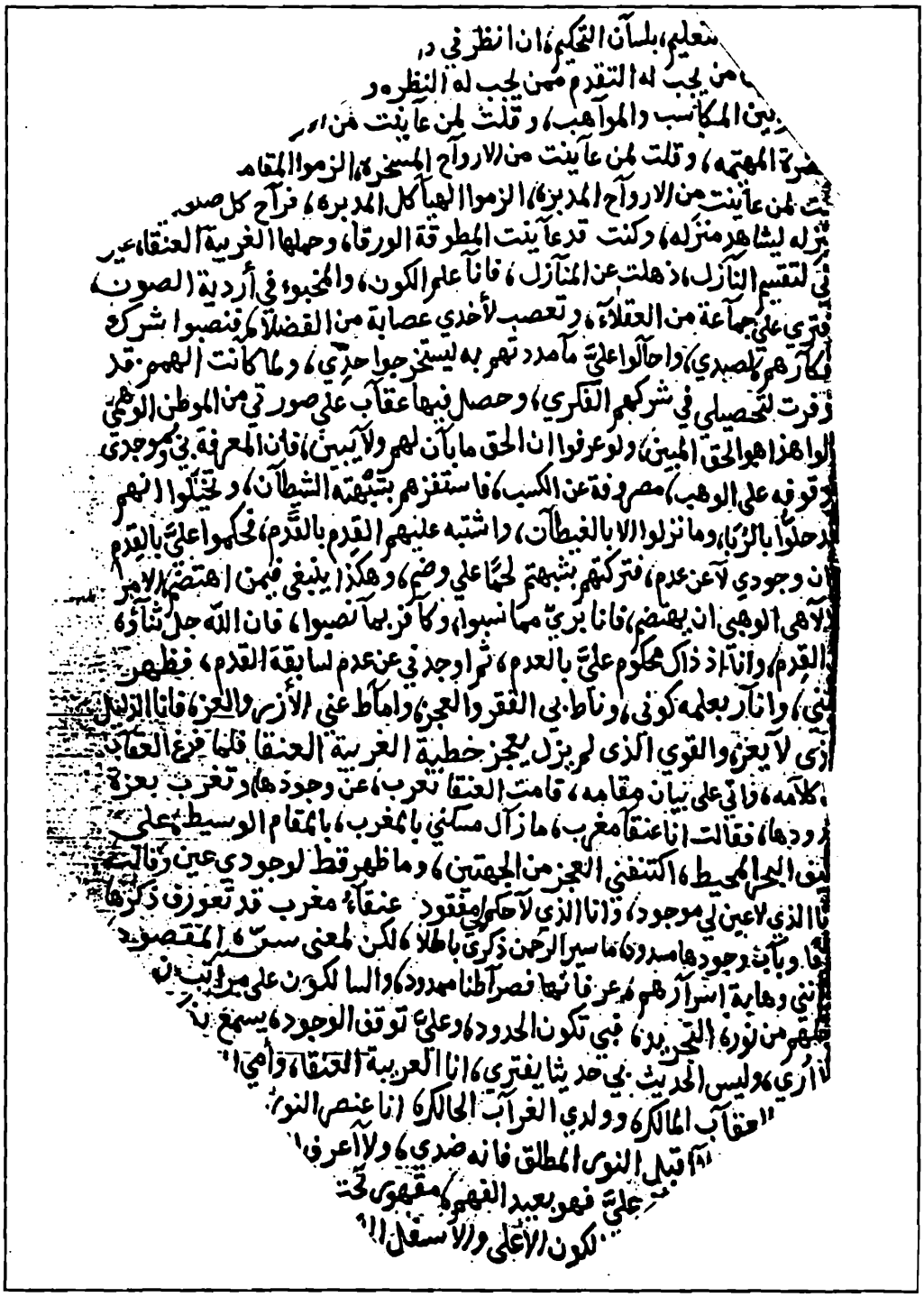

نموذج من رسالة الاتحاد الكوني

بسم الله الرحمن الرحيم

وحسبنا اللّه ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم. الحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، يقول عبد اللّه الفقير إلى اللّه، (محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي)، عفا اللّه عنه، وختم له بالحسنى، هذا كتاب كريم، وخطاب جسيم، كتبت به لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد:

من انتقاصي إلى كمالي ... من انحرافي إلى اعتدالي[1]
ومن سناي إلى جمالي ... ومن سنائي إلى جلالي
ومن شتاتي إلى اجتماعي ... فمن صدودي إلى وصالي
ومن خسيسي إلى نفيسي ... فمن حجار إلى اللآلي
ومن شروقي إلى غروبي ... فمن نهاري إلى الليالي
ومن ضيائي إلى ظلامي ... فمن هداي إلى ضلالي
ومن حضيضي إلى استوائي ... فمن زجاج إلى العوالي
ومن دخولي إلى خروجي ... فمن محاقي إلى هلالي
ومن طِلابي إلى نفوري ... فمن جوادي إلى غزالي
ومن نسيمي إلى غصوني ... ومن غصوني إلى ظلالي
ومن ظلالي إلى نعيمي ... ومن نعيمي إلى محالي
ومن محالي إلى مثالي ... ومن مثالي إلى محالي

(١) من المنسرح، ديوان ابن عربي، ٣٤ ـ ٣٥.

ومن محالي إلى صحيحي ... ومن صحيحي إلى اعتلالي
فما أنا في الوجود غيري ... فما أعادي وما أوالي
وما أنادي على فؤادي ... من أجل رامٍ ماضي النصالِ
فإن رامي النصالِ[1] جفني ... إلى فؤادي بلا نبالِ
فما أحامي على مقامي ... وما أمالي فما أبالي
فإنني ما عشقت غيري ... فعين فصلي هو اتصالي
فلا تلمني على هواي ... فلست عن هاجري بسالي
فظاهري عاشق وسري ... معشوق قلبي على التوالي[2]

وإني لا أزال في هذا الكتاب أخاطُبني عني، وأرجع فيها إليّ مني، فمن سماي إلى أرضي، ومن سنتي إلى فرضي، ومن إبرامي إلى نقضي، ومن طولي إلى عرضي، ولهذا أقمت القسطاس، وراقبت الأنفاس:

فمن حسي إلى عقلي ... ومن عقلي إلى حسي[3]
بعالمين غريبين ... بلا شك ولا لبسِ
ومن نفسي إلى روحي ... ومن روحي إلى نفسي
بتحليل وتركيب ... كمثل الميت في الرمسِ
ومن حدسي إلى علمي ... ومن علمي إلى حدسي
فنور العلم ممدود ... ونور الحدس ما يمسي
ومن قدسي إلى رجسي ... ومن رجسي إلى قدسي
فقدسي كان في وقتي ... ورجسي كان في أمسي
ومن إنسي إلى جني ... ومن جني إلى أنسي
فجني يبتغي همي[4] ... وإنسي يبتغي أُنسي
ومن حبسي إلى سعتي ... ومن سعتي إلى حبسي
لنكر قام في نفسي ... على عقلي وبالعكسِ

---

(١) في الديوان «السهام».
(٢) لم يرد هذا البيت في الديوان.
(٣) من الهزج، ديوان ابن عربي، ٣٥ - ٣٦.
(٤) في الديوان «غمي».

ومن أيسي إلى ليسي ... ومن ليسي إلى أيسي
بسُعد فيه تأليف ... كما في شته نحسي
ومن جنسي إلى ضدي ... ومن ضدي إلى جنسي[1]
فلولا (باقل) ما لا ... ح نور الفضل في (قَسّ)
ومن شمسي إلى بدري ... ومن بدري إلى شمسي
لإظهار الخفايا في ... بطون نواشيء دبسِ
ومن فرس إلى عرب ... ومن عرب إلى فرسِ
لشرح قوام أسرار ... ورمز حقائق نكسِ
ومن أُسي إلى فرعي ... ومن فرعي إلى أُسي
لعيش دُسّ في موتٍ ... بحسٍ أو بلا حسِ
فلا تهتمِ يا نفسي ... بقول الحاسد النكسِ
وقول الجاهل المغرور يا ... ريحانة الأنس[2]
فكم من جاهلٍ قد قال ... في أرواحنا الخرسِ
لدى تنزيل تنزيلي ... بروح النفث والحسِ
كأُنس فيه شيطانٌ ... يُخبّطه من المسِ
فإن الناس ما زالوا ... من التحقيق في لبس
فسر اللّه موجودٌ ... مبين الجهر والهمس
وجود الحق عين الخلق ... قبل الروح والنفس[3]

وسميت هذه الرسالة بـ (الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني، بمحضر الشجرة الإنسانية والطيور الأربعة الروحانية)، خاطبت بها أبا الفوارس (صخر بن سنان)، مالك أزمّة الجود والبيان، ولكل أهل العرفان. وهذه أول الرسالة، وباللّه أستعين، فهو المؤيد سبحانه وتعالى والمعين.

---

(١) لم يرد هذا البيت في الديوان.
(٢) في الديوان «النفس».
(٣) لم يرد هذا البيت في الديوان.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللّه على الرؤوف الرحيم، إلى الثالث والثاني، ورب المثالث والمثاني، والمشار إليه في المثاني، القاصر الفاني، والسائر الثاني، الناكص لظله، والناكس لذله، الجواد الذي لا يقبل جوده، والموجود التام الذي جهل وجوده، المنبعث من الثنتين، والمبعوث بالقوتين، معتمد الأركان، [٨٩ وجه] ومعتد الإمكان، ومستند المكان، رقيقة الآن، وحقيقة الزمان، ومنتهى الأمان، ومستوى الرحمن، ودقيقة المان، وسلطان الإنس والجان، جان بن جان، الإنسان في الإنسان، الواهب المحسان، أبو الفوارس (صخر بن سنان)، مالك أزمّة الجود والبيان، استوهب اللّه له من المواهب القدسية أسهلها وأحلاها، ومن المراتب المؤسسة أكملها وأعلاها، سلامٌ طيبٌ أثيرٌ مبارك يخص مقامكم الرفيع أتمه وأزكاه، ورحمة اللّه تعالى وبركاته ورضاه. أما بعد فإني أحمد اللّه إليّ، الذي سواني وعدّلني، وفي صورةٍ أحسن تقويم ركبني، ثم عرّفني بي، وأظهرني لي، فعشقتني، فلا أحب سواي، وهُيّمت فيَّ بين بعدي وقربي، فما أخاطب إلاّ إياي، وقلت في شأني على لساني، مما أعاني من المعاني أني:

فلو رآني إذا أتاني ... سراً وجهراً أنا بذاتي[1]
وقلتُ أنعمْ فقال طوعاً ... وكان مني ليَ التفاتي
فُنيتُ عني بعين أني ... وعن عداتي وعن ثقاتي
وعن وعيدي وعن مزيدي ... وعن نعيمي وعن عداتي
وعن شهيدي وعن شهودي ... وكنت لي بي نعم المؤاتي
فيا أنا رُدّني بعيني ... إليَّ حتى أرى لُباتي
فرَدني بين إليّ مني ... فلم يقم بي سوى صفاتي
فصال كفي على عصايَ ... وصال عودي على صفاتي

(١) من المنسرح، ديوان ابن عربي، ٣٦ ـ ٣٧.

فسال نهر البروج منها ... عشراً وثنتين مُعلّماتِ
فقلت لي يا أنا فزدني ... مني ثباتاً على ثباتي
هذي علوم الحياة لاحت ... على وجودي من النباتِ
فأين مسرى اللطيف مني ... ما أودع اللّه في الذواتِ
فزدتني ما طلبت مني ... فدام شوقي إلى مماتي
فصرت أشكو الغرام مني ... إليّ كيما تبدو سماتي
إلى جفوني من عين كوني ... فزاد جمعي على شتاتي
وصلتُ ذاتي وجداً بذاتي ... من أجل ذاتي مدى حياتي
ولم أعرّج على جفائي ... وطول هجري وسيئاتي
أنا حبيبي أنا محبي ... أنا فتايَ أنا فتاتي

أما بعد فالكتاب إليّ من المدينة الممكنة بالاستواء، والمعينة في المستوى، والمحصنة بالقوى، طور سينين، والبلد الأمين، المسوّى من الماء والطين، والجامع بين أحسن تقويم، وأسفل سافلين، معرّفاً إياي بما طرأ بيني وبيني، وما شاهده كوني من كوني؛ وذلك أنه لما رُفعت لنا أعلام المشاهدة، ووضعت عنا آلام المجاهدة، وصار التجاري بحكم الموافقة والمساعدة، امتطوت براق الهمة، وخرجت عن كون هذه الغمة، فوقعت في بحر الهيولى، فعاينتُ الآخرة والأولى، فقلت: تباً لمنكري الجنان، والدار الحيوان، وملاعبة الولدان، ومعانقة الحور الحسان، ولصوق الأبدان بالأبدان، من عاين الحافظ أثبت اللافظ، فإن خط الاعتدال غير ميال، وعرفت هناك أن منكري حشر الأجساد ما برحوا من الميلين، وما انفكوا من ربقة الأربعة والاثنين، ثم صحتُ واحرباه! واحر قلباه! من الكيان هربت، وها أنا فيه، فأين ما طلبت؟ فسمعت الخطاب مني، لا داخلاً فيّ ولا خارجاً عني، وهو يخبرني أني على المدرجة، فكيف تطلب الدرجة؟ أين أنت والاستواءات؟ أين أنت والاتكاءات؟ أين أنت والرفارف العُلى؟ أين أنت والأفق الأعلى؟ أين أنت وحجب البهاء؟ أين أنت والستر الأزهى؟ أين أنت والعمى؟ أين أنت وحجاب العزة الأحمى؟ أين أنت والهويات المطلقة؟ أين أنت والانيات المحققة؟ أين أنت وحضرة الإشارات؟ أين أنت والمحادثات؟ أين أنت والمسامرات؟ أين أنت والشجرة العلى؟ أين أنت والفروع الدنى؟ أين أنت والغريبة العنقاء؟ أين أنت والمطوقة الورقاء؟ أين أنت والغراب الحالك؟ أين أنت والعقاب المالك؟ يا محجوب كيف تسأل بالأين عن العين؟ وأنت [٨٩ظ] مقام لا يحتمل المين؟ فقلت أيها الزاجر! لقد أكملت، أما علمت أنك من مقامك تكلمت؟ أنت في حضرة العين، معرى عن الآن والأين، وأنا في هذه اللجة العمياء، والدلجة

السوداء، والداهية الدهياء، معدن المين والريب، ومحل النقص والعيب، وهل يصيح واحرباه! إلا أسير الكم وحبيس الحكم؟ فإن أنت أخرجتني من بين تلاطم هذه الأمواج، وأرحتني من معاناة هذا الليل الأليلِ الداج، فإني لا أفوه بطرف، ولا أعرّج على حرف، فجذبني جذبة عزيز مقتدر، وقال: إنك مغلوب فانتصر[1]، فقلت: انتصر بيدك اليمنى، من كلتا يديك يمين[2]، فإنه القوي الأمين، والوفي الذي لا يمين فقال: كيف يهجوني من يرجوني؟ فقلت: كما يمدحك من يمنحك؟ فلما جذبني، رأيتني في غير الصورة التي فيها كنت، وقد ثبتُّ فيها وتمكنت، فقلت: يا أنا! فقال أنا: مرحباً فقلت: لا مرحباً ولا أهلاً، ولا سعة ولا سهلاً! فقال: يا قرة العين! ما رأيك؟ ويا أسير الكون! ما أصابك؟ فقلت: كم ذا تحجبني عني؟ فاكشفني لي حتى أعرفني، هذا الوحي ممدود، ولوائي معقود، وعلمي محدود، ومقامي محمود، وسري مشهود، ولُبي موجود، ومطلوبي مفقود، وأنا في عالمي معبود، أُدعى كلمة الوجود، فلو فُنيتُ هذه الأعيان، وتلاشت هذه الأكوان، وغُيّبتْ عن الاستواء الرحماني والاسم الرّباني، أمكنني أن أُسر باللمحة، ولا أتضرر بالمنحة، قال: قد فُنيت الأقلام، وذهبت الأعلام، وراحت الأسماء، واحتجب الاستواء، ورفعت الألواح، وفقدت الألباب، والأرواح، ولكن لا بدّ لك من ظلمة الجنة الدهماء، ودائرة الماء، والقلم الأعلى، والقدم الأولى، والنون المكنون، واليمين المصون، فعندما سمعت أن أثراً من الكون أمامي، خفت أن يقطعني عن إلمامي، فانتهضتُ من تلك الظلمة المدلهمة، وتركت بها بُراق الهمة، ورُفعت على أسرة اللطائف ومتكئات الرفارف إلى أن وصلنا مقام الابتهاج، أتمايل فيه تمايل السراج، فقلت: ما لي وحالة السماع؟ فقيل: حركك حسن الإيقاع، فقلت: ما أحسنت به! فقيل لي: انتبه! فإنه بك لا أنت به، فقلت: الحقيقة في غنى عن إيقاع الغناء، ومطلبها الفناء في الفناء، فحجب عن عيني عينها، وحال بيني وبينها، ثم قال لي: أين أنت من العالم ومني؟

قلت: بين التعني والتمني، مطلبي في العماء، وأنا في الماء، وروحي في السماء، وعرشي في الهباء، وأهلي في سباء، وملكي في الاستواء، وحكمي في قدمي السواء، وفَلَكي في الفُلك، وحجابي في المُلك، وتثليثي في الهيولى، ومحنتي في الأولى، وبدايتي في الحافرة[3] وغايتي في الآخرة، وحلتي في زحل، ومناجاتي في المشتري الأكمل، وخلافتي الإنسانية في المريخ

---

(١) إشارة إلى الآية ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾، سورة القمر، الآية ١٠.

(٢) إشارة للحديث النبوي (كلتا يديه يمين) أخرجه مسلم في صحيحه: امارة: ١٨.

(٣) الحافرة: الخلقة الأولى، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ أي في أول أمرنا. لسان العرب: مادة (حفر)

الأحمر، وقلبي في السيد الإبراهيمي الأكبر، وحُسني في زهرة الاحكام، وإمضائي في عطارد الافهام، وخلافتي الإلهية في البدر الأرفع، وهيكلي في العنصر المربع، قال: هذا حظك من كوني، فأين حظك من عيني؟

فقلت: ـ يا أيها المشيرا المناسبة تكون بالنقيض وبالنظير، والنظير الملازم يكون بالذاتي واللازم.

فقال المشير: أريد مناسبة النظير فقلت [٩٠و] في رسمي رسمك، وفي نعتي نعتك، والإجمال أحسن من التفصيل، في هذا القبيل من أجل أبناء السبيل.

فقال: صدقت! فأين مناسبة النقيض، بحكم الحقيقة، لا بحكم التعريض؟.

قلت: في عدمي وجودك، وفي بخلي جودك، وفي كلامك خرسي، وفي قولك جرسي، وفي استحالتي قدمُك، وفي بدايتي قِدمُك.

قال: علمتُ أنك علمتَ، ونعم به ما حكمت.

ثم كَشَفَ لي عن شجرة البستان الكلية، الموصوفة بالمثلية، فنظرت إلى شجرة أصلها ثابت، وفرعها في السماء، وثمرها بين إله الاستواء، وبين أوراقها وأغصانها الغراب والغريبة العنقاء، وفي ذرى أفنانها العقاب والمطوقة الورقاء، فسلمت على الشجرة، فحُييتُ بأحسن من ذلك، وقالت: اسمع أيها السالك المالك خطبة الشجرة الكلية الموصوفة بالمثلية ثم قالت: أنا الشجرة المثلية، الجامعة الكلية، ذات الأصول الراسخة، والفروع الشامخة، غرستني يد الأحد، في بستان الأبد، مستورة عن تصاريف الأمد، فأنا ذات روح وجسد، وثمري مقطوف دون يد، حملت من ثمر العلوم والمعارف، ما لا تستقل بحمله العقول السليمة وأسرار اللطائف، وَرَقي فرش مرفوعة، وفاكهتي غير مقطوعة ولا ممنوعة، ووسطي هو المقصود، وفروعي في هبوط وصعود، فالهابطة للتدلي والإفادة، والصاعدة للتدني والاستفادة، نشأتي كالفلك في الاستدارة، وفروعي منازل الأرواح الطيارة، وزهري كالكواكب السيارة، تتكون المعادن عن سريانها في أبدانها، أنا شجرة النور والكلام، وقرة عين (موسى) عليه السلام، لي من الجهات اليمين الأنفس، ومن الأمكنة الوادي المقدس، ولي من الزمان الآن، ومن المساكن خط الاستواء واعتدال الأركان، فلي الدوام والبقاء، والسعادة دون الشقاء، جني جنتي دان، وفنني يُمسُ كأنه نشوان، له لطافة وحنان، على جميع الحيوان، لم تزل أفناني للأرواح اللوحية كنادرا، وورقي لها عن تأثير الشعاعات اليوحيّة ساترا، ظلي ممدود لأهل العناية، وجناحي منشور على أهل الولاية، تهب على الأرواح باختلاف تصاريفها، فتخرج أغصاني عن ترتيب تآليفها، فتسمع لذلك التداخل نغمات توله العقول العلوية، على سمو أَوجِها، وتجري بها على حسب ما رقم في

درجها، فأنا موسيقار الحكمة، ومزيل الغموم بحسن إيقاع النغمة، فأنا النور الأزهر، ولي البساط الأخضر، والوجه المستدير الأنضر، أيدتُ بالقوى، وشُرِّفتُ بالمستوى، وصرت كالهيولى، أقبل جميع الصور في الآخرة والأولى. لا أضيق عن حمل شيء، ولا أنفك عن نور وفيء، فنوري عليَّ، وفيئي لمن استند إليَّ، فأنا الظل الممدود، والطلح المنضود والمعنى المقصود، وكلمة الوجود، وأشرف محدث موجود، وأنزه...[1] عزيزة السلطان، مقدسة المكان، رفيعة المنار، ينبوع الأنوار، جوامع الكلم[2]، معدن الأسرار والحكم، ونسخة الاسم الأعظم، ومَظهر السر المحكم [٩٠ظ].

لـيَ الأرضُ الأريـضـةُ والـسـمـاءُ ... وفـي وسـطـي الـسـواءُ والاسـتـواءُ[3]
لـي الـمـجـد الـمـؤثـل والـبـهـاء ... وسـر الـعـالـمـيـن والاعـتـلاءُ
إذا مـا أمّـت الأفـكـار ذاتـي ... يـحـيـرهـا عـلـى الـبـعـد الـعـمـاءُ
فـمـا فـي الـكـون مـن يـدري وجـودي ... سـوى مـن لا يـقـيـده الـثـنـاءُ
لـه الـتـصـريـف والاحـكـام فـيـنـا ... هـو الـمـخـتـار يـفـعـل مـا يـشـاءُ

خطبة المطوقة الورقاء

ولما سَمِعت المطوقةُ كلامَ الشجرة الكلية، وما جاءت به من المعارف الإلهية، صدحت في روضة قدسها، معربة عن نفسها، قالت:

لما أراد اللّه إيجاد كوني، وإشهاد عيني، وأن يطوقني طوق البها، ويسكنني في سدرة المنتهى، نادى بعُقابه الآمن من عِقابه، وهو بفناء بابه، فأجابه مطيعاً، وقال: ناديتَ سميعاً فقال: إنك في أرض غربة، وإن كنت مني في محل القربة، فإني لست من جنسك، فلا بدّ من استيحاش نفسك، وفيك قرة عين، فأظهرها في العين، تأنس بمجاورتها، وتتنفس بمحاورتها، فإن الأنس فيَّ محال، وأنا شديد المحال، فقال العقاب: وكيف يظهر عني شيء ومقامي العجز؟ وما في قوتي سلطان ولا عز؟

فقال له: الزم المناوحة، فسيظهر عينها عند المكافحة، وهذا هو الانتظام الثاني، والالتحام بالمثاني، فناوح الأمر، فظهرتُ، وناداني الحق، وما عرف العقاب ما جرى به النهر، لشغله

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل.
(٢) (الكلم) زيادة من نسخة (ب).
(٣) من الوافر، ديوان ابن عربي، ٣٧.

بالمهر، وكوني منه في الظهر، فعندما سمع أجابت الندا، قال: ما هذا الذي بدا؟ فصرف النظر إليَّ فعشِقني، وهيَّمه ما به الحق من الجمال طوقني، فشكا العليل والأليل، ونادى بالحريق والغريق، وبَلبَل بُلبل بلباله، وتعمَّل في إصلاح باله، ويأبى الخرق إلاّ اتساعاً، والعزاء إلاّ امتناعاً، وما أُبيح له لثمي، وشفاؤه في مضاجعتي ضمي، فرفع عنه حجاب الريب، ونودي من خلف سرادقات الغيب، ما لك تنظر في أعطافها، وتوقيع نغماتها؟ ولا تنظر في أوصافها، وبديع حكمتها؟ فدعاني إليه فلبيت، وأمرني بالقعود بين يديه فجثوت، فقال لي تهيامي في حسن مبانيك، أذهلني عن معرفة معانيك، وقد ورد الأمر أن تعرِّفيني بنفسك، وتُطلعي لي بارقة من سنا شمسك، فقلت: إن اللّه أوجدني منك عند التقابل، وأظهرني من ظهرك على التماثل، فأنا من قوتك صادرة، وبصورتك ظاهرة، وأودعني حقيقتين، ووهبني رقيقتين: حقيقة أُعرف بها، وحقيقة أكون ما شئته بسببها، ورقيقة مني إليك، تنزلني إذا اشتهيتك عليك، وبها حضرت بين يديك، ورقيقة مني إليه، تنزلني إذا دعاني عليه، فعندما سمع أن بيني وبينه رقيقة ممتدة، وهو قد تحقق بحقائق المودة، نزل في تلك الرقيقة إليّ، حتى امتزجت ذاتي بذاته، وغابت صفاتي في صفاته، وغبنا في لذة الالتحام، وطبنا بحصول الانتظام، ووقع النكاح المعنوي، واجتمع الماءان، في الرحم الآن، وقَبِلَهُ الرَّحَمُ بحكمة من حُرِمَ ومَن رُحِم، وبُلَّ العاشقُ من دائه، وارتاح شوقاً إلى ندائه، فهو يتردد بين شوقين، ويغرب في غربين، ويشرق في شرقين، فعندما استُبل [٩١و] من ألمه، ونزح إلى معلمه، وجدت في ذاتي امتلاء لم أكن أعرفه قبل ذلك، وانسدت المجاري له والمسالك، فحركت الرقيقة الإلهية، فأجابني، وقلت: يا إلهي! ما هذا الذي أصابني؟ فقال: تنفسي بذكري، لتظهر عنك كلمة أمري، فتنفست تنفس المثقل، فإذا بالعنقاء قد عمَّرت المعقل، فاسألوا العنقاء عن شأنها فستخبركم بما أودع الحق فيها من لطائفه، ومنحها من عوارفه فقال لسان حالها بصدق مقالها:

أنا ورقاء المثاني ... مسكني روض المعاني[1]
أنا عين في العيانِ ... ليس لي غير المثاني
فيناديني يا ثاني ... وأنا لست بثاني
ينتهي إلى وجودي ... كل شيء في الكيانِ
أنا أتلو من تسامت ... ذاته عن العيانِ
لي حُكم مستفادٌ ... في الأقاصي والأداني

(١) من مجزوء الرمل، ديوان ابن عربي، ٣٧ ـ ٣٨.

لـيـس لـي مَـثَـلٌ سـوى مَـنْ ... شـأنـه يـشـبـه شـانـي
فـانـتـقـد إن كـنـت تـبـغـي ... مـا أتـى بـه لـسـانـي
مـن رقـائـق تـدلـت ... بـحـقـائـق حـسـانِ
لـقـلـوب قـد تـولـت ... عـن زخـارف الـجـنـانِ
طـالـبـات مَـنْ تـعـالـى ... عـن تـصـاريـف الـزمـانِ
فـهـو الـفـرد الـمـعـلـى ... مـا لـه فـي الـحـكـم ثـانـي
وهـو الـذي اجـتـبـانـي ... وهـو الـذي اصـطـفـانـي
وأقـامـنـي عـديـلاً ... بـيـن دِنٍ ودنـانِ
فـأقـاصـي كـل قـاصٍ ... وأدانـي كـل دانـي
وأوالـي كـل والٍ ... وأعـانـي كـل عـانـي
فـإذا هُـوِّيـت سـفـلاً ... فـبـرَوح الـسـريـانِ[1]
وإذا صُـعِّـدتُ عـلـواً ... فـبـتـحـلـيـل الـبـيـانِ[2]
فـأنـا أعـطـي الـمـعـانـي ... وأنـا أخـلـي الـمـغـانـي

خطبة العقاب المالك

لما سمع العقاب ما ذكرته المطوقة، وما قررته من العلوم المحققة، قال: صدقتْ فيما ادعته وأظهرت لكم ما وَسِعته.

قلنا له: طر في جو بيانك، وأعرب لنا عن شانك، فاهتز سرير العقاب، وصفق بجناحيه وطاب، وقال:

أنـا الـعـقـابُ لـيَ الـمـقـامُ الأرفـعُ ... والـحـسـنُ والـنـورُ الـبـهـيُّ الأسـطـعُ[3]
أُمـضـي الأمـور عـلـى مـراتـب حـكـمـهـا ... فـي الـعـدوة الـدنـيـا وعـزي أمـنـعُ
أنـا فـيـضـه الـسـامـي ونـور وجـوده ... وأنـا الـذي أدعـو الـوجـود فـيـخـضـعُ
وأنـا الـذي مـا زلـت قـبـضـة مـوجـدي ... فـالـجـود جـودي والـحـقـائـق[4] تـوضـعُ

---

(١) في الديوان (فبروج).

(٢) في الديوان (فلتحليل المباني).

(٣) من الكامل، ديوان ابن عربي، ٣٨ ـ ٣٩.

(٤) في الديوان، (الخلائق).

نحوي لتطلب ما لها في شربها ... منّاً فأعطي من أشاء وأمنعُ
أدنو فيبهرني جمال وجوده ... أنأى فيدعوني البهاء الأروعُ
فإذا دنوتُ فحكمةٌ مقبولة ... لكن لها قلب العلى يتصدعُ
وإذا بعدت فامرة مقسومة ... والنور من أرجائها يتشعشعُ
فأنا الأمير إذا بعدت فشقوتي ... في إمرتي وسعادتي إذ أنزعُ
فأسرُّ أوقاتي وأسعدها إذا ... عاينت أعيان الأهلة تطلعُ

ثم قال: لم أزل في مرتبة من مراتب الكون، وأنا معدوم العين، إلى أن سبقت العناية، وكانت بوجودي البداية، وذلك أنه تجلى بنفسه لنفسه، فامتد وجودي بشهودي، وقبلتُ السورة بالصورة، وكنتُ سريرة بالسريرة، فاستوى عليَّ الاسم الجامع، وحفَّ بركائبه وزيراه: المعطي والمانع، وحاجباه: الضار والنافع، فلما تحقق الاستواء، وبان السواء، ودعتني الأسماء، بالأعز الأسمى، فعمّر الفناء، وبرز البقاء والفناء، وتوالى القسط والفيض واستمر، وثبت البسط والقبض واستقرّ، وصحّ بالمَلَك المُلك، وظهر بالمالكة المُلك، ودار بالفَلك الفُلك [٩١ظ] وناداني نداء التعليم، بلسان التحكيم، أن انظر في ذاتك، بجامع لذاتك، فلما وقع مني النظر، وميّزت بين من يجب له التقدم ممن يجب له النظر، وشرعت المذاهب، وقسّمت الأنوار بين المكاسب والمواهب، وقلت لمن عاينت من الأرواح المهيمة: الزموا الحضرة المهيمة، وقلت لمن عاينتُ من الأرواح المسخَّرة: الزموا المقامات المسخرة، ثم قلت لمن عاينت من الأرواح المدبرة: الزموا الهياكل المدبرة، فراح كل صنف يطلب منزله، ليشاهد منزَلَه، وكنت قد عاينت المطوقة الورقاء، وحملها الغريبة العنقاء، غير أني لتقسيم النازل، ذهلت عن النازل، فأنا علم الكون، والمخبوء في أردية الصَوْن، افترى عليَّ جماعة من العقلاء، وتعصّب لأخذي عصابة من الفضلاء، فنصبوا شرك أفكارهم لصدي، وأحالوا علي ما مددتهم به ليستخرجوا حدي، ولما كانت الهمم قد توفرت لتحصيلي في شركهم الفكري، وحصل فيها عقاب على صورتي من الموطن الوهمي، قالوا: هذا هو الحق المبين، ولو عرفوا أن الحق ما بان له ولا يبين، فإن المعرفة بي وبموجدي موقوفة على الوهب، مصروفة عن الكسب، فاستفزهم بشبهته الشيطان، وتخيلوا أنهم قد حلوا بالرُبى، وما نزلوا إلاّ بالغيطان، واشتبه عليهم القِدَمَ بالقَدم، فحكموا علي بالقِدم، وإن وجودي لا عن عدم، فتركتهم بشبهتهم لحماً على وضم، وهكذا ينبغي في من اهتضم الأمر الإلهي الوهبي أن يهتضم، فأنا بريء مما نسبوا، وكافر بما نصبوا، فإن اللّه جل ثنائه في القِدم، وأنا إذ ذاك محكوم علي بالعدم، ثم أوجدني عن عدم لسابقة القدم، فظهر عيني، وأنار بعلمه كوني، وناط بي الفقر والعجز، وأماط عني الأزر والعز، فأنا الذليل الذي لا يُعز، والقوي الذي لم يزل يعجز.

خطبة الغريبة العنقاء

فلما فرغ العقاب من كلامه، وأتى على بيان مقامه، قامت العنقاء تعرب عن وجودها، وتغرب بعزة حدودها فقالت:

أنا عنقاء مغرب، ما زال مسكني بالمغرب، بالمقام الوسيط، على سِيْف البحرِ المحيط، اكتنفني العجز من الجهتين، وما ظهر قط لوجودي عين، وقالت:

فأنا الذي لا عين لي موجود ... وأنا الذي لا حكم لي مفقود[1]
عنقاء مغرب قد تُعورف ذكرها ... عرفاً وباب وجودها مسدودْ
ما سيّر[2] الرحمن ذكري باطلاً ... لكن لمعنى سره المقصود[3]
هو أنني وهّابة أسرارهم ... عرفانَهم فصراطنا ممدودْ
والسالكون على مراتب نورهم ... فأجلّهم من نوره التجريدْ

فبي تكون الحدود، وعليَّ توقّف الوجود، يُسمعُ بذكري ولا أرى، وليس الحديث بي حديثاً يفترى، أنا الغريبة العنقاء، وأمي المطوقة الورقاء، ووالدي العقاب المالك، وولدي الغراب الحالك، أنا عنصر النور والظلم، ومحل الأمانة والتهم، لا أقبل النور المطلق فإنه ضدي، ولا أعرف العلم فإني ما أعيد ولا أبدي، كل من اثنى عليَّ بعيد الفهم، مقهور تحت سلطان الوهم، ما لي عزة فاحتمي، وهياكل الكون الأعلى والأسفل إليّ تنتمي، أنا الحقيقة [٩٢و] الأجمعة، لما عندي من السعة، فالبسُ لكل حال لبوسها، أما نعيمها وأما بؤسها، لا أعجز عن حمل صورة، وليس لي في السور المعلومة سورة، لكني وُهبتُ أن أهب العلوم ولست بعالمة، وأمنح الأحكام ولست بحاكمة، لا يظهر شيء لم أكن فيه، ولا يحصره طالب مدرك ولا يستوفيه، فبهذا القدر عَظُمتُ في أعين المحققين، ولي جولان في مجالس المطرقين، فهذا قد أبنت عن حالي، وأظهرت صدقي في محالي.

خطبة الغراب الحالك

فقام الغراب وقال:

أنا هيكل الأنوار، وحامل محال الأسرار، ومحل الكيف والكم، وسبب الفرح والغم، أنا

---

(١) من الرجز، ديوان ابن عربي، ٣٩.

(٢) في الديوان (صير).

(٣) في الديوان (مقصود).

الرئيس المرؤوس، وليس الحس المحسوس، بي ظهرت الرسوم، ومني قام عالم الجسوم، وأنا أصل الأشكال، وبمراتب صوري تُضرب الأمثال، فأنا المصباح والرياح، وأنا سلسلة على صفوان والجناح، أنا البحر الذي طَفِقَ موجه، وأنا فرد المعدود وزوجه، عُرْضي دار كرامته لأوليائه، وعمقي دار إهانته لأعدائه، وطولي مذ وجدت لم يزل، يقابل بذاته الأبد والأزل، فأنا بوطيقي الحكم، وموسيقي النغم، وجامع حقائق الكلم، إليّ المنتهى، وعليّ عوّل أولو النهى، وأنا أسنى ما منح اللهى، أنا الغاية وليست لي غاية، من أجلي أُخذ مَنْ أُخِذ، وبسببي نُبِذَ مَنْ نُبِذ، أنا المطوية باليمين، وأنا قبضة الحق المبين، دعاني الحق إلى حضرته فأتيت، وناداني إلى معرفته فلبيت، أنا صورة الفلك، ومحل الملك، عليّ صح الاستواء، وعني كُني بالمستوى، أنا اللاحق الذي لا أُلحق، كما أن العقاب السابق الذي لا يسبق، هو الأول وأنا الآخر، وله الباطن ولي الظاهر، قُسم الوجود بيني وبينه، وأنا ظهرت عزّه وكونه، توقف عليّ حكمه، وسرى منه علمي، وسرى فيّ علمه، إذا دفعه واهبه، فإليّ لأفيده[1] وإذا أفدته شكرني لأزيده، فقامت طائفة ممن تدّعي العقل الرصين ـ على زعمها ـ وقضت عليّ شبهتهم بحكمها، فناطوا بي قبيح الهجاء، وجعلوني في حلة حُسن الثناء، فجار عليهم وبال ما كانوا يعملون، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون، كأني بهم في عمقي يستصرخون، فيجابون: اخسأوا فيها ولا تكلمون، إذا كان في عُرضي أهل الثناء الحسن في حقي فاكهين هم وأزواجهم في روضة يحبرون، قد أثنى عليّ الشرع فما أُبالي، وبيَّنَ مرتبتي السمع فما أُغالي، ثم قال:

فأنا السر المسوّى ... خلقه بلا بنانِ[2]
رتّب الأمور فيه ... خالقي لما بناني
فأنا صخر ومني ... تتفجر المعاني
وأنا مع العوالي ... مثل افراس الرهان[٩٢ظ]
وأنا الذي تتوارى ... حشمة[3] عن العيانِ
والذي أجبت ربي ... طائعاً لما دعاني
فالذي يرى وجودي ... لتصاريف الزمانِ
كفؤاد أم موسى ... فارغاً من المعاني

(١) في الأصل (لنفيده).
(٢) من مجزوء الرمل، ديوان ابن عربي، ٣٩ ـ ٤٠.
(٣) في الديوان (حسمه).

فهو الخلي حقاً ... من حقائق البيانِ
فأنا أصل المعاني ... وأنا أس الأغاني
وأنا سر إمام ... فاضل سامي المكانِ
علمه[1] أكمل علمٍ ... شأنه أعظم شانِ
هام بي لما رآني ... في مقاصير الجنانِ
لا أسميه فاني ... خائف حد السنانِ
والذي يفهم رمزي[2] ... هو (صخر بن سنانِ)
أكرم الوجود كفاً ... ثابتاً عند الطعانِ
فأنا والأم والجدة ... والجد المعاني
في وجودنا عن الحق ... معاً بلا زمان[3]
مثلما لاح لعينٍ ... في الهوى برقُ يماني

فهذا يا (صخر بن سنان)، قد أوضحت لك مقامات أمهات الأكوان، وهي[4]: الإنسان الكلي، والعقل الأول، والنفس الواحدة، والهيولى، والجسم الكلي، فابحث فيها بحث العاقل الطالب نجاة نفسه، وحضرات قدسه.

والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته، وهذا آخر ما رقمناه، وبالحق أنزلناه، من هذه الرسالة المسماة: بـ (الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني بمحضر الشجرة الإنسانية والطيور الأربعة الروحانية)[5].

---

(١) في الأصل (وهمام علمه) والتصحيح من الديوان.

(٢) في الديوان (قولي).

(٣) في الديوان (في وجودنا من الجود معاً بلا زمان).

(٤) في الأصل (وهو) والسياق يقتضي ما أثبتناه.

(٥) أثبت الناسخ في خاتمة الرسالة ما نصّه: «وكان الفراغ من تعليق هذه الرسالة المباركة يوم الجمعة، أول يوم في شهر جمادى الآخر [كذا] من شهور سنة ٩٨٤ من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، والحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على سيدنا (محمد)، وآله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين».

تبصرة الطالب وطالبة القارب
إلى موطن الغرائب والعجائب

التحقيق

اعتمدت في تحقيق رسالة (تبصرة الطالب وطالبة القارب إلى موطن الغرائب والعجائب) على المخطوطة المرقمة (٣٧٩٥) المحفوظة في دار المخطوطات ببغداد، وهي مجموع في التصوف يقع في (١٠٣ ورقة)[١]، وجاء تسلسل رسالة (تبصرة الطالب وطالبة القارب إلى موطن الغرائب والعجائب) في المجموع الرسالة: ٧، تبدأ الرسالة من الورقة ٥٢ وجه وحتى الورقة ٦١ ظهر، بقياس ١٥ × ١٠ سم، وعدد الأسطر ٢٨ سطراً في كل صفحة، تضمن كل سطر منها ١٢ كلمة تقريباً.

كتبت الرسالة بخط نسخ دارج، على ورق يرقى إلى القرن العاشر الهجري، وخلت الرسالة من اسم الناسخ، لكنه ورد أنها نسخت يوم الجمعة أول يوم في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٨٤ هجرية، دوّنت الرسالة بمداد أسود، بينما دوّن عنوان الرسالة بمداد أحمر في صفحة منفصلة، كذلك الفوارز التي استخدمت كعلامات توقف، وقام الناسخ بتصفيح أوراق الرسالة التي رقمت ترقيماً حديثاً بمداد أحمر.

(١) تمّ الحديث عن هذه المخطوطة ووصفها في المقدمة التحقيقية لرسالة (كشف الستر) فانظرها هناك.

طبيعته، وظلمته وجهله، ان ا
سلفهم اليهم، ويلزمهم ذلك لزوما ذا
والكفار النبوة لانهم من اولاد نوح عليه السلام
عليه السلام، وغيره، ولزم ولد العالم عالم بالعلم من غير طلب
الجهل العظيم الذي ادّاهم على ذمهم في ذم الحس والطبيعة،
حق عند ذلك ولم يدروا المغرورين، ان المشيخة المضافة الى النسبة الذي
ورفع الحجاب، وكذلك الشرف والصلاح، والولاية والعلو والحكمة، ومن ذلك
سائر المعاني المعروضة للانسان امر عرضي، ليس هو ذاتي، لازم للانسان، فان
الاوصاف من الانسان من حيث قابليته، كالاوصاف القبيحة الذميمة، التي يصير
بها في مقام الكلب، والخنزير، واقل منهما واسفل، وليس شيء لازم
للانسان من جميع مراتب وجوده حقيقته، كما عرفناك به من حيث هو هو
لا لون له، وانما هو قابل للخير والشر، والشرف وضده، والولاية وضدها
والصلاح، وضده، وغير ذلك كله، ذلك هو قابل له بالقوة، فاعرف هذا الس
فانك تنجو به، من ورطة الغرور اللازم للخلق الذي صار واله خلق
الحق واعلم ان المقصود من الانسان انما هو التخلص من سجن طبيعته المظلمة
السفلية ورقايقها الجهنمية والافعال الناشئة عنها الذميمة الشريرة، والتخلق
باخلاق الالهية، والقيام بكمال الروحانية العلوية، والرجوع الى النشاة القطرة
والاهتمام بتحصيل حقيقته الانسانية، الجامعة للحقايق والرقايق الكلية والجزئية
الموضوعة لمطلق الكمالات الحقيقية والخلقية، والجامعة لحقايق الاسماء والصفات
والافعال والايات الظاهرة الجلية، والباطنة الخفية، لانها انسان عين الوجود
وروحان روح الشهود، وهو في الحقيقة اسم المقصود من ايجاد كل موجود
وعلمك انها الخ الموفق بمعرفة نفسك، وتخليص حسك، قبل نزول رمسك
وفنا قالب انسك، لانه واسطة السعادة، ومحل الخير والبركة وبيت العبادة
اجهد في تصفية نشاتك الانسانية، وفطرتك المطهرة الاصلية، القائمة بحق
مود الازلية، ورقايق الشهود الابدية، عند اضمحلال الاعيان والاكوان
الحق وشهود كل له على ما عليه كان، وهذا آخر ما تكلمنا في نشأته
ه السلطان، العميم الاحسان، الجسيم الامتنان، البعيد الد
ن ولد هاشم وعدنان، وعلى آله وصحبه وسلم ما دا

نموذج من رسالة تبصرة الطالب

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاّ باللّه، عليه توكلت وإليه أنيب، الحمد للّه الذي جعل الإنسان الكامل مظهر ذاته، ومسقط صفاته ومعرك تجلياته، ومصب وابل رحمته وهباته، وأكمل آياته، وأعظم نسخه، وأتمّ نشآته، ومفتاح غيب حضراته، والصلاة والسلام على من لا يحصر فضله وبركاته، ولا يغوص الغائص في بحر هوياته، (محمد) روح مخلوقاته، وآله وصحبه وأزواجه وذرياته، صلاة وسلام زاكيان ناميان باقيان بدوام سرمدية حياته.

وبعد فهذه رسالة إلى كل من وقف عليها وفهمها، وسمّيتها:

(تبصرة الطالب وطالبة القارب إلى موطن الغرائب والعجائب)، فأقول: اعلم أيها الإنسان أنك حضرة كاملة مستوية جامعة للواقع وغير الواقع، فأنت الكتاب الذي ما فرط فيه [من] شيء، وأنت الوصل الشامل للتجليات الذاتية، والأصل الذي نبأ عن كتب مرآة الألوهية، ومراتب الحضرات العلية، وأنت البرزخ بين البحرين، ومظهر العالمين، وسر العين، والأين، وأنت الإنسان الكبير، وهو الإنسان الصغير، بالنسبة إلى الحضرة التي تحضر فيها بالحق مع الحق، من حيث حقيقتك، وأنت الكل والجزء، والكلمة الفاصلة الجامعة، والحكمة الواصلة المانعة، وأنت القائم بصفتي الصفات: صفات الحق وصفات الخلق؛ لأنك أنوار النور المكنون، وكنز العلم المصون، وعرش الذات الأحدية، وكرسيّ الهوية الصمدية، واسطة الفيض الأقدس، ورابطة التجلي الأنفس، وأنت القديم الحادث، وأنت الحقيقة المنزلة بمراتب الوجود الحقية، المفاضة إلى المرتبة الخليقية، الظاهر بصفات الخلق على اختلاف طبقاتها، وتنوع أسمائها وتجلياتها، من وجود وقدم، ولوح، وقلم، وعرش وكرسي، وأفلاك وأملاك، وأنوار وآجال، وسماوات وأرض، وطول وعرض، وطبائع وجهات، وعناصر ومركبات، وجماد ونبات، وحيوان وإنسان، وإلى كل كائن كان، وغير ذلك من أسرار ما هنالك مما انبسطت عليه الألوهية، واقتضته الربوبية، فأنت جنس الأجناس من حيث كليتك، ونوع الأنواع من حيث جزئيتك، وأنت عين الأعيان، والمسمى بالإنسان، هذا كله من حيث اعتبار حقيقتك الحقية، المنزلةِ بفيضها للمراتب

الخلقية، وهي حقيقة الوجود، وطريقة الشاهد، وشريعة المشهود، ومن حيث هذا الاعتبار المقصود، يعتبر لك، ولك كل ما يطلق على[1] اسم الوجود، فإذا عرفت هذا فاعلم أن الحق الغني العظيم، والملك العزيز الحكيم، قد جعل مرتبة ظهورك في أقصى مراتب الاستجلاء، التي تمّ بها في الغيب الجلاء في آخر [٥٧ظ] مظاهر عالم الشهادة الأعلى والأغلى، فكنت من حيث مجموع تركيبك جامعاً بين طرفي الوجوب والإمكان، والمتجلي في الغيب والشهادة بصورة الرحمن، فصورتك الباطنية الغيبية عن الذات العليّة، والحقيقة الواحدية المستوية على الألوهية، وصورتك الظاهرة الشهادية فرض الوجود، ونص الشهود، الخليفة المنزل، والإمام المرسل، فأنت الإمام المسؤول عن رعاياه، الوجه الواحد الكثير في مرائي مراياه، فمراتب الموجودات كلها كالأشكال، وأنت لها روح الخيال والمثال، كالماء المطلق، وتلونه بلون كل إناء محقق، لهذا أشار بعض العارفين[2] لما سئل عن العارف، فقال: «لون الماء لون إنائه»[3]، إشارة إلى هذا السرّ المودع في عين كل إنسان، ومن خصوصيته أن يحكمه في الأكوان، ويرقّيه عن الأعيان، إلى أن يصير بإنسانه عظيم الشأن، وبشأنه يبلغ المستوي على عرش الرحمن، ولمّا كان له هذا الأمر المحكوم، والشرب المكتوم من الحي القيوم، لم يرتبط بمقام معلوم، ولا بوصف معين غير الجمع من حيث الخصوص والعموم، كما أنه تعالى ربط مراتب الموجودات في مقاماتها بأسماء وصفات، ولهذا ترقّى الطالب إلى المراتب العلوية، وهبط الهارب إلى المهاوي السفلية، وقد اختلفت طبقات هذا العالم الإنساني، بحسب القبول والاستعداد للسير السُّرياني، المنزل بمراتب الوجود العرفاني، في أفراد هذا النوع الإنساني، لاقتضاء التجلي الرباني، والفيض الرحماني، من حيث أحكام الحقائق الحقية، والنسب والإضافات في الأعيان الخلقية، حتى يجري هذا الاختلاف في هذا العالم الإنساني، وتتميز مراتبه من حيث شهوده الحقائق والرقائق بالكشف العياني، وتتنوع الشؤون في الأعيان، ويعرب عنها بالدليل والبرهان، وبالافتراء والبهتان، وأقلّ من ذلك عند تحقيق ما هنالك، ألا ترى أن بعض هذا النوع الإنساني لا يساوي جزءاً من مائة ألف جزء من تعوّصه على التمثيل والتقريب، والآخر يسجد سجدة حقيقية يستغرق فيها سجود العوالم الكلية والجزئية، وجميع شؤونها العلوية والسفلية، ويتنفس النفس الواحد فيستغرق به عبادة العالم كله العبادة الذاتية، من حيث

---

(١) (على): حاشية.

(٢) أبو القاسم بن محمد بن الجنيد البغدادي، متصوف مشهور، من العلماء بالدين، ولد ونشأ ومات في بغداد سنة ٢٩٧هـ، عاصر الشبلي وله رسائل مطبوعة.

(٣) الرسالة القشيرية، ١٥٧.

إن المدد الساري في جمع الذراري[1]، ومن جهته يمد الوجود في عين كل نفس، فيظهر له عبادة الوجود؛ لأنه يكون في هذا المقام متحققاً بمقام العبودية الكبرى المتكفلة بإيصال المدد الوجودي إلى مراتب الوجود كله، فمن هنا صار نفسه الواحد أفضل من عبادة كل عابد؛ لأن روحانيته [٥٨و] غير متحيزة، فانظر إلى هذه العبادة العظيمة في اختلاف الشهود العياني، وتفاوت هذا النوع الإنساني، من حيث إن الوضع واحد، والحق هو المشهود والشاهد، وكل إنسان موضوع لظهور حقائق مراتب الوجود، ومحمول في عين إنسانيته أحكام حكم فيض الجود، وهو جامع من حيث فطرته الأصلية، ونشأته الأزلية الأبدية، لذلك كله كان أحق بذلك وأهله.

ثم لما أراد واجب الوجود اقتضاء ظهوره في إنسان عين الشهود، أنزل هذه اللطيفة الإنسانية اللاهوتية إلى هذه النشأة الكاملة الناسوتية، المركبة من مجموع حقائق الأعيان والأكوان العلمية والعينية، وكان هذا التنزل الرحماني، والسرّ الجامع الإنساني عل اقتضاء الحكمة، ووفق العلم، وتخصيص الإرادة، لاستتار أسرار الغيب في أنوار الشهادة، وطي النور في الظلمة والقدرة والسمع والبصر والكلام في سريان الرحمة، فلما تنزل إلى آخر مراتب الظهور، واستولت الظلمة على النور، فطلبه بلسان الشريعة والحقيقة، وسلوك مقامات الطريقة، بالرجوع إليه، والتعوّل عليه، ولم يجعل له غاية يقف عندها غيره، ولا نهاية يبلغ إليها سيره، وكان هذا الطلب لهذه اللطيفة الإنسانية من أقصى عالم الظهور، وآخر التركيب الناسوتي الساتر للنور، والحجب الظلمانية الشهادية، والأهواء المختلفة الرديّة عند تقيدها بدار الحدثان، وسجنها في طبيعة الهوان، التي صارت فيها غريبة عن وطنها الأصلي، وإطلاقها المجرد الكلي، وإنما أنزلت لهذه المهمات، لترتقي بعد تحصيل الكمال لأعلى الدرجات، فمن سبقت له عناية التخصيص من عين ذاته الثابتة الأزلية، التي هي منبع الأسرار والأنوار القدسية، أجاب الداعي عند سماع قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾[2]، وهو داعي الشريعة، من باب الأمر الذي لا يدخل منه إلاّ الطالب المحب الصادق، فتأتي روحانيته سميعة مطيعة، فإذا دخل من هذا الباب، وبلغ مقام أولي الألباب، وأحسن آداب الطريقة، أتاه داعي الحقيقة يدعوه من باب التعرّفات الإلهية الجاذبة له لأعلى المقامات السنية، فيأخذ هذا المطلوب المحبوب للحق، الراجع إليه من حيثيات الخلق في التجريد والتحليل عن ناسوته وتركيبه الأرضي، للسمو لسماواته

(١) ذكرت المصادر أن لابن عربي رسالة تحت عنوان النكاح الساري في جميع الذراري، وهي من رسائله المفقودة، وعند الصوفية: النكاح الساري يساوي التوجه الحبي لحديث الكنز، وأول النكاح الساري هو الوصلة بين الغيب والظهور، ويرجع هنا أن المدد تلامس في ترادفها النكاح، انظر في تفصيل ذلك هامش ٦٣ لعثمان يحيى «كشف الغايات»، ٤٣٢.

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٣١.

باتقانه للسنة والفرض، ويرتقي من ظلمة حدثانه، حتى ينكشف له وجه إنسانه، وينعدم الفاني بالتلاقي، ويبقى بالحق الشأني الباقي، ولا يخفاك أن الغريب كلما بعُدت مسافته، وطال أمد غربته، إذا رجع بعد العناء إلى أهله ووطنه، ما يحصل له ولهم من فرح وهناء عند إقامته وسكنه، ويكرّمونه لخاصيته، ولقدوم وصوله من غربته، ولهذا السرّ جعل الحق سفر هذه اللطيفة الإنسانية إلى أقصى العوالم الكلية والجزئية، الغيبية والشهادية، لتحصل بعد هذه الدورات، وقطع هذه المقامات [٥٨ظ] والاطلاع على هذه التجليات، والتخلق بهذه الكمالات، في أعلى ذروة الوجود، وأسمى عروة الشهود، وتبلغ من الحق المقصود، ويوفيها المقام المحمود، وأما إذا أخلدت هذه اللطيفة الإنسانية إلى أقصى مراتب عالم الشهادة الدينية، وأجابت داعي النفس والهوى، وظلّت بها الأغوى، وانحدرت مع النفس إلى مقعر الطبيعة والدنس، وأهوت بها إلى أسفل سافلين، وكانت من المغضوب عليهم والضالين، انحدرت في سجن الطبع وظلمتها، ودار الهوان وشدّتها، وصار لونها لون الطبيعة الردية، وتخلقها تخلق الأفعال الشرية، فذاك سجن عقوبتها، ودار إهانتها، ومنتهى سعيها وطلبتها، وتحصل من عالم الطبع لذتها، نسبة اللون الذي ظهرت به، ونسب إليها، والوصف القائم بها الغالب عليها، والذي مضى عليها بانخراطها في سلك عالم ذلك الوصف بها من عالم الطبيعة هنا، فيكون في البرزخ، ويوم القيامة حاكم عليها ولها، فهذا هو الظالم لحقيقته، الأعمى في الدنيا والآخرة عن حكم طريقته وشريعته المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٢]، وبقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾[٣]، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث البينات، والأول هو المؤمن السعيد التقي، الذي ورد فيه الحديث: (ما وسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي النقي)[٤]، الذي تنقى من الأغيار،

---

(١) سورة العصر، الآية ٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

(٣) سورة عبس، الآية ١٧.

(٤) ورد الحديث بلفظ: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن قال الحافظ السخاوي: ذكره الغزالي في الأحياء ١٥/٣ وقال مخرجه الحافظ العراقي: لم أرَ له أصلاً، وكذا قال ابن تيمية وهو مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف، وأخرجه أحمد بن زهد عن وهب بن منبه قال: إن اللّه فتح السماوات لحزقيل حتى نظر إلى العرش، فقال حزقيل: سبحانك ما أعظمك يا رب، فقال اللّه تعالى: إن السماوات والعرش صغقن عن أن يسعني، ووسعني قلب المؤمن اللين.. ورأيت بخط الحافظ الزكرشي: حديث باطل، وله شاهد عند الطبراني عن ابن عتبة الخولاني رفعه: إن للّه آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها وفي سنده بقية ابن الوليد وهو مدلس، انظر «المقاصد الحسنة»، للسخاوي، ٣٧٣.

وبقي مجلى لتجليات أنوار الواحد القهار، والثاني هو الكافر الشقي الخبيث، الذي باع الدنيا بالدين، واحترم[1] جمال شهود رب العالمين، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾[4].. الآية[5]، وكل ذلك لعدم الامتثال، وتضييعهم لرأس المال في المحال، ولنا كلام بديع في أسرار مطابقة هذا الإنسان لحقائق الوجود عموماً من حيث فطرته الأصلية، وخصوصاً من حيث مناسبته لعالم مراتب حقيقة إنسانيته الذاتية، من حيث جهتي التلوين وثبوت التمكين، وكل ذلك باقتضاء الوصف الغالب عليه، ورجوع كل نتيجة تظهر منه وفيه وإليه، ولكن لا يمكننا بيانه هنا لاختصار هذه الرسالة لنا، وبالجملة أن تعلم أن كل من قامت به حقيقة من حقائق مراتب الوجود، ودامت له رقيقة من رقائق الشهود، كان حكمها عائداً إليه، ووصفها راجعاً عليه، لأن الماء لونه لون إنائه، وإناؤه تلك الحقيقة من حيث الجهة التي تلي روح تلك الرقيقة، فتفطن تعلم، وتخلص تسلم، ولا تهمل تندم، ولا تسرف ترحم، يموت المرء على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه، ويحشر على ما يبعث عليه، ويلقى ربه على ما يحشر [٥٩و] عليه.

ومع هذا الكشف أن كل ما سوى تلك الحقيقة والرقيقة من أعمّ حقائق مجموع الوجود، ورقائق أسرار الشهود، مظلومة وهو الظالم، محكومة وهو الحاكم، لكونه محبوب الذات العليّة، ومطلوب الحضرة الإلهية، إلى أن يقوم بمجموع حقائق الوجود، ويدرك بممنوع رقائق الشهود، ويعطي كل ذي حق حقه، ويقوم بين يدي مليك مقتدر، إلى أن يقعده في مقعد صدقه؛ ولأن المظلوم داعٍ ومدع[6] على ظالمه بلسان حاله وذاته ومقاله من حيث لم يوصله لكماله، فالإنسان من حيث إخلاده إلى سجن الطبيعة ظالم ومظلوم، كما أنه من حيث حقيقته حاكم ومحكوم، فهو ظالم من حيث كونه ضيّع رعاياه، واتبع نفسه وهواه، فالرعايا طالبة منه ظهور سلطانها في عينه، والتقرّب إليه والاتصال به من بينه، وقيام أحكامها به القيام الكلي؛ لأنه هو سرّ الروح الأصلي،

---

(١) المراد: (وحرم).

(٢) سورة الزمر، الآية ١٥، وقد وردت الآية في الأصل بتقديم وتأخير.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٦١.

(٥) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، سورة البقرة، الآية ١٦١.

(٦) في الأصل: (داعي ومدعي).

ومطلوب الحضرة الذاتية، عند رجوعه إلى حقيقته الكلية، القائمة بكل الحقائق، والمشاهدة لجميع الرقائق، فكان ظالماً لحقائق نفسه، ومظلوماً لعدمه من رقائق إنسه المضيعة بتضييعه نفسه، وقيامه بطبائعه وحسه، وظالم من حيث جزئيته في تركه كمال كونه الصغير، ومظلوم من حيث كليته المشار إليها بالإنسان الكبير، فهو ظالم مظلوم، وحاكم محكوم، بإشارة قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1]، وهو نظير قوله صلى اللّه عليه وسلم: (وما حدثت به أنفسها)[2]، فإن الأنفس هي المحدثة ـ بكسر الدال وفتحها ـ وقد علمت أن (الظلم ظلمات يوم القيامة)، وآفات وعاهات، وحسرة وندامة، وذلك بحسب الظلم، وبحسب المظلوم، فإذا قام بها الإنسان ـ مثلاً ـ وصفاً من أوصاف عالم الطبيعة، فكل ما سوى ذلك الوصف من مجموع حقائق ورقائق النفس الكلية مظلوم، لكونها رعايا ونسباً إليه ضائعة وضيعة، وهو ظالمها حيث لم يجعلها بذاته، ورفعها إلى الحضرة الرفيعة، وفقنا اللّه وإياك لجمع حقائق النفس الكلية، ورفع لنا[3] عن دقائق حكم الشؤون الذاتية؛ لأنها رعاياه، وهو سلطانها، وقضاياه وهو برهانها، فيحدّها ظلمات لا نهاية لها، ولا حصر ولا مقدار، فهي ظلمات بعضها فوق بعض، حجب وآثار بعدد حقائق الحضرة العلية في الوجود، ورقائق النفس الكلية في الشهود، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى اللّه عليه وسلم: (الظلم ظلمات يوم القيامة) بلسان الجمع المشتمل على العطاء والمنع، وليست هذه الظلمات خاصة يوم القيامة، إنما يوفى كل إنسان بعمله[4]، ويجد معتقده أمامه؛ لأنه يرتفع فيه حجاب الخيال، وتنكشف فيه الحقائق كلها من دون مجال، وتشهد كشف الحقائق [٥٩ظ] الإلهية القائمة بأفراد الحقيقة الإنسانية، ويشهدها في هذه الدار كل أحد مما ارتفع عنه حجاب الخيال والمثال، وتجلّت له حقائق الأزل والأبد فيشهد جميع الحقائق والرقائق عياناً جلياً، لاتصال شهوده بدار الآخرة.

ورجوعه إلى الحق ملياً، فانظر ـ عافانا اللّه وإياك وفتح لنا وأرشدنا وهداك ـ ما أعظم هذا الأمر وأرشده وأقصمه للظهور؛ لأنه أسرار وأنوار مندمجة في ظلم بلا نور لا تظهر إلاّ لمن كحّل اللّه تعالى أحداق بصيرته بنور الإيمان، وأطلع في سويداء فؤاده وسريرته شمس العيان، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[5]، فالإشارة بالظلمات التي يُخرج الحق منها الذين آمنوا هي الظلمات المتعددة بحسب حقائق النفس

---

(١) سورة النحل، الآية ١١٨.

(٢) البخاري مظالم ٨، الترمذي، بر ٣٥/٣.

(٣) (رفع لنا) حاشية.

(٤) إشارة إلى الآية ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ سورة هود، الآية ١١١.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

الكلية، ورقائق الحقيقة الأصلية، فإن مقام الإيمان ـ وإن جلّ وعظم ـ فهو لا يشمل القيام بمجموع حقائق النفس الكلية، ورقائق أحكامها الكلية والجزئية، بل هو بالنسبة إلى مقام الإحسان ظلمة، وصاحب مقام الإحسان يشهد صاحب مقام الإيمان متردياً[1] في ظلمات بعضها فوق بعض، ومقام الإحسان حدّة حضرة الأفعال، وهو بالنسبة إلى التحقيق بمجموع حقائق النفس الكلية ظلمة من حيث الإجمال، وظلمات من حيث التفصيل، وهكذا تجد الظلمات لا نهاية لها في باب السلوك، والإنسان مطلوب إلى التخلص من كل ظلمة، فلا يزال السالك المترقي عن سجن الطبيعة ومقام الحيوانية يخرجه الحق من الظلمات ما لم يلج بحر حضرات الأسماء والصفات، ويظهر سلطان كل حقيقة في عينه، ويكون له نسبة بمجموع تلك الحقائق والرقائق، التي هي عبارة عن مجموع إنسانه الكبير، ويصير هو الإمام القائم عليها بالحفظ والإمداد، وحسن التربية، فهي جيشه داعية له، وشاكرة بلسان التحقيق، المستغرق للسان الذات الحال والمقال.

وأما العبد الذي ناصر ذنب الشيطان، وضيّع هذا المقام الكلي بإخلاده إلى عالم الطبيعة، فهو المضيع لرعيته الظالم لها، المفسد الممرض بل المهلك، فهي داعية عليه، ومدّعية بلسان ذاتها وحالها ومقالها مع ما يقوم عليه من الظلمات المتعددة بحسب تعددها، فاعرف أيها الأخ الصالح ـ إن شاء الله تعالى ـ هذا السرّ العظيم والكنز الكريم والطلسم الجسيم.

واعرف الفرق العظيم بين من يدعو عليه جميع حقائق النفس الكلية ورقائقها وتقوم عليه [٦٠و] الظلمات المترتبة ضيّعتها وضيّعته، وبين من تدعو له جميع حقائق النفس الكلية ورقائقها، وتمدّه بأنوارها، وتحفّه بأسرارها، وأنظرَتْه مقامه، وأعطته قواها، وأثنت عليه شكر لسان التحقيق، شكر الصفات الذاتية وانظر كيف قابل الشكران الشكران، والكفران الكفران، فإن الإنسان الحقيقي الراجع إلى عين حقيقته، وأصل فطرته شاكر لجميع حقائق نفسه الكلية ورقائقها، شكر الذات للصفات، وهي شاكرة له شكر الصفات للذات، والإنسان الحيوان الغالب عليه أحكام طبيعته، كافر بحقائق نفسه الكلية ورقائقها، وهي تقابل بالكفران، ولهذا كان بين المناظرة العليا، وحقائق الملكوت الأعلى، وبين الأمشاج والأخلاط الذي هو عالم الطبيعة من هذا الإنسان حرب شديد، قائم على ساق، ومعركة وتجاذب بالأطواق، لكونه بعضه كافر ببعض، والإنسان من حيث جملته وتفصيله بعضه عدو لبعض، وبعضه يلعن البعض، وهو لا يدري ولا يشعر، عَلِمَ هذا من علمه، وجهله من جهله، وإليه الإشارة بقوله تعالى:

---

(١) في الأصل (متردي).

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[1]... الآية، وأنا أعيذك بالله يا أخي أن تمسي وتصبح عابداً[2] لشيطان الطبيعة، كافراً مكفوراً، مدعواً عليك بلسان جميع الحقائق والرقائق التي للنفس الكلية، ومع ذلك تطلب المباعدة منك والمهاجرة عنك، وأن تمسي وتصبح تائهاً في لجج ظلمات ظلمها، فالأحرى بك أن تمسي وتصبح شاكراً مشكوراً بلسان حقائق مجموع الوجود ورقائقه، ومطالعاً أقماره وشموسه، ومنادماً لداعيته، ولابساً نور الوجود الذي لا يقوم عنده ظلمة ولا ظلم مطلقاً.

واعلم يا أخي أن الإنسان معشوق من حيث ذاته لجميع حقائق الوجود ورقائق الشهود، وليس في الوجود سلطاناً مطلوباً مطاعاً على جميع العالم كله غير الإنسان إذا تحقق بحقيقته، وقام بأصل فطرته وإنسانيته، فلا تجعل لفرد من أفراد حقيقتك معدوداً في أقصى الدنسة في موضع الخسة، والظلمة والغمة عليك سلطاناً، فتصير كعامة الخلق في لجة الظلمات تائهاً عن معاني حقائق ذاتك، ومغرباً في أرض الكفر الأقصى، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[3]، المقابل وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[4]... الآية، فإن الكفر الذي هو محل تولي الطواغيت، فيه للإنسان ليس هو نهاية الظلمات، بل هي بالنسبة إلى ما وراءه من الكفر نور، وتتفاوت درجات الكفر بالنسبة إلى بعضها البعض ما بين نور وظلمة إلى ما لا نهاية له، فإن الطواغيت يخرجون الذين كفروا من النور [٦٠ظ] وهو الكفر الأدنى بالنسبة إلى الكفر الأقصى، الذي هو بالنسبة إلى الكفر الأدنى ظلمات بعضها فوق بعض، فاعرف كفرك أيها الإنسان في مقام الطبيعة، واستر شأنك مع الطواغيت من ظلمة إلى ظلمة، وعلى قدر الهوي في مهاوي الظلمات يكون البعد، وعلى قدر انقشاع حجاب الظلمات يكون القرب، وإلى هذه الإشارة في الحديث: (بأن الكافر يهوي في جهنم سبعين سنة)[5]، وجهنم هي دار الظلمة، بل عين الظلمة؛ لأنها دار البعد عن الحق، وذلك ربما عاش الكافر تائهاً في لجة الظلمات سبعين سنة فيموت على ذلك فيكون مهوى في مهاوي ظلمة البعد سبعين سنة، فاعرف هذا يا أخي وتدبره بقلب سليم، ولا تغتر بالنسبة الخارجية التي اغتر بها العلوية وغيرهم ممن ينتمي إلى أن الوصول إلى أصول الصلاحية

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٦٧.

(٢) في الأصل (عابد).

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٥) الترمذي جهنم: ٢، وابن حنبل ٧٥/٣، ١٧٤/٤٠، ومسلم زهد: ١٤.

والشرف يصل إلى الأبناء من الآباء، فإن النسبة الحقيقية إنما هي المطابقة بين الحقيقتين والرقيقتين، وكون ما حكم به في الداخل، وحد عينه في الخارج سواء بسواء، وقد ذكرناه في كلام لنا بديع في باب المطابقة، وتكلمنا فيه على ما في حقيقة النسبة والنسب، وبالجملة إن النسبة البنوية من الأبوة ليست نسبة مطابقة، فإن نسبة المطابقة ما كانت في الداخل كما هي في الخارج، ونسبة البنوة من الأبوة إنما هي مفسّرة بلزوم صحة الحكم الذي هي به في الخارج فقط لا بوقوعها عينها أبداً البتة، مثال ما إذا وقع فعل في زمان، ثم وقع فعل بعده في زمان آخر كان ذلك الوقوع ملزوماً بصحة حكمنا في الذهن بتقديم الأول على الثاني، وتأخر الثاني عن الأول، وهكذا سائر الأحكام النسبية والإضافة، فإنها إنما هي مضرّة بوقوع صحتها في الخارج لا بوقوعها هي في عينها بخلاف المطابقة الحقيقية، فإن مطابقتها إنما هي بوقوعها بنفسها في الخارج، وتعرف من هذا التقرير أن نسبية البنوة من الأبوة إنما هو أمر معقول للذهن بحكم الذهن لا تكون البنوة نسبة لها عين موجودة في الخارج البتة، فهي نسبة معتبرة ذهناً فقط غير رابطة بين الأب والابن ربطاً حقيقياً، وإنما الأبوة والبنوة أمران اعتباريان لا وجود لهما[1] في الخارج من الذهن، وهما من الأمور المتضايفة، والمتضايفان إذن بينهما غاية الخلاف، وإنما يتوقف عقلية أحدهما على عقلية الآخر، وقد عدّهما علماء المنطق والمفسرة من أقسام المنافاة، وعدّهما الأصوليون أيضاً من الضدين الذين تنافيهما ينافي الضدين، ولا مناسبة بين الضدين في الخارج، وإن يتوقف عقلية أحدهما على عقلية الآخر، فافهم واعلم هذا السر، فإنما عرفتك به لتسلم [٦١و] من غرور من يظن بحكم طبيعته، وظلمه وجهله أن الشرف والصلاح والولاية والمشيخة، تتعدى من سلفهم إليهم، ويلزمهم ذلك لزوماً ذاتياً، ولو كان الأمر كذلك للزم اليهود والكفار النبوة؛ لأنهم من أولاد (نوح) عليه السلام كلهم، ومن أولاد (إبراهيم) عليه السلام وغيره، وللزم ولد العالِم عالم بالعلم من غير طلب ولا جهد، وهذا هو الجهل العظيم الذي أداهم إلى ذمّهم في ذم الحس والطبيعة، فعموا عن الحق عند ذلك ولم يدروا ـ المغرورين ـ أن المشيخة المضافة إلى النسبة التي هي[2] رفع الحجاب، وكذلك الشرف والصلاح والولاية والعلم والحكمة، ومن ذلك سائر المعاني المعروضة للإنسان أمر عرضي ليس هو ذاتي لازم للإنسان، فإن الأوصاف من الإنسان من حيث قابليته كالأوصاف القبيحة الذميمة التي يصير بها في مقام الكلب والخنزير، وأقل منهما وأسفل، وليس شيء لازم للإنسان من جميع مراتب وجوه حقيقته كما عرفناك به من حيث هو هو لا لون له، وإنما هو

---

(١) في الأصل (لها).

(٢) في الأصل (الذي هو).

قابل للخير والشرّ، والشرف وضدّه، والولاية وضدّها، والصلاح وضدّه، وغير ذلك كله، ذلك هو قابل له بالقوة، فاعرف هذا السر، فإنك تنجو به من ورطة الغرور اللازم للخلق الذي صاروا به خلفاً[1] للحق، واعلم أن المقصود من الإنسان إنما هو التخلص من سجن طبيعته المظلمة السفلية، ورقائقها الجهنمية، والأفعال الناشئة عنها الذميمة الشرية، والتخلّق بأخلاق الإلهية، والقيام بكمال الروحانية العلوية، والرجوع إلى النشأة الفطرية، والاهتمام بتحصيل حقيقته الإنسانية، الجامعة للحقائق والرقائق الكلية والجزئية، الموضوعية لمطلق الكمالات الحقية والخلقية، والجامعة لحقائق الأسماء والصفات، والأفعال والآيات، الظاهرة الجلية، والباطنة الخفية؛ لأنها إنسان عين الوجود، ورحمن روح الشهود، وهو في الحقيقة أيسر المقصود من إيجاد كل موجود، فعليك أيها الأخ الموفق بمعرفة نفسك، وتخليص حسّك، قبل نزول رمسك، وفناء قالب أنسك؛ لأنه واسطة السعادة ومحل الخير والبركة، وبيت العبادة، فاجهد في تصفية نشأتك الإنسانية، وفطرتك المطهرة الأصلية القائمة بحقائق الوجود الأزلية، ورقائق الشهود الأبدية، عند اضمحلال الأعيان والأكوان، وبقائك بالحق وشهودك له على ما عليه كان، وهذا آخر ما تكلمنا به في نشأة الإنسان، والحمد للّه العظيم السلطان، العميم الإحسان، الجسيم الامتنان، البعيد الدان، وصلى اللّه على سيدنا (محمد) أشرف ولد هاشم وعدنان، وعلى آله وصحبه وسلم ما دام تجلى الآن بالشان وسلم.

---

(١) في الأصل (خلف).

رسالة التنبيهات

التحقيق

اعتمدت في تحقيق نص رسالة (التنبيهات) على مخطوطة أساسية برقم (٤١٧) المحفوظة في مكتبة الأسكوريال في إسبانيا، وحصلنا على نسخة مصورة عنها محفوظة في خزانة مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم (١٧/مجاميع) تضم سبعة كتب لابن عربي تحدثنا عنها في المقدمة التحقيقية لرسالة المعلوم من عقائد أهل الرسوم، وجاء تسلسل رسالة التنبيهات الرسالة: ٧.

وصف النسخة:

- عدد الأسطر: ١٧ سطراً.
- عدد كلمات السطر: ١٠ كلمات.
- نوع الخط: نسخ دارج.
- الناسخ: محمد بن علي بن عبد الملك الحنفي مذهباً الأنصاري نسباً.
- تاريخ النسخ: أواخر شهر جمادى الآخرة من شهور سنة ٩٩٩ هجرية.

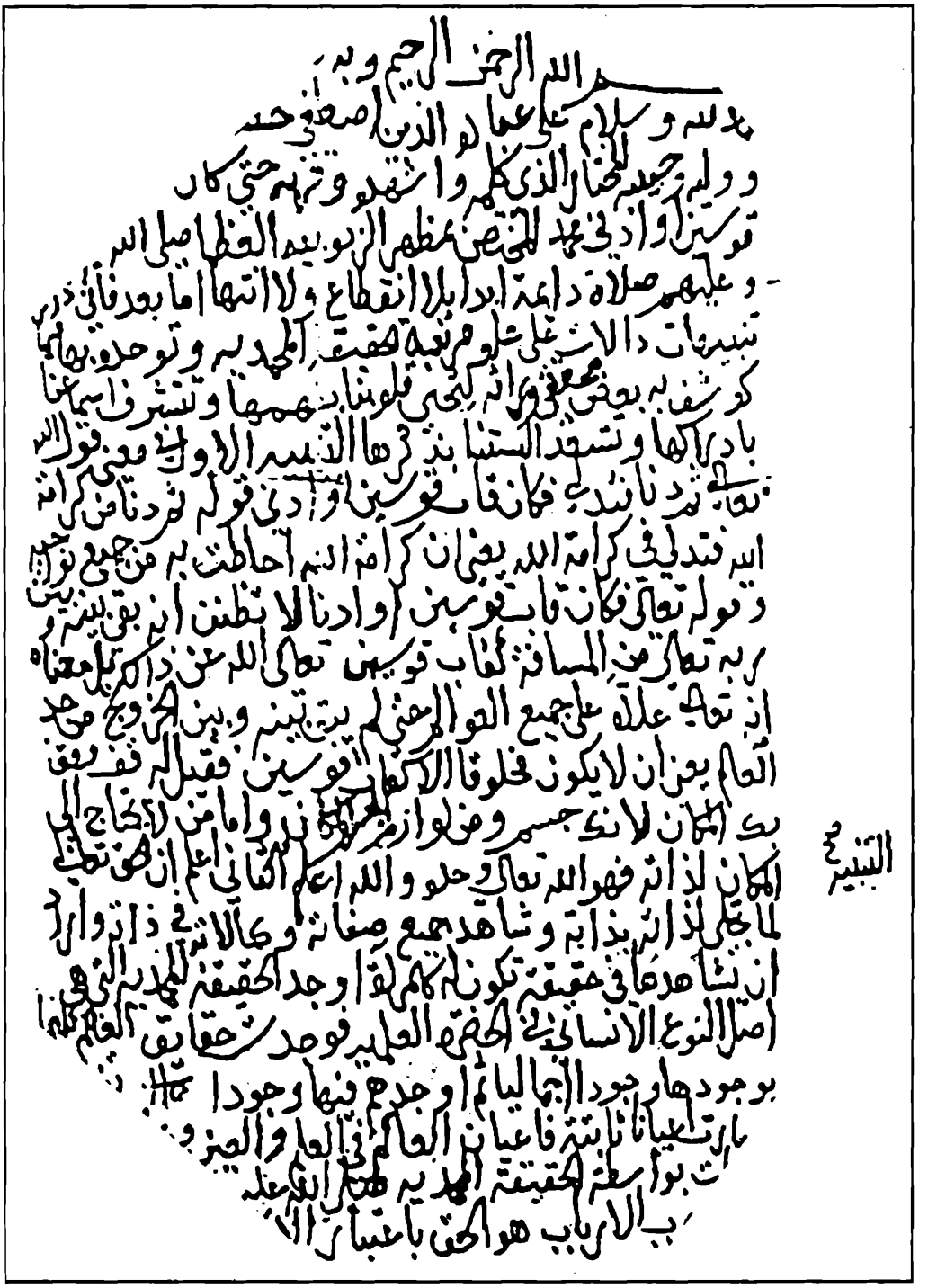

نموذج من رسالة التنبيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، وهو حسبي ونعم الوكيل.

الحمد للّه، وسلام على عباده الذين اصطفى، خصوصاً على نبيّه ورسوله ووليّه وحبيبه المختار، الذي كلّمه وأشهده وقرّبه حتى كان منه كقاب قوسين أو أدنى (محمد) المختص بمظهر الربوبية العظمى صلى اللّه عليه وسلم، صلاة دائمة أبداً بلا انقطاع ولا انتهاء.

أما بعد، فإني ذاكر تنبيهات دالات على علوّ مرتبة الحقيقة المحمدية، وتوحّده بها مما كوشف به بعض المحققين وراثة، لتحيا قلوبنا بفهمها، وتتشرف أسماعنا بإدراكها، وتسعد ألسنتنا بذكرها.

التنبيه الأول

في معنى قول اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[1]، قوله: ثم دنا من كرامة اللّه، فتدلّى في كرامة اللّه، يعني: إن كرامة اللّه أحاطت به من جميع نواحيه، وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، لا تظنّن أنه بقي بينه وبين ربه تعالى من المسافة كقاب قوسين، تعالى اللّه عن ذلك، بل معناه أنه تعالى علاّه على جميع العوالم حتى لم يبق بينه وبين الخروج من حدِّ العالم، يعني ألا يكون مخلوقاً إلاّ كقاب قوسين، فقيل له: قف، وقف بك المكان؛ لأنك جسم، ومن لوازم الجسم المكان، وأمّا من لا يحتاج إلى المكان لذاته فهو اللّه تعالى وحده، واللّه أعلم.

التنبيه[2] الثاني

اعلم أن الحق تعالى لمّا تجلّى لذاته بذاته، وشاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته، وأراد

---

(١) سورة النجم، الآيتان ٨، ٩.

(٢) (التنبيه): حاشية.

أن يشاهدها في حقيقة تكون له كالمرآة أوجد الحقيقة المحمدية التي [هي] أصل النوع الإنساني في الحضرة العلمية، فوجدت حقائق العالم كلّها بوجودها وجوداً إجمالياً، ثم أوجدهم فيها وجوداً تفصيلياً، فصارت أعياناً ثابتة، فأعيان العالم في العلم والعين، وكمالاتها حصلت بواسطة الحقيقة المحمدية صلى اللّه عليه وسلم.

التنبيه الثالث

اعلم أن ربّ الأرباب هو الحق باعتبار الاسم الأعظم، والتعيّن [١ظ] الأول هو منشأ جميع الأسماء وغاية الغايات، ومتوجه جميع الرغبات، والحاوي لجميع المطالب كلها، وإليه الإشارة بقوله تعالى لرسوله صلى اللّه عليه وسلم:

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾[1]، لأنه صلى اللّه عليه وسلم مظهر التعيّن الأول، فالربوبية المختصة به هي هذه الهوية العظمى.

واعلم أن لكل اسم من الأسماء الإلهية صورة في العلم مسمّاة بالماهية، والعين الثالثة، ولكل اسم منها صورة في الخارج مسمّاة بالمظاهر والموجودات العينية، وتلك الأسماء أرباب تلك المظاهر، فالحقيقة المحمدية صورة الاسم الأعظم الجامع لجميع الأسماء الإلهية، الذي منه الفيض على جميعها، فهو تعالى (يربّه، فتلك الحقيقة المحمدية هي التي تربّ صور العالم كلها بالربّ الظاهر فيها، الذي هو ربّ الأرباب، فبظاهرها تربّ ظاهر العالم، وبباطنها تربّ باطن العالم؛ لأنه صاحب الاسم الأعظم، وله الربوبية المطلقة والخلافة المطلقة، ولا تتصور هذه الخلافة في الربوبية إلاّ بإعطاء كل ذي حق حقه، وإفاضة جميع ما يحتاج إليه العالم، ولا يمكن هذا إلاّ بالصفات الإلهية جميعها، فله الأسماء كلها، يتصرف بها في العالم على حسب استعدادتهم، فلا يغرب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وهذه الربوبية[2] والخلافة إنما هي له من جهة مرتبته، وإن كان يقول: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)[3]، فمن حيث بشريته فإنه من تلك الحقيقة عبد مربوب محتاج إلى ربّه عزّ وجل.

التنبيه الرابع

اعلم أن القطب الذي عليه مدار[4] أحكام العالم الذي هو مركز دائرة الوجود من الأزل

---

(١) سورة النجم، الآية ٤٢.

(٢) (الربوبية): حاشية.

(٣) الجامع الصغير، ٤١٦/١، الرقم: ٢٧١٤.

(٤) (مدار): حاشية.

إلى الأبد واحد باعتبار حكم الوحدة، فهو الحقيقة المحمدية، وباعتبار حكم الكثرة متعدد، فالنبي في كل عصر هو قطبه، وعند انقضاء نبوة التشريع بإتمام دائرتها انتقلت القطبية للأولياء مطلقاً، فلا يزال في هذه المرتبة واحد [٢و] منهم يقوم في هذا المقام، ليحفظ اللّه تعالى به هذا الترتيب في النظام إلى أن يظهر خاتم الأولياء صلى اللّه عليه وسلم، الذي هو خاتم الولاية المطلقة، واللّه أعلم.

التنبيه الخامس

اعلم أن الحقيقة المحمدية مسمّاة بالعقل الأول، وبالقلم الذي علم اللّه تعالى به الخلق كلهم، وبالحق الذي قامت به السماوات والأرض، وبالباء، وأحسن أسماء هذه الحقيقة المحمدية الباء من حيث ظهور الأشياء بها، وإنما ظهرت الأشياء بالباء؛ لأن الحق تعالى واحد فلا يصدر عنه إلاّ الواحد، فكان الباء أول شيء صدر عن الحق تعالى، فهي ألف وحداني من جهة ذاتها، وهي باء من حيث مرتبتها؛ لأنها ظهرت في المرتبة الثانية من الوجود، ولهذا سميت بالباء لتمتاز عن الحق تعالى، ويبقى الاسم الألف له تعالى، فالباء اثنان من جهة المرتبة، فهي عدد الأشياء، فصار العدد من العدد، يعني من الباء، وبقي الواحد الأحد في أحديته مقدساً منزّهاً.

ثم اعلم أن الباء زائدة في حضرة الفعل، ولهذا كانت النقطة التي تحتها ـ بين العالم [الذي لم] يكن قبل هذه النقطة ـ أصلاً، فثبت بوجود هذه النقطة أن الأثر لها لا للباء، واللّه أعلم.

التنبيه السادس

اعلم أن مرتبة الإنسان الكامل ـ الذي لا أكمل منه ـ من العالم مرتبة النفس الناطقة من الإنسان، وهو سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم، الذي هو الغاية المطلوبة من العالم، ومرتبة الكمّل النازلين عن مرتبته بمنزلة القوى الروحانية من الإنسان، وهم الأنبياء صلى اللّه عليهم وسلم، ومرتبة من نزل عن مرتبتهم بمنزلة القوى الحسية من الإنسان، وهم الورثة رضوان اللّه [عليهم] وما[1] هو يلي صورة الإنسان، وهو من جملة الحيوان، فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان الذي يعطي النمو والإحساس، وإنما قلنا: إنه صلى اللّه عليه وسلم النفس الناطقة لما أعطاه الكشف، ولقوله صلى اللّه عليه وسلم [٢ظ]: (أنا سيد الناس)[2]، والعالم من الناس، فإن

(١) (من الإنسان وهم الورثة رضوان اللّه وما): حاشية.

(٢) سنن النسائي، ٣٧٨/٦، صحيح ابن حبان، ٣٩٨/١٤.

الإنسان الكبير في الجرم المتقدم في النبوة[1] تظهر عنه صورة نشأته صلى اللّه عليه وسلم كما سوّى اللّه تعالى جسم الإنسان وعدّله قَبْل وجود روحه، ثم نفخ فيه من روحه روحاً كان بها إنساناً تاماً، والملائكة من العالم كالصورة الظاهرة في خيال الإنسان، وكذلك الجن، وليس العالم إنساناً إلاّ بوجود الإنسان الذي هو نفسه الناطقة، ولا تكون هذه النفس الناطقة من الإنسان كاملة إلاّ بالصورة الإلهية، فلذلك نفس العالم التي هي عبارة عن سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم جازت درجة الكمال بتمام الصورة الإلهية في الوجود والبقاء والتنوع في الصور، وبقاء العالم به، فكان حال العالم قبل ظهوره صلى اللّه عليه وسلم بمنزلة الجسد المسوّى بلا روح، وحاله بعد وفاته بمنزلة النائم، وحاله ببعثه صلى اللّه عليه وسلم يوم القيامة بمنزلة الانتباه بعد النوم، ولمّا أراد اللّه تعالى بقاء هذه الأرواح على ما قبلته من التمييز خلق لها أجساداً برزخية تميزت عند انتقالها عن أجسادها في الدنيا في النوم بعد الموت، واللّه أعلم[2].

التنبيه السابع

اعلم أن الأرض الواسعة إنما هي أرض عبادتك، فتعبّد الحق تعالى فيها كأنك تراه في ذاتك من حيث بصرك على ما يليق بجلاله، وعين بصيرتك تشهده ظاهراً لها ظهور تعلم، فتجمع في عبادتك بين ما يستحقه تعالى من العبادة في موطن الخيال، فتعبده مطلقاً ومقيداً، وليس هذا لغير هذه النشأة الإنسانية المؤمنة التي جعلها تعالى حرمه المحرّم، وبيته المعظّم، وكل من في الوجود من المخلوقات يعبد اللّه تعالى على الغيب إلاّ[3] الإنسان الكامل، فإنه [٣و] يعبد اللّه تعالى على المشاهدة، ولا يكمل العبد إلاّ بالإيمان الكامل، فإنه النور الذي يزيل كل ظلمة، فإذا عبده على المشاهدة رآه جميع قواه، فما قام بعبادته سبحانه وتعالى عزّه، ولا يمكن أن يقوم بها سواه.

واعلم أنك إذا لم تكن بهذه المنزلة، وما لك قدم في هذه الدرجة العليا، فأنا أدلّك على ما تحصّل به الدرجة العليا، وذلك أن تعلم أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم أعدل الناس أمزجة لقبول رسالات ربهم، وكل شخص منهم قبل من الرسالات الإلهية ما أعطاه اللّه تعالى في مزاجه من التركيب، فكذلك لم يبعث النبي منهم إلاّ لقوم معينين؛ لأنه على مزاج حاد مقصور، وأن سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم ما بعثه اللّه تعالى برسالته عامة إلى جميع الناس كافة،

---

(١) (النبوة): حاشية.

(٢) (واللّه أعلم): حاشية.

(٣) (إلاّ): حاشية.

ولا قبل مثل هذه الرسالة إلاّ لكونه على مزاج عام يحتوي على مزاج كل نبي ورسول، مزاجه أعدل الأمزجة كلها، ونشأته أقوم النشآت أجمعها، فإذا علمت هذا، وأردت أن ترى الحق تعالى على أكمل ما ينبغي أن يظهر لهذه النشأة الإنسانية فالزم الإيمان به، والاتباع له صلى اللّه عليه وسلم، واجعله مثل المرآة أمامك، وقد علمت أن اللّه تعالى لا بدّ أن يتجلى لسيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم في مرآته، فيكون ظهور الحق تعالى في مرآته أكمل ظهور وأعدله وأحسنه لما عليه مرآته من الكمال، فإذا أدركت الحق تعالى في مرآته صلى اللّه عليه وسلم تكون قد أدركت منه كمالاً لم تدركه في غير مرآته، ألا ترى في باب الإيمان لما جاء به من الأمور التي نسب الحق تعالى نفسه إليها بلسان الشرع مما تتخيله العقول، ولولا الشرع، والانقياد به لما قبلنا ذلك من حيث نظرنا العقلي فيما أعطانا [من] الرسالة والإيمان ما قصرت العقول التي لا إيمان لها عن إدراكها ذلك من جانب الحق تعالى، فلذلك أعطانا ما قصرت أمزجتنا ومرائي قلوبنا عند المشاهدة عن إدراك ما تجلىٰ في مرآته [٣ظ] أن تدركه في مرآتها، وكما آمنت به في الرسالة غيباً، شهدته في هذا التجلي عيناً، فقد نصحتك وأبلغت لك في النصيحة، فلا تطلب مشاهدة الحق تعالى إلاّ في مرآته صلى اللّه عليه وسلم، واحذر أن تشهد النبي، أو تشهد ما تجلى في مرآته من الحق في مرآتك، فإنه ينزل بك عن الدرجة العالية، فالزم الاقتداء به، والاتباع له، ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك، فضع قدمك على قدمه إذا أردت أن تكون [من] أهل الدرجات العلى، والشهود الكامل في المكانة الزلفى، واللّه أعلم.

التنبيه الثامن

اعلم أن الحق تعالى لمّا تجلى بذاته لذاته بأنوار السبحات الوجهية من كونه علماً ومريداً، فظهرت الأرواح المهيمة بين الجلال والجمال، وخلق في الغيب المستور ـ الذي لا يمكن كشفه لأحد من المخلوقين ـ العنصر الأعظم، وكان هذا الخلق دفعة واحدة من غير ترتيب سببي، وما منهم من روح يعرف أن ثمَّ سواه لفنائه في الحق بالحق. ثم إن اللّه تعالى أوجد بتجلٍ آخر من غير تلك المرتبة المتقدمة أرواحاً متحيزة في أرض بيضاء، وهيَّمهم فيها بالتسبيح والتقديس لا يعرفون أن اللّه تعالى خلق سواهم، وكل منهم على مقام من العلم باللّه تعالى، وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة، وسميت أرضاً نسبة مكانية لهذه الأرواح المتحيزة لا يجوز عليها التبدل، فلا تزال كذلك أبد الآباد لما سبق في علم اللّه تعالى، وللإنسان الكامل في الأرض مثال وله فيه حظ، وله في الأرواح الأُول مثال آخر، وهو في العالم على مثال ذلك العالم، ثم إن هذا العنصر الأعظم له التفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير، ولا وجود لذلك العالم في العين، وهذا العنصر المشار إليه أكمل موجود [٤و] في

العالم، ولولا عهد الستر الذي أخذ على أهل هذا الطريق لبسطنا الكلام فيه، وبيّنا كيفية تعلق كل ما سوى اللّه تعالى به، وعند تلك الالتفاتة العقل الأول، وقيل فيه: الأول؛ لأنه أول عالم التدوين والتسطير، وتلك الالتفاتة إنما كانت الحقيقة الإنسانية التي لها الكمال من هذا العالم، فكان المقصود من خلق العقل وغيره إلى أسفل العالم المركز أسباباً مقدمة لترتيب نشأته كما سبق في العلم، ومملكة ممهَّدة قائمة القواعد له صلى اللّه عليه وسلم؛ لأنه عند ظهوره يظهر بصورة الخلافة والنيابة عن اللّه تعالى، فلا بدّ من تقدم وجود العالم الذي هو مملكته عليه، وأن يكون هو آخر موجود بالفعل، وإن كانت له الأولية بالقصد، فعين الحقيقة المحمدية هي المقصودة، وإليه توجهت العناية الكلية فهو عين الجمع الوجود والنسخة العظمى، والمختصر الأشرف الأكمل في مبانيه صلى اللّه عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التنبيه التاسع

اعلم أن الوجود واحد، وله ظهور وهو العالم، وله بطون وهو الأسماء، وله برزخ جامع فاصل بينهما ليتميز الظهور عن البطون، والبطون عن الظهور، وهو الإنسان الكامل صلى اللّه عليه وسلم، فالظهور مرآة البطون، والبطون مرآة الظهور، وما بينهما فهو مرآة لهما جمعاً وتفصيلاً، واعلم أنه كما أن بين ذات الحق تعالى وذات الإنسان الكامل، وبين علمه وعالمه مضاهاة، وإن كل ما فيه مجمل فهو فيه مجمل[1]، وكل ما فيه مفصل فهو فيه مفصل، فكذلك بين القلم وروح الإنسان الكامل مضاهاة، وبين اللوح وقلبه مضاهاة، وبين العرش وجسمه مضاهاة، وبين الكرسي ونفسه مضاهاة، وكل واحد منهما مرآة لما يضاهيه، فكل ما في القلم مجمل فهو في روحه مجمل، وكل ما في اللوح مفصل فهو في قلبه مفصل، وكل ما في العرش مجمل فهو في جسمه مجمل، وكل ما في الكرسي مفصل فهو في نفسه مفصل، فالإنسان الكامل جامع لجميع الكتب الإلهية والكونية [٤ظ]، وكما أن علم الحق تعالى بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء، وأنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته، فكذلك نقول في حق الإنسان الكامل إن علمه بذاته[2]، مستلزم ولعلمه بجميع الأشياء، وإنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته؛ لأنه هو جميع الأشياء إجمالاً وتفصيلاً، فـ (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[3] وعرف الأشياء، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾[4]، فالألف

(١) (فهو فيه مجمل): حاشية.

(٢) (فكذلك... بذاته): حاشية.

(٣) كشف الخفاء ومزيل الإلباس: ٢/٢٦٢.

(٤) سورة البقرة، الآيتان ١ و ٢.

يشار به إلى الذات الأحدية من حيث إنه أول الأشياء، واللام يشار به إلى الكون الجامع، وهو الإنسان الكامل صلى الله عليه وسلم، فالحق تعالى والعالم والإنسان الكامل كتاب لا ريب فيه، والله أعلم[1].

التنبيه العاشر

اعلم أن أول كل موجود ظهر بمقيد فقير يسمى العقل الأول، والروح الكلي، والقلم، والعدل، والعرش، والحق المخلوق به السماوات والأرض، وروح الأرواح، والإمام المبين، وكل شيء، ويسمى الحقيقة المحمدية، وله أسماء كثيرة باعتبار ما فيه من الوجوه، ولما أوجد هذا الوجود الأول ظهر من وجوه الحضرة الإلهية ثلاثمائة وستون وجهاً، فأفاض الحق تعالى عليه من علمه على قدر ما وجده من الاستعداد والقبول، فكان قبوله ستة وأربعين ألف نوع من العلوم وستة وخمسين ألف نوع، فظهرت له الأحكام بعددها لا غير، ونشر منها في كل عالم ما يستحق نشراً، فإنه لا نشر اختيار، فإن وجوهه منصرفة إلى موجده تعالى، والعالم يستمد من ذاته بحسب قواهم لقبول عالم الأكوان، كنور الشمس من غير إرادة لها في ذلك، ولما ظهر هذا الحق المخلوق به السماوات والأرض ـ الذي هو لوح الألوهية وقلمها الأعلى ـ باليمين الأقدس الجاري بالكائنات رأس عالم الأمر الرباني المخصوص بإفاضة التشريف الذي لا يقبل حقيقة الاختيارات، ولا الأعراض لكنه [٥و] قابل للتحويلات، وليس بمادة ولا يقبلها إلاّ بما صدرت عنه من الأنوار الشريفة اللطيفة التي أودعها بضرب من الإقبال في أرواح تناسبها في اللطافة والشرف، فكان الملأ الأعلى عالم الأمر والتسخير، ولكن بعد إيجاد النفس وتوجهها عليه بضرب من الالتحام الإلهي، والإقبال الرباني، فقبل هذا العقل من العلوم قبولاً ذاتياً لا يتناهى، ولهذا العقل فيض ذاتي وفيض إرادي، كما له قبول ذاتي وقبول إرادي، وهو لكل موجود، وما من موجود عن سبب إلاّ في وجهين: وجه يقابل به سببه يأخذه عنه من ذلك الوجه، فيظهر لمسببه عزّة عليه، بسبب افتقاره إليه في الأخذ عنه من ذلك الوجه، والوجه الآخر يقابل به ربّه تعالى يأخذ عنه، ولما كان لكل موجود حادث وجه إلى الله تعالى صحّ له أن يتصف بالفقر والغنى، فاتصافه بالفقر إذا صرف وجهه إلى الله تعالى، وبالغنى إذا صرف إلى الكون، وهو متحقق لوجه الحق، ومتى غفل عن التحقيق بذلك الوجه ومن ذلك العين لم يكن للغنى إليه أي طريق، وكان فقيراً محضاً، ومن ذلك الوجه ظهرت الآثار كلها عن الموجودات ثم اختلفت أنواع التأثيرات، فمنها أثر يقترن بإرادة وغرض، ومنها أثر تعطيه ذات المؤثر من غير

---

(١) بعد نهاية التنبيه حاشية نصها: (مجمل علم بيان ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه).

إرادة كتأثير الأدوية، فمنها ما يكون أثره حسياً ونفسياً مثال ذلك الشخص أبصر ديناراً فيعلم أثره في النفس، فإن قوي ذلك الأثر حرّكت النفس الجسم لأخذه، والحركة الأصلية للدينار، والبواعث لأخذه تتنوع، فباعث الطبع لنفاسة جوهره، وباعثه العام الحاجة إليه، وباعث الزهاد لما عليه من اسم اللّه تعالى، وبواعث المحققين لهذه كلها وزيادة.

واعلم أنه لا يكون أثراً للألوهية؛ لأنه بهذا الوجه ظهرت هذه الآثار عن الأكوان كلها في الأكوان كلها، فلولا سريان هذا السرّ الإلهي ما عبدت الإلهية [٥ظ] في شيء من الأكوان، إذ الألوهية هي المعبودة على الإطلاق لا الأكوان، ولهذا قال اللّه تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1]، وقضاء اللّه تعالى غير مردود، ومن وقف على هذه الوجوه الإلهية في الأكوان فما يتعبده كون من الأكوان أصلاً، ومن لم يعرفها ولا شاهدها تعبده وجه الحق تعالى في كون لا الكون، وبهذا القدر يعاقب ويطلق عليه اسم المشرك، ثم إن تعذيبهم إنما هو من باب استيفاء مظالم العباد؛ لأنهم افتروا على المخلوقين بنسبة الألوهية لهم، فكان ذلك عدلاً منه تعالى لإقامة حق الغير، وعقوبة للجاهل حيث لم يستبصره، واتبع هواه، فإن اللّه تعالى قد ندبنا إلى العفو فيما يرجع إلينا من الحقوق وهو بهذه الصفة، فلذلك كان الشرك من مظالم العباد لا من حقه تعالى الذي يرجع إليه، والمعبودون منهم شقي ومنهم سعيد، فالسعيد ناجٍ، والمثال الذي اتخذوه معبوداً يدخل معهم النار.

واعلم أن الألوهية تقتضي أن يكون في العالم أهل البلاء وأهل العافية؛ لأنه لو بقي من الأسماء الإلهية اسم لا حكم له ولا أثر لكان معطلاً من حيث حكمه، فذلك محال، فالممكنات كلها على موازنة الأسماء الإلهية المؤثرة، وما عدا الأسماء المؤثرة من أسماء الذات، فليس بأيدينا منه إلاّ ما يرجع إلى السلوب والنعوت، وبعض أسماء الكمال كالبصير والسميع، فلا تعلق لها بالممكنات من حيث الأثر، واللّه أعلم[2].

التنبيه الحادي عشر

اعلم أن مقام المحبة أعلا المقامات والأحوال، وهو الساري فيها، وكل مقام وحال[3] قبله فله يراد، وكل مقام أو حال بعده فمنه يستفاد؛ لأنه مقام أصل الوجود، وسيده ومبدأ العالم

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٢) (والسميع... أعلم) حاشية.

(٣) (وحال): حاشية.

وممده، وهو سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم الذي اتخذه اللّه تعالى حبيباً حين اتخذ غيره خليلاً، فمن حقيقة هذا السيد تفرّعت الحقائق كلها علواً وسفلاً [٦و] فأعطاه اللّه تعالى أصل المقامات؛ لأنه أصل الموجودات، وهو سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم.

واعلم أن الاتصاف بالأوصاف الإلهية حجاب عن التحقق بها في الجبلّة، كما كان سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم، الذي كان من ربه تعالى من القرب كقاب قوسين أو أدنى، ثم أصبح وليس عليه الزمن، ذلك لأنه ما ورد عليه ما لم يكن فيه، ولا ورد عليه ما لم يكن في فطرته، وأما غيره فإنه لما ورد على أمر عجيب، ورد عليه ما أثر فيه، فكان يتبرقع من النور الذي على وجهه؛ لأنه يأخذ بأبصار الناظرين، واللّه أعلم.

التنبيه الثاني عشر

اعلم أن الإنسان الكامل كتاب جامع[1] لجميع الكتب الإلهية؛ لأنه نسخة العالم الكبير، فمن حيث روحه وعقله هو الكتاب العقلي المسمّى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات، فهي الصحف المكرمة المرقمة المطهرة التي لا يمسّها ولا يدرك أسرارها إلاّ المطهرون من الحجب الظلمانية، وما ذكرنا من الكتب إنما هي أصول الكتب[2] الإلهية، وأما فروعها فكل ما في الوجود فيها تنتقش فيه أحكام الموجودات، فهي أيضاً كتب إلهية، واللّه أعلم.

التنبيه الثالث عشر

في بيان معاني وصف الحقيقة المحمدية صلى اللّه عليه وسلم بأنه الحادث الأزلي، والنشء الدائم الأبدي، والكلمة الفاصلة الجامعة، أما حدوثه الزماني صلى اللّه عليه وسلم فلكون نشأته العنصرية مسبوقة بالعدم الزماني، وأما أزليته صلى اللّه عليه وسلم فبالوجود العلمي، فعينه الثابتة في العلم أزلية، وكذا بالوجوب العيني الروحاني، غير زمانيّ، والفرق بين أزلية الأعيان الثابتة في العلم والأرواح المجردة وبين أزلية الحق تعالى هو أن أزليته تعالى نعت سلبي ينفي افتتاح الوجود عن عدم؛ لأنه تعالى عين الوجود، وأزلية الأرواح هو دوام وجودها بدوام وجود الحق تعالى مع افتتاح وجودها عن العدم، لكن وجودها من غيرها، وأما دوامه [٦ظ] وأبديته صلى اللّه عليه وسلم فلبقائه بقاء موجده تعالى دنياً وآخرة، وأما كونه صلى اللّه عليه وسلم كلمة جامعة فلإحاطة حقيقته

---

(١) (كتاب جامع): حاشية.

(٢) (إنما... الكتب): حاشية.

بالحقائق الإلهية والكونية كلها علماً وعياناً، وأما كونه صلى اللّه عليه وسلم كلمة فاصلة؛ لأنه هو الذي يفصل بين الأرواح وصورها، وإن كان الفاصل ملكاً معيناً، فإنه بحكمه يفصل بينهما، وكذلك هو الجامع بينهما؛ لأنه الخليفة الجامع للأسماء ومظاهرها، فلمّا وجد هذا الكون الجامع تجزأ العالم بوجودها الخارجي؛ لأنه روح العالم المدبرة والمتصرفة فيه، وإنما تأخرت نشأته العنصرية في الوجود العيني؛ لأنه لما كانت عينه في الخارج متركبة من العناصر المتأخرة وجودها عن الأفلاك وأرواحها وعقولها وجب أن توجد قبله، لتقدم الجزء على الكل بالطبع، وكون هذا الكامل صلى اللّه عليه وسلم ختماً على خزانة الدنيا، فهو أيضاً ختم على خزانة الآخرة ختماً أبدياً فيه دليل على أن التجليات الإلهية لأهل الآخرة إنما هي بواسطته صلى اللّه عليه وسلم، والمعاني المفصلة لأهلها متفرعة من مرتبته ومقام جمعه أبداً، كما تفرعت أزلاً للكامل من الكلمات في الآخرة لا نهاية لها، واللّه أعلم.

التنبيه الرابع عشر

اعلم أن إطلاق الصورة على اللّه تعالى عند أهل النظر من باب المجاز لا الحقيقة، إذ لا تستعمل الصورة حقيقة إلاّ في المحسوسات دون المعقولات، وأما عند المحققين فإنها تستعمل لأنها تستعمل في وصف اللّه تعالى حقيقة؛ لأن العالم بأسره صورة للحضرة الإلهية تفصيلاً، والإنسان الكامل صورة الحضرة الإلهية جمعاً، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (إن اللّه خلق آدم على صورته)[1]، والنشأة الإنسانية جازت صورة الحضرة الإلهية، وصورة الأرواح الروحانية؛ لأنه بروحه صلى اللّه عليه وسلم جاز رتبة الأجسام، فرتبته جازت رتبة الحضرة الإلهية، ورتبة الإحاطة، وبهذا قامت حجة اللّه تعالى على الملائكة، لإحاطته صلى اللّه عليه وسلم بما لم يحيطوا بعلمه، واللّه أعلم.

التنبيه الخامس عشر

اعلم [٧و] أن كلاً من الظاهر والباطن ينقسم إلى قسمين: باطن مطلق وباطن مضاف، وظاهر مطلق وظاهر مضاف، فأما الظاهر المطلق فهو عالم الأجسام، وأما الباطن المطلق فهو الذات الإلهية وصفاتها والأعيان الثابتة في علم اللّه تعالى، والباطن المضاف هو عالم الأرواح، فإنه الظاهر بالنسبة إلى الباطن المطلق[2]، وباطن بالنسبة إلى الظاهر المطلق وهو عالم الأجسام،

---

(١) شرح الجامع الصغير: ٤٤٧/٣، ورواه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم عن أبي هريرة، ورواه الطبراني وغيره.

(٢) (المطلق): حاشية.

فلذلك أنشأ اللّه تعالى صورة الإنسان الكامل الظاهرة من حقائق العالم وصوره، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى، فلذلك قال: (كنت سمعه وبصره)[1]، فكما أن هوية الحق تعالى سارية في آدم صلى اللّه عليه وسلم، كذلك هو سار في كل موجود من العالم، لكن سريانه وظهوره في كل حقيقة من حقائق العالم إنما هو بقدر استعداده.

واعلم أن لكل فرد من الأفراد الإنسانية سهمه من الخلافة فيه يدبر ما يتعلق به من أمر نفسه وغيره، وهو سهمه الذي ورثه من والده الأكبر الذي هو الخليفة صلى اللّه عليه وسلم.

التنبيه السادس عشر

اعلم أن سيدنا محمداً صلى اللّه عليه وسلم اختص بمقام الجمع، فجاء بقول اللّه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]، فمقامه جامع بين الوحدة والكثرة، والتفصيل [والإجمال]، والتنزيه والتشبيه، بل جامع لجميع المقامات الاسمائية، فجمع اللّه تعالى له في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ بين إثبات المثل وبين نفيه في صورة واحدة، بل في نصفها، وبسبب هذا الجمع بين التنزيه والتشبيه، قال صلى اللّه عليه وسلم: (أوتيت جوامع الكلم)[3]، أي جميع الحقائق والمعارف، ولهذا جمع اللّه له في القرآن جميع ما أنزله من المعارف في كتب الأنبياء صلى اللّه عليهم وسلم، فدعا أمته إلى الظاهر في عين الباطن، وإلى الباطن في عين الظاهر، وإلى الوحدة في عين الكثرة، وإلى الكثرة في عين الوحدة، وما دعاهم إلى الغيب والوحدة وحدها، ولا إلى المشاهدة والكثرة وحدها، واللّه أعلم.

التنبيه السابع عشر

اعلم أن الأنبياء صلى اللّه عليهم وسلم وورثتهم خدمة الأمر الإلهي مطلقاً سواء كان الأمر موافقاً للإرادة أم مخالفاً لها، بل هم في نفس الأمر يخدمون الأحوال الممكنات من حيث إرشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم مما ينصر دينهم ودنياهم، وهذا الإرشاد والخدمة منهم لهم إنما هي مقتضيات أعيانهم [٧ظ] وأحوالهم الثابتة في الحضرة العلمية دون وجودهم الخارجي، فانظر ما أعجب هذا الأمر من أن خادم الأمر الإلهي يكون خادماً للممكنات مع

---

(١) (كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به)، البخاري، رقاق ٣٨، وأحمد بن حنبل، ٢٥٦/٦، ورواه ابن عربي في «مشكاة الأنوار» برقم ٩١.

(٢) سورة الشورى، الآية ١١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٢٥٠/٢، كنز العمال: ٤٤٠/١١.

جلالة قدره عند اللّه تعالى، والرسل خدمة الأمر التكليفي بالحال، كإتيانهم بالعبادات والأفعال المبينة لطريق الحق ليقتدى بهم وبالقول، كالأمر بالإيمان والنهي عن الكفر والعصيان، وبيان ما يثابوا عليه ويعاقبوا عليه، وليسوا بخادمي الإرادة، إذ لو كانوا خدمتها لما منعوا أحداً عن فعل متعلق به الإرادة، بل كانوا يساعدونهم فيه، واللّه أعلم.

التنبيه الثامن عشر

في معنى: حكمة فردية في كلمة محمدية، إنما كانت حكمة فردية لانفراده صلى اللّه عليه وسلم بمقام الجمعية الإلهية الذي ما فوقه إلاّ مرتبة الذات الأحدية؛ لأنه صلى اللّه عليه وسلم مظهر الاسم (اللّه) الجامع للأسماء كلها؛ ولأن أول ما فاض بالفيض الأقدس من الأعيان عينه الثابتة، وأول ما وجد بالفيض المقدس من الأكوان روحه، فحصل بالذات الأحدية والمرتبة الإلهية، وعينه الثابتة الأولى.

واعلم أن أول الأفراد الثلاثة، وما زاد عليها فهو صادر منها، وهذه الأفراد الثلاثة المشار إليها في الوجود هي الذات الأحدية، والمرتبة الإلهية، والحقيقة المحمدية المسماة بالعقل الأول، ولما كانت تغطي الفردية الأولى ما هو مثلث النشء، قال صلى اللّه عليه وسلم: (حُبِّبَ إلي من دنياكم ثلاث)[1]، بما فيه من التثليث، وجعل المحبة التي [هي] أصل الوجود، وظاهرة فيه، فقدم ذكر النساء ثم الطيب، ثم قال: وجعلت قرة عيني في الصلاة، وإنما حبب النساء إليه صلى اللّه عليه وسلم لكمال شهود الحق فيهن، إذ لا يشاهد الحق تعالى[2] مجرداً عن المواد، فإن اللّه تعالى غني عن العالمين، ولا نسبة بينه [٨و] وبين شيء من هذا[3] الوجه أصلاً، فلا يمكن شهوده مجرداً عن المواد، فإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً، ولم تكن المشاهدة إلاّ في مادة، فشهود الحق تعالى في النساء أعظم شهود، وأكمل في حال النكاح الموجب لفناء المحب في المحبوب، وأعظم الوصل، وهو نظير التوجه الإلهي على من خلقه على صورته، ليخلقه فيرى فيه مثال صورته، وكذلك الناكح يتوجه لإيجاد ولد على صورته ينفخ بعض روحه فيه، يعني النطفة ليشاهد عينه في مرآة ابنه، ويخلفه من بعده، فصار النكاح المعهود نظير النكاح الأصلي الأزلي، فظاهر صورة الإنسان خلق موصوف بالعبودية، وباطن حق؛ لأنه من روح اللّه تعالى الذي يدبّر ظاهره ويربّه، إذ هو الظاهر بصورته الروحانية، واللّه أعلم.

---

(١) الجامع الصغير، السيوطي، ٥٦٧/١، كنز العمال، ٢٨٨/٧.

(٢) (تعالى): حاشية.

(٣) (هذا): حاشية.

التنبيه التاسع عشر

اعلم أن سيدنا محمداً صلى اللّه عليه وسلم لما خُلق عبداً بالأصالة لم يرفع رأسه قط إلى السيادة مراعاة لما تقتضيه ذاته من العبودية الحاصلة من التعيّن والتقيّد، وحفظ الأدب مع الحضرة الإلهية، بل لم يزل ساجداً بحضرته متذللاً لربّه، واقفاً في مقام عبوديته، ورتبة انفعاليته، حتى أوجد اللّه تعالى من روحه الأرواح ومظاهرها جميعها؛ لأنه صلى اللّه عليه وسلم قال: أول ما خلق اللّه نوري الذي سماه عقلاً، بقوله: (أول ما خلق اللّه تعالى العقل)[1]، فأعطاه رتبة الفاعلية بأن جعله خليفة متصرفاً في الوجود العيني لكل من العالم، فالروح المحمدي هو المظهر الرحماني الذي استوى على العرش، فنشر رحمته على العالمين. كما قال تعالى له: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

التنبيه العشرون

اعلم أن دحية الكلبي[3] [٨ظ] كان أجمل أهل زمانه، وأحسنهم صورة، وكان سبب نزول جبريل صلى اللّه عليه وسلم على سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم في صورته إعلاماً من اللّه تعالى أنه ما بيني وبينك يا محمد إلاّ صورة الحسن والجمال، وهي التي لك عندي فيكون ذلك بشرى له، ولا سيما إن أتى بأمر الوعيد والزجر، فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحرّكه قهر ذلك الوعيد، واللّه أعلم.

التنبيه الحادي والعشرون

وأعجب ما عندنا من العناية الإلهية التي صحت لنا بسيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم: إن كل واحد من الرسل صلى اللّه عليه يحشر جزئي الحكم لاقترانه بطائفة مخصوصة، والقطب منا ليس كذلك، فإنه عام جامع لكل من في زمانه من برّ وفاجر، وإن كان عيسوياً أو موسوياً فلا يقدح ذلك فيه، فإنه من مشكاة محمد صلى اللّه عليه وسلم بقوله عن طائفة من

---

(١) الحديث بأكمله: (أول ما خلق اللّه العقل، فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي لم أخلق خلقاً هو أحب إليّ منك، بك آخذ وبك أعطي، وبك أثيب وبك أعاقب)، عوالي اللآلي، ٩٩/٤، الجواهر السنية، الحر العاملي، ١٤٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٣) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي، صحابي بعثه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم برسالته إلى قيصر يدعوه للإسلام، وحضر كثيراً من الوقائع، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وشهد اليرموك، ثم نزل دمشق، وسكن المزة، وعاش إلى خلافة معاوية، مات نحو ٤٥ هـ، الأعلام، ٣٣٧/٢.

أمته: ليسوا بأنبياء للبركة المحمدية التي نالتهم من مقامه الأعم صلى اللّه عليه وسلم.

التنبيه الثاني والعشرون

في بيان المعاني المرادة من قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: إن اللّه تعالى وضع يده بين كتفيه، وإنه أحس ببرد أنامله بين ثدييه[1]، فعلم ما في السماوات والأرض، وما في الأولين والآخرين[2].

اعلم أن الحق تعالى منزّه عن اليد الحسّية وأناملها، وإنما هي يد امتنان واصطفاء بإفاضة أنوار النبوة والرسالة والولاية على جوهره حتى شاهد ببصيرته وبصره العوالم كلها أولها وآخرها، وظاهرها وباطنها، كلياتها وجزئياتها[3]، دنيا وآخرة، ولذلك أخبر صلى اللّه عليه وسلم بالأوائل والأواخر، وبما كان وبما يكون في [٩و] الدنيا والآخرة؛ لأن الحضرات الكونية كلها صارت أمام بصيرته وبصره، حتى أنه كان يرى من ورائه كما يرى من أمامه، وإنما خصص بوضع اليد بين الكتفين؛ لأن النور الإلهي لا يأتي إلى من خصّصه اللّه تعالى به إلاّ من ورائه، وأما برد الأنامل التي أحس بها بين ثدييه، فهو عبارة عن اللذة التي حصلت له بما كشفه اللّه تعالى له من الأمور الغيبية وظهورها له، وهذا كله إنما هو مقتضى مرتبته، وأما من حيث بشريته فقد قال صلى اللّه عليه وسلم: (أمرت أن أحكم بالظاهر واللّه يتولى السرائر)[4]، وأمثال ذلك من الستر عليه في بعض الأمور، وإنما هو لأمر عارض اقتضاه الحكم الإلهي، ولذلك قال صلى اللّه عليه وسلم: (لست أنسى ولكني أنسى لأسن)[5]، واللّه أعلم.

التنبيه الثالث والعشرون

اعلم أن النبي هو الذي يأتيه الوحي من عند اللّه، يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبد اللّه بها في نفسه، فإن بعث بها إلى غيره رسولاً، فتارة ينزل الملك بالوحي على قلبه، وتارة يأتيه على صورة حسية من خارج، فيلقي ما جاء به على أذنه، فيسمعه ويعيه، وتارة على بصره، فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء، وكذلك سائر القوى الحسية، وهذا

---

(١) إشارة إلى حادثة المعراج.

(٢) (الأولين والآخرين): حاشية.

(٣) (أولها... جزئياتها): حاشية.

(٤) مختلف الشيعة، ٩٩/٦، كشف الخفاء، ١٩٢/١.

(٥) إصلاح غلط المحدثين، الخطابي: ٦٢، شرح مسند أبي حنيفة، ملا علي القاري: ٢٩.

باب قد غلق بسيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم، فلا سبيل لأحد أن يتعبد اللّه بشريعة ناسخة لهذه الشريعة المحمدية، فإذا نزل عيسى صلى اللّه عليه وسلم، فإنما يحكم بهذه الشريعة المحمدية فهو أتمّ هذه الأمة، فإن من شرف سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم أن اللّه تعالى ختم ولاية أمته بنبي رسول مكرم صلى اللّه عليه وسلم، يحشر يوم القيامة مع الرسل رسولاً، مع [٩ظ] أولياء هذه الأمة فهو كل شخص أقامه الحق في تجلٍ من تجلياته، وأقام له مظهر محمد صلى اللّه عليه وسلم، ومظهر جبريل عليه السلام، وهو يلقي خطاب الأحكام المشروعة لمظهر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فيستمع صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه ذلك الخطاب من الأحكام المشروعة الظاهرة في هذه الأمة المحمدية، فيرد على نفسه، وقد وعاها جميعها علم يقين، بل عين يقين، فأخذ حكم هذا النبي صلى اللّه عليه وسلم، وتجمّل به على بينة من ربه تعالى، فهؤلاء كلهم أنبياء، أولياء هذه الأمة، ولا ينفردون بشريعة قط، ولا يكون الخطاب بها إلاّ بتعريفهم أن هذا هو شرع محمد صلى اللّه عليه وسلم.

التنبيه الرابع والعشرون

اعلموا زادكم اللّه تعالى لهذا الاسم ذكراً، ولمسمّاه حباً إنه لما كان سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم أحب الخلق إلى اللّه تعالى لكونه أشرفهم ذاتاً، وأجملهم صفة، وأحمدهم فعالاً، فلأجل ذلك سمّاه باسم هو أحسن أسماء الخلق وأحبّها إليه تعالى (محمد)، لأن نيته مدح وثناء عليه بكثرة أوصافه الجميلة، وأخلاقه الحميدة، ليكون اسمه صلى اللّه عليه وسلم محمد مطابقاً لمسمّاه، ومشعراً بجلالة قدره عند مولاه، وحاثاً على زيادة حبه، والإيمان به، لمتابعته التي قد أقامها اللّه تعالى مقام طاعته، وجعلها شرطاً لادعاء محبته، فمن أحب هذا الاسم المحمدي وكرّر ذكره حباً لمسماه، ومدحاً وثناءً عليه بما تضمنه معناه كان ممدوحاً مثنياً عليه عند ربه، ومجازاً على حبه ومدحه وثنائه، فيا سعادة العبد الذي كرّر ذكر هذا الاسم المحمدي حباً لمسماه، وشوقاً إلى لقائه وثناءً عليه [١٠و] بما تضمنه معناه إلى أن يتجلى لسرّه جمال مسمّاه، ويطرب بذكره قلبه وجوارحه وجميع قواه، وكيف لا تطرب القلوب بذكر اسم قد اشتقه اللّه تعالى من اسمه، وجعله اسماً جامعاً لجميع أنواع أوصاف مسماه الحميدة؛ لأن ذاته حميدة، وأخلاقه حميدة، وأفعاله حميدة، وفضلاته حميدة، وهو صاحب المقام المحمود، فأما قول القائل بأن الأدب أن لا يذكر هذا الاسم المحمدي بمفرده، إنما هو لعدم فهمه لمعناه، ألم يعلم بأنه نيته مدح وثناء على مسماه أثنى عليه سيده ومولاه، ليرشد محبيه إلى الثناء عليه بما أثنى به عليه من اختاره واصطفاه، وأما قوله بأنه بذكر الاسم المحمدي بمفرده لا ثواب له على ذكره، فذلك تحجر لا يليق به، وإساءة أدب على فضل ربه، ويخاف أن يعاد عليه، وقال

قوله كما عاد وقال قول ذلك العابد الإسرائيلي لذلك العاصي بأن اللّه لا يغفر له، فأحبط اللّه تعالى بذلك عمله، مع أن ذلك القول بأن اللّه لا يغفر له كان عاصياً لربّه، ومع هذا فقد أحبط اللّه عمل من آيسه من جوده وفضله، فكيف يتجاسر عاقل على القول بأن اللّه تعالى لا يثيب ذاكر اسم حبيبه محمد صلى اللّه عليه وسلم حباً لمسماه لحب اللّه تعالى، وثنى عليه لثناء اللّه تعالى عليه، إنّا للّه وإنّا إليه راجعون من هذه السقطة المسقطة، والهفوة المحبطة، بصرّ اللّه تعالى قائلها بالصواب، وفهمه ما فهم أولي الألباب، إنه الحليم التواب، واللّه أعلم.

التنبيه الخامس والعشرون

اعلم أنه إنما نُهي عن مناداة سيدنا رسول اللّه مواجهة باسم محمد بمفرده لإشعاره بقلة احترامه، وتوقيره عند مناديه لمن لا يفهم أنه بنية مدح لمسمّاه، وثناء عليه أثنى به عليه من به سمّاه، فأما العارف بحقيقة الاسم وقدر مسمّاه فإنه لا يشمله النهي عن مناداته باسمه، كما شمل سواه ممّن لا يعرفه أنه بنية [١٠ظ] مدح وثناه عليه، أثنى به عليه مولاه؛ لأن جبريل عليه السلام مع علمه بجلالة قدره عند ربّه ناداه باسمه (محمد) مواجهة بمحضر من أكابر أصحابه في حديثه المشهور، لولا ما كان في مناداته باسمه (محمد) مفرداً عن النبوة والرسالة بما يجب له من الإجلال والتوقير لما زاد باسمه (محمد) مفرداً بمحضر من أصحابه؛ لأنه ما آتاهم إلاّ ليعلّمهم معالم دينهم، وتعزيزه وتوقيره من أهم معالم دينهم، ولكنه لما كان عالماً بأن الحاضرين كلهم يعرفون أن محمداً اسم صريح بمدح مسماه، وثنى عليه بما تضمنه معناه من مقتضيات ذاته التي من بعضها النبوة والرسالة والتكليم والرؤية، ولذلك قال اللّه تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1]، فلأجل علمه وعلمهم بذلك ناداه باسمه (محمد) الجامع لجميع كمالات ذاته صلى اللّه عليه وسلم، وأما قول القائل بأن جبريل عليه السلام إنما سماه باسمه (محمد) لكي لا يعرف، فلا حجة لمانع مناداته باسمه؛ لأنه لو ناداه بالنبوة أو بالرسالة لم يعرف أيضاً، ومما يدل على جواز ذكره باسمه (محمد) مفرداً عن وصفه بالنبوة والرسالة قول الصديق رضي اللّه عنه، وكذا مناداة جبريل له صلى اللّه عليه وسلم أدلّ دليل على جواز تسميته محمداً مفرداً عن وصفه بالنبوة والرسالة، واللّه أعلم.

التنبيه السادس والعشرون

اعلم أن الحقيقة المحمدية لها الخلافة المطلقة بالربوبية المطلقة في تدبير العالم بأسره،

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

والخليفة لا بدّ أن يكون على صورة المستخلف، أعني الصورة المثالية في كل ما يتعلق به من اسم وصفة ما عدا الوجوب الذاتي، فكما أن الحق تعالى له أسماء كلها عظيمة، وأعظمها اسم اللّه تعالى؛ لأنه الاسم الجامع لمعانيها، فكذلك سيدنا [١١و] رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم له أسماء كلها حميدة، وأحمدها اسمه (محمد)؛ لأنه صلى اللّه عليه وسلم الاسم الجامع لمعانيها، فحقيقة الروحانية خليفة للحقيقة الإلهية، واسمه (محمد) خليفة اسم اللّه تعالى، والخليفة في خدمة المستخلف لا يفارقه على كل حال، فكما أن الإيمان والصلاة والأذان لا يصح شيء منها إلاّ بذكر الاسم المحمدي، فمحمد بهذا الاعتبار اسم أعظم لسيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالنسبة إلى ما في أسمائه؛ لأنه خليفة الاسم الأعظم الإلهي، ولذلك حماه اللّه تعالى من أن يسمى به يهودي أو نصراني، أو منكر لنبوته صلى اللّه عليه وسلم، واللّه أعلم.

التنبيه السابع والعشرون

اعلم أن الحق تعالى كما أخبر أنه لا إله إلاّ هو، بقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾[١]، وبقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٢]، و: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٣] وأقسم أن لا إله إلا هو بقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾[٤]، إلى قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾[٥]، فكذلك أخبر سبحانه وتعالى بأن محمداً رسوله بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[٦]، وشهد سبحانه وتعالى بأن محمداً رسوله بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٧]، إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[٨]، وأقسم سبحانه وتعالى بأن محمداً من المرسلين بقوله: ﴿يٰسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٩]، واللّه أعلم.

---

(١) سورة النحل، الآية ٢.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٨.
(٤) سورة الصافات، الآية ١ .
(٥) سورة الصافات، الآية ٤، أما الثانية والثالثة: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾.
(٦) سورة الفتح، الآية ٢٩.
(٧) سورة التوبة، الآية ٣٣.
(٨) سورة النساء، الآية ٧٩.
(٩) سورة يس، الآيات ١ ـ ٤.

التنبيه الثامن والعشرون

اعلم أنه كما أنه لا مثل لذات اللّه تعالى مطلقاً، لا وجوداً ولا إمكاناً، ولا مثل لاسمه (اللّه) من باقي أسمائه الحسنى، فكذلك لا مثل لروح سيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من كل الوجوه ولا لاسمه (محمد) من باقي أسمائه؛ لأنه صلى اللّه عليه وسلم مخلوق على صورة الحق المثالية التي قد نفى الحق تعالى عنها المثل، بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] على تقدير إثبات الكاف، واللّه أعلم.

التنبيه التاسع والعشرون

اعلم أن بين اسم سيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (محمد) وبين اسم الحق (اللّه) مضاهاة مثالية من وجوه منها: إن الاسم (اللّه) أعظم أسماء الحق تعالى، وكذلك (محمد) [١١ظ] أعظم أسماء سيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، ومنها أن الاسم (اللّه) الذي لم يسمّ به غير الحق تعالى، وكذلك (محمد) لم يسمّ به أحد من أعداء اللّه تعالى صيانة له، وكذلك لم يسمّ اللّه به أحداً من أنبيائه ورسله غيرة على مرتبته، لئلا يتوهم متوهم أن ثمّ مشاركاً له فيها، وأما تسمية من تسمّى به من أمته إنما هو بإذنه ليشرفوا بتسميتهم باسمه صلى اللّه عليه وسلم، ومنها أن اللّه اسم جامع لجميع الصفات الإلهية، والنعوت الربانية الجلالية والجمالية، وكذلك (محمد) اسم لجميع الأوصاف الجميلة، والأخلاق الحميدة التي من بعضها النبوة والرسالة، والتكليم والرؤية، ومنها أن الاسم (محمد) أربعة أحرف كما أن الاسم اللّه أربعة أحرف، ومنها أن كل حرف من حروف (محمد) يدل على كمالات مسماه، فالميم حرف من حروف اسم الملك من أسماء الحق تعالى، أقيم مقام علامة اسم الملك على منشور استخلافه على تدبير مملكته، والحاء حرف من حروف اسم الحكم من أسماء الحق تعالى أقيم مقام علامة اسم الحكم على منشور استخلاف مسماه على الحكم في مملكته الدنيوية والأخروية، والميم الثاني حرف من حروف اسم المعطي على منشور استخلافه على الإنعام والإعطاء لأهل الدارين، والدال حرف من حروف اسم (الدائم) هو علامة على منشور مسماه بدوامه على ما استخلف أبد الآبدين بلا عزل ولا نقص ولا إخلال بشيء مما فوّض إليه أمره، بل على الوجه الأتمّ الأكمل، و«ليس في الإمكان أبدع مما كان»[2]، وليس في الإمكان أتم، ولا أكمل، ولا أخص منه، واللّه أعلم.

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

(٢) القول للغزالي.

التنبيه الثلاثون

في بيان غلط من زعم أن إفراد الاسم (اللّه) بالذكر دون نفي يتقدمه، أو نعت يتبعه خلاف الأدب؛ لأنه لم يأت ذكره مفرداً في نص شرعي، بل أتانا وللّه الحمد ذكره مفرداً بصيغة الأمر في كتاب اللّه العزيز في مواضع منها قوله تعالى [١٢و]: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[١]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾[٢]، والدعاء في اللغة هو الطلب، أي اطلبوا من اللّه تعالى باسمه (اللّه)، أو باسمه (الرحمن)، فهذان نعتان شرعيان بصيغة الأمر في الإذن بإفراد الاسم (اللّه) بالذكر دون نفي يتقدمه، أو نعت يتبعه، وقد جاء أيضاً عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: إنه لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض قطب عليه مدار العالم؛ لأن ذكر الأقطاب: «ألله ألله» بتحقيق الهمزة، أو إسكان الهاء، فما دام هذا القطب الذي أشار إليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حياً لا تقوم الساعة؛ لأنه لا يزال يقول: «ألله ألله»، فقد ظهر لنا وللّه الحمد أن بقاء الدنيا إنما يكون بذكر اسم اللّه بمفرده، فهذا سيد الخلق صلى اللّه عليه وسلم وأعلمهم باللّه وأحكامه قد ذكر هذا الاسم الأعظم مفرداً، وأخبر أيضاً أن ذكر الأقطاب من أمته ذكراً مفرداً عن نفي يتقدمه، أو نعت يتبعه، فمن زعم أن إفراد الاسم بالذكر خلاف الأدب، فقد أساء الأدب على من لا يجوز أن ننسب أفعاله وأقواله ما يخالف الأمر من حيث لا يشعر، فعفا اللّه تعالى عني وعنه، وبصَّرنا وإياه الصواب لنرجع إليه، وقد قال اللّه تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٣]، ومما يدل على صحة هذا المذهب، ما قاله الشيخ (شهاب الدين السهروردي) مؤلف كتاب (عوارف المعارف)[٤]: «اعلم أن اسم اللّه عند الطائفة إخبار عن نهاية التحقيق، وعند أهل الظاهر مبتدأ يحتاج إلى خبر ليتم كلاماً، وعند أهل الطريق، يعني المحققين من أهل اللّه تعالى

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٩١.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

(٤) أبو حفص عمر بن محمد بن عبد اللّه بن محمد بن عمويه الصديقي القرشي التميمي البكري الشافعي الملقب بشهاب الدين ولد بسهرورد سنة ٥٣٩هـ ونشأ في حجر عمه أبي النجيب وأخذ عنه التصوف والوعظ والحديث والفقه كان شيخاً صالحاً ورعاً كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرّج عليه كثير من الصوفية في المجاهرة والخلو. قرأ الأدب وعمل مجلس الوعظ سنين وكان شيخ الشيوخ ببغداد توفي سنة ٦٣٢هـ من كتبه «عوارف المعارف في التصوف» يشتمل على ثلاثة وستين باباً كلها في سير القوم وأحواله وسلوكهم، طبع أكثر من مرة.

لا يحتاج إلى خبر ليتم كلاماً، بل هو اسم مفيد، وكلام تام بدون شيء يتصل به، أو يضمر له لاستهلاكهم في حقائق القرب، واستيلاء ذكر الحق تعالى على أسرارهم، فلا سبق إلى قلوبهم غيره، ويكتفون به عن كل بيان يليه أو يتقدمه [١٢ظ]؛ لأنه لا يليق الزيادة عليه عند مطالعته أحدية مسماه، ولذلك قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه: (كمال الإخلاص في التوحيد نفي الصفات)[١]، يعني في حال مشاهدة أحدية مسمى اللّه، فكيف يتعرضون لنفي ما هو منتفٍ في نفس الأمر في حال فنائهم عن مشاهدة غير أحدية مسماه، وأما في العموم فذكرهم لا إله إلاّ اللّه، وسبحان اللّه المقيد والمطلق، ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه، فهذا تحقيق لا ينكره إلاّ غبي لا يفهم الحقائق، أو مكابر معاند أعماه حسده، فمن وعى هذه المسألة، وفهم ما جاء عن اللّه تعالى، وعن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وعن المحققين من أهل اللّه تعالى، وما جاء عن أهل علم الظاهر، فليختر لنفسه أي الحزبين يحب أن يكن تابعاً له»، واللّه أعلم.

التنبيه الحادي والثلاثون

اعلم أن الحق قد أمر عباده المؤمنين بأن يذكروه كثيراً لا لاحتياج منه إليهم، ولا إليه، ولكن لينعم عليهم بواسطته، ثم ذكر اللّه تعالى على أنواع، فأفضل أنواعه إنما هو ذكره بأسمائه الحسنى، وأفضل ما يذكر به من أسمائه الحسنى اسمه اللّه لقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢]، أي أجلّ وأعظم وأفضل، لا ينبغي أن يقال: إن ذكره تعالى أكبر من ذكر غيره، فإنه يتعالى عن المفاضلة بين ذاته وبين وصفه، أو بين أفعاله وأفعال غيره، أو بين ذكره وذكر غيره، إلاّ أن يكون من باب المجاز، يقال: إن ذكره تعالى باسمه (اللّه) أجلّ وأعظم وأفضل مما سواه من باقي أسمائه الحسنى؛ لأنه الاسم الأعظم مع أن باقي الأسماء كلّها عظيمة، ولكنه أعظمها، ولكونه أعظم أسمائه الحسنى اعتبارات؛ أحدها: [١٣و] لأنه لم يتسم به غيره من باقي الأسماء، فإنه قد تسمّى به غيره مجازاً لا حقيقة، وثانيها أنه جامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، فكل اسم من باقي الأسماء الحسنى له حقيقة لا يتعداها، وثالثها أنه ينعت بها، ولا تنعت هي به، كما قال اللّه تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾[٣] إلى آخر السورة، ونحو ذلك، واللّه أعلم.

---

(١) شرح أصول الكافي، المازندراني، ١٠/٤٩٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٣) سورة الحشر، الآية ٢٢.

التنبيه الثاني والثلاثون

اعلم أن ذكر العبد للّه تعالى مما هو ثابت له من صفات جلاله وجماله لم يفده كمالاً لم يكن ثابتاً له تعالى قبل ذكره به، وإنما أفاد ذاكره به فوائد لم تكن ثابتة له من قبل ذكره تعالى به، فمنها تشريف قلبه ولسانه في سمعه، ومنها زيادة إيمانه التصديقي والإقراري، ومنها ثناء اللّه تعالى عليه ومدحه له بقوله القديم: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[1]؛ لأن هذا مدح لهم، وثناء عليهم، ومنها تعظيم قدره بذكره تعالى له؛ لأنه تعالى ذاكر من ذكره، ومنها تكريمه بمجالسته؛ لأنه تعالى جليس من ذكره، ومنها ما وعد به من مغفرة ذنوبه، ومنها ما أعدّ له من الأجر العظيم، واللّه أعلم.

التنبيه الثالث والثلاثون

اعلم أن من ذكر الحق تعالى بمجموع أسمائه الحسنى كان ذاكراً وحامداً وشاكراً، ومثنياً عليه بجميع المحامد، والثناء الذي أثنى به على نفسه ومن ذكره باسم منها مفرداً عن باقيها كان ذاكراً له وحامداً وشاكراً ومثنياً عليه بما دلّ عليه ذلك الاسم من النعوت الجلالية والجمالية إلاّ اسمه اللّه، فإنه من ذكره به مرة واحدة مفرداً عن نفي يتقدمه، أو نعت يتبعه، كان ذاكراً له وحامداً وشاكراً ومثنياً عليه بجميع معاني ما في أسمائه الحسنى؛ لأنه اسم لذاته المقدسة الجامع لجميع كمالاتها الجلالية والجمالية المتفرقة في أسمائه الحسنى، فذكر الحق باسمه اللّه مرة واحدة يعدل جميع الأسماء [١٣ظ] الحسنى ذكراً وحمداً وشكراً وثناءً، واللّه أعلم.

التنبيه الرابع والثلاثون

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، أي اختارهم للنبوة على العالمين مطلقاً، قال الحكيم الترمذي[3]: أما سيدنا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣٣.

(٣) محمد الترمذي (كان حياً ٣١٨هـ/٩٣٠هـ) محمد بن علي بن الحسن بن بشير الحكيم الترمذي (أبو عبد اللّه) محدث، حافظ، صوفي. سمع الكثير بخراسان والعراق، وقدم نيسابور وحدث بها، وسمع منه الحديث سنة ٣١٨هـ. من تصانيفه: الأكياس والمغترين، رياضة النفس، الكسب وكلها في التصوف، نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول صلى اللّه عليه وسلم، وعلل العبودية.

محمد صلى اللّه عليه وسلم فقد حازت مرتبته الاصطفاء؛ لأنه الحبيب والرحمة، فالرسل صلى اللّه عليهم وسلم خلقوا للرحمة، وسيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم خلق بنفسه رحمة، فلذلك صار أماناً للخلق لما بعثه اللّه تعالى أمن الخلق العذاب إلى نفخة الصور، ولذلك قال صلى اللّه عليه وسلم: (أنا رحمة مهداة)[1]، أي هدية من اللّه تعالى للخلق، فالحمد للّه على هذه الرحمة المهداة.

التنبيه الخامس والثلاثون

اعلم أن (الرحيم) اسم من أسماء اللّه الحسنى، ونعت لسيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم نعته اللّه به في كتابه العزيز بقوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، فكأنه تعالى يقول في تقدير الكلام بسم اللّه الرحمن الرحيم، أي بالرحيم، أي بمحمد صلى اللّه عليه وسلم وُجِدتم، وبه وصلتم إلى معرفة اللّه الرحمن، وباتباعه فيما جاء به وصلتم إلى ثوابه وكرامته، والنظر إلى وجهه الكريم، واللّه أعلم.

---

(١) سنن الدارمي، ٩/١، بحار الأنوار، ٣٠٦،١١٥/١٦، الجامع الصغير، ٣٩٥،٢٦٠/١.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨، والآية كاملة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

فصل

في بيان تكميل اللّه تعالى لنبيّه محمد صلى اللّه عليه وسلم قرن به[1] المحاسن كلها خلقاً وخلقاً، وقرن به جميع الفضائل الدينية والدنيوية، قال القاضي عياض[2] رحمه اللّه تعالى: اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم، السائل عن تفاصيل[3] فضله العظيم أن خصال الجلال والجمال[4] والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلّة وضرورة الحياة، ومكتسب ديني، وهو ما يحمد فاعله، ويقرب إلى اللّه زلفى، فأما الضروري فليس بمكتسب، فمثل ما كان في جبلّته صلى اللّه عليه وسلم من كمال خلقته، وجمال صورته، وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسّه وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزّة قومه [١٤و] وكرم أرضه، ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه وملبسه ونكاحه وماله وجاهه، وقد تلحق هذه الخصال الدنيوية بالخصال الأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريق الآخرة، وكانت على حدود الضرورة، وقوانين الشريعة، وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العليّة، والآداب الشرعية، والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والجود والشجاعة والجاه والمروءة والصمت والتودد والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها، وهي التي جماعها حسن الخلق، وقد يكون في هذه الأخلاق ما هو في الغريزة، وأصل الجبلّة لبعض الناس وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها، ولكن لا بدّ أن فيه من أصولها في أصل الجبلّة شعبة، وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه اللّه تعالى

---

(١) (قرن به): حاشية.

(٢) عياض بن موسى السبتي المالكي المتوفى بمراكش سنة ٥٤٤هـ.

(٣) (تفاصيل): حاشية.

(٤) (الجمال): حاشية.

والدار الآخرة، ولكنها كلها محاسن وفضائل، فإذا كانت أوصاف الجمال والكمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بالمواحدة منها إن اتفقت له في كل عصر إما نسب أو جمال أو قوة أو علم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره، وتُضرب باسمه الأمثال، فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه هذه الخصال ما لا يأخذ عنه عدل، ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب أو جبلّة إلاّ بتخصيص من الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة، والخلة والمحبة، والاصطفاء والإسراء، والرأفة، والقرب والدنو، والوحي، والشفاعة، والوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، والبراق والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأصفر، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم صلى اللّه عليه وسلم [١٤ظ] ولواء الحمد، والبشارة والنذارة، والمكانة عند ذي العرش، والطاعة والأمانة، والهداية ورحمة العالمين، وإعطاء الرضا والسؤال، والكوثر، وسماع القول، وإتمام النعمة، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، وتزكية الأمة، والدعاء إلى اللّه تعالى، وصلاة اللّه وملائكته عليه، والحكم بين الناس بما أراه اللّه، ووضع الإصر والأغلال عن أمته، والقسم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات له، وإحياء الموتى، وإسماع الصم، وإنطاق البكم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشقاق القمر، وردّ الشمس، وقلب الأعيان، والنصر بالرعب، والاطلاع على الغيب، وظل الغمام، وتسبيح الحصى، وإبراء الآلام، والعصمة من الناس، ولا يحيط بعلمه إلاّ مانحه، ذلك مفضله به على غيره سبحانه وتعالى إلى ما أعدَّ له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس، ومراتب السعادة، والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول، ويحار دون أدائها الفهم، واللّه تعالى أعلم، والحمد للّه وحده، وصلى اللّه على من لا نبي بعده، وسلم تسليماً مباركاً.

وافق الفراغ من نسخ هاتين[1] النسختين وهما المسائل والتنبيه[2] لمولانا الشيخ محيي الدين بن العربي نفع اللّه به، وأدام اللّه تعالى علينا مدده، وحشرنا في زمرته، وأبقانا على محبته بحرمة سيد المرسلين محمد، وآله الطيبين الطاهرين في عصر يوم الخميس سادس عشر شهر اللّه المحرم الحرام سنة أربع وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام وآله وصحبه الكرام دائماً بدوام أيام اللّه. قوبل فصحح.

---

(١) في الأصل: (هذه).

(٢) يريد كتاب المسائل لإيضاح المسائل الذي يوجد قبل رسالة التنبيهات التي أشار إليها الناسخ بالتنبيه.

رسالة الاستعداد الكلي
كتاب الخلوة

التحقيق

اعتمدت في تحقيق رسالة الاستعداد الكلي على المخطوطة المرقمة (٧٠٧١) المحفوظة في مكتبة الأوقاف ببغداد، وهي مجموع في التصوف، تضمنت المخطوطة من رسائل كتابنا ما يلي:

١ ـ رسالة الاستعداد الكلي (كتاب الخلوة).

٢ ـ رسالة التنزلات الموصلية.

٣ ـ رسالة المحبة.

٤ ـ رسالة الخرقة.

كتبت المخطوطة بخط نسخ عادي، عدد أسطر الصفحة: (٢٩) سطراً، في كل سطر (١٤) كلمة تقريباً.

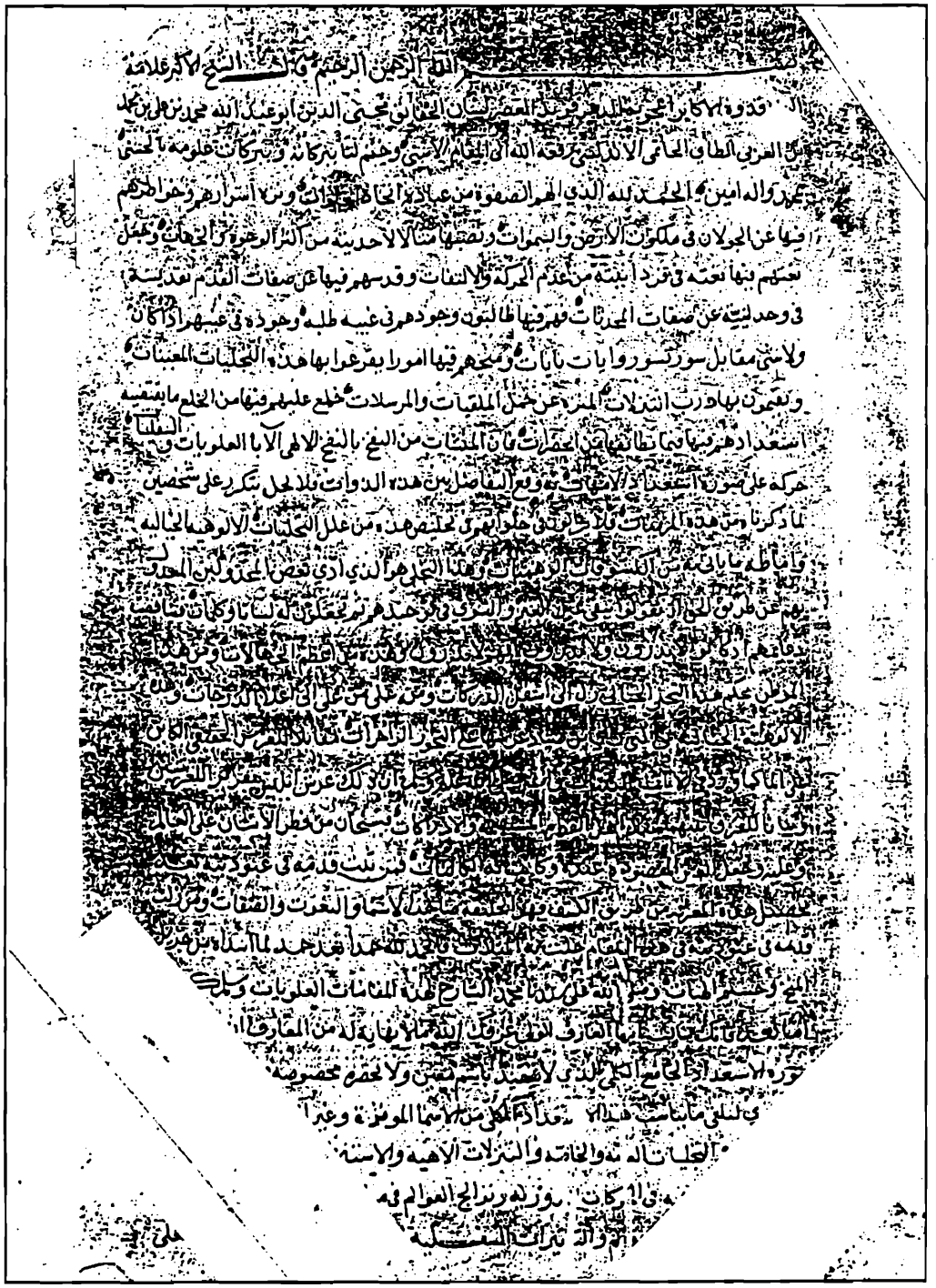

نموذج من رسالة الاستعداد الكلي

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد للّه الذي ألهم الصفوة من عباده اتخاذ الخلوات، ونزّه أسرارهم وخواطرهم فيها عن الجولان في ملكوت السماوات، ونصبها مثالاً لأحديته من أكثر الوجوه والجهات، وجعل نعتهم فيها نعته في فردانيته من عدم الحركة والالتفات، وقدّسهم عن صفات القِدَم تقديسه في وحدانيته عن صفات المحدثات، فهم فيها يطالبون وجودهم في غيبه، طلبه وجوده في غيبهم، إذ كان ولا شيء مقابل، سور بسور وآيات بآيات، ومنحهم فيها أموراً يقرعون بها هذه التجليات المعينات، ويقيمون بها درب التنزلات، المنزّه عن حمل الملقيات والمرسلات، خلع عليهم فيها من الخلع ما يقتضيه استعدادهم فيها فيما يطابقها من الحضرات، فإن المنشآت من النفخ بالنفخ الإلهي الآباء العلويات، والسفليات حركة على صورة استعداد الأمهات، به وقع التفاضل بين هذه الذوات، فلا تجلٍ يتكرر على شخصين لما ذكرناه من هذه الماهيات، فلا يزالون في خلواتهم في تخليص هذه من علل التجليات الألوهية الخيالية، وإماطة ما يأتي به من الكشوفات الوهميات، وهذا التجلي هو الذي أدى بعض المخذولين المعدول بهم عن طريق الحق أن يقولوا بنفي عين الغير والسوى في توحيدهم، ثم يجعلون له لساناً وكلمات، فتناقضت دعائمهم إذ كانوا لا يدرون، ولا يدرون أنهم لا يدرون، وهذه من أعظم الجهالات، ومن هذا الموطن ـ بحكم هذا التجلي الخيالي ـ زلّ إلى أسفل الدركات، ومنه علا من علا إلى أعلى الدرجات، وهذه الألوهية الخيالية هي التي رأى (ابن صياد)(٢) عرشها على البحور الزاخرات،

---

(١) أثبت الناسخ بعد البسملة ما نصه:
(قال الشيخ الأكبر، علامة العلماء، قدوة الأكابر أعجوبة الدهر، فريد العصر، لسان الحقائق محيي الدين أبو عبد اللّه محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي، رفعه اللّه إلى المقام الأسنى، وختم لنا ببركات وببركاته علومه بالحسنى، بمحمد وآله آمين).

(٢) اسمه صاف وأصله من اليهود، وقيل: إنه الدجال، وتحدث معه النبي أكثر من مرة ودعاه إلى الإسلام، وحديث الدخ شهير بينه وبين النبي (ص)، انظر «نيل الأوطار»، ١٨/٨.

مقابلاً للعرش الحقيقي الكائن على الماء كما ورد في الآيات البيّنات، وأخبر صلى اللّه عليه وسلم أن ذلك عرش إبليس تقريراً للعرشين، وبياناً للفرق بينهما عند أهل الفطرة المستقيمة والإدراكات، فسبحان من فطر الإنسان على العالم وعليه، وجعل العين المقصودة عنده، وكانت به الكائنات، فمن ثبتت قدمه في عبوديته بعد تحصيل هذه المعرفة من طريق الكشف فهو الخليفة صاحب الأسماء والنعوت والصفات، ومن زلّت قدمه في عبوديته في هذا المقام حلّت به المثلات، فالحمد للّه بعد حمد لما أسداه من جزيل المنح وجسيم الهبات، وصلى اللّه على سيدنا (محمد) الشارح لهذه المقامات العلويات وسلم كثيراً، أما بعد: فإنك سألت أيها العارف الوليّ عرّفك اللّه ما لا نهاية له من المعارف أن أقيّد لك صورة الاستعداد الجامع الكلي، الذي لا يتقيد باسم معين، ولا يحصره مخصوصه، ولا ينحل بوقف عنده، ولا يتعدى ليلقى ما يناسب هذا الاستعداد الكلي من الأسماء المؤثرة وغير المؤثرة، والحضرة المقيدة وغير المقيدة، والتجليات العامة والخاصة، والتنزلات الإلهية، والاستنزالات الروحانية، والاطلاعات على الكائنات الغيبية في الحركات الدورية، وتوالج العوالم في مراتبهم، وصور المعارج والمدارج، والنسب الرابطة بين العوالم والتأثيرات السفلية، وخلق الملائكة والروحانيات العلى [٢٢١] من الأنفاس الآدمية والحركات البشرية، وتولد الأرواح من الأجساد، والأجساد من الأرواح، ومشاهدة العالم المهيم والمسخَّر والمدبَّر، والتبدّل الإلهي في صور المعارف والاعتقادات على اختلافاتها، والاستكشافات على توسع الذات الإلهية، لتنوع هذه الصور العرفانية الموقوفة على الحجة، وتنوّع المشارب، ونسبة الحق من العالم الواحد على ما لا يتناهى من المعلومات التي لا تتصور، والوقوف على مقام إحالة شهود الفعل، ومشاهدة المرتبة التي تنفي الإمكان والمحال عدم محض، فلم يبق إلاّ الوجوب ومطالعة السريان الإلهي الذي ينفي حكم القدر، وهو توحيد الوجود ونفي الاختراع والخلق والتدبير، وجحود الأسماء المؤثرة إلى أمثال ذلك الكشف التام، والأمر الذي كان به النظام، ومما يرى ولا يقال، وسألت في ذلك سؤال العارف بالمصادر والموارد والمواقف، لما علمت أنه ليس كل استعداد يعطي الأمر الكلي، ورأيت أرباب هذه الطريقة قد أقاموا على استعدادات مخصوصة أنتجت أموراً معينة يشار إليها، ويقتصر عليها، وأنفت همتك الشريفة على الاقتصار على ما وقف عليه هؤلاء، وإن كانوا سادات وملوكاً، ولكن أمير المؤمنين واحد، فاسمع يا أخي جواب ما سألت عنه وزيادة، لينتفع بالزيادة غيرك إذا وقف على هذا الكتاب ممن لا يقدر على استعمال ما سألت عنه، ولا تأخذ عليّ في ذلك، فإن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم سئل عن مسألة واحدة، فأجاب وزاد، فقيل له: يا رسول اللّه أنتوضأ من ماء البحر؟

فقال: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)[1].

بيان وإيضاح

سألت عن الخلوة المطلقة ولم تسأل عن الخلوة المقيّدة، وأنا أجيبك إلى ما سألت وأزيد من الخلوة المقيّدة ما تيسّر فإنها كثيرة.

أولاً اجعل للخلوة حداً زمانياً معلوماً كما وقعت عليها إلاّ الخلوة الصمدانية خاصة في هذا الكتاب، فإني حدّدتها بالزمان لخاصية فيها، وما حدّ من الخلوات بالزمان الأعلى حسب ما وجد واختاره عن وجه صحيح، وهو محض في ردّ الحد الزماني، فإن الأمزجة مختلفة، وفراغ قلوب الخلق من الكون ليس على مرتبة واحدة، وإنما هو على قدر الباعث والطبع المساعد، فقد يفتح لأحد في يومين غير ما يفتح لآخر في شهرين، ولآخر في سنتين ولا يفتح لآخر أبداً، وقد يؤهل أحدهم للإلقاء والتنزيل، والآخر لكشف الحقائق، والآخر ما يتعدى به الخيال والمقال، وكل له مقام معلوم تقتضيه جبلّته، فالحدّ الزماني في الخلوة لا يتصور، وكذلك الجوع والأغذية تابعة للمزاج، فلا يتعيّن تخصيصاً، ولكن يقال بأمر كلي، وهو أن يعطي صاحب الخلوة ما لا يلائم طبعه، ويؤمن منه، برد الفتح على الاعتدال، ولا ينحرف المحل إلاّ لسلطان الوارد، فإن الانحراف لغير الوارد سبب قاطع لحصول الخيال والأوهام، وشهود ما ليست له حقيقة، وكذلك لا أذكر ما ينكشف في الخلوات لوجهين، الواحد: لتعلق النفس بما سمعته، واستعدادها لتحصيله، فقد يسبق له التجلي الخيالي قبل الحقيقي، فيقول: قد حصل المطلوب، وما حصل على طائل، فإن الخيال لا حقيقة له في نفسه؛ لأنه ليس بعالم مستقل، والوجه الآخر: إن النفوس غير متساوية في أصل النشأة؛ لأنها سبب تركيب البدن، وقبوله للفتح الإلهي من الروح الأقدس فقد للفتح نفس عن نفس، وقد [٢٢٢] تزيد، وقلّ أن يتساوى، بل هو محال، لكن يقرّب، فإن كنت فطناً لما ذكرناه، فانظر اختلاف الأشخاص، لاختلاف الأحوال، لاختلاف الحركات العلوية، لاختلاف التنزلات، لاختلاف التجليات، وفي الشريعة الواحدة من الشرع الواحد تجد ذلك، فهذا الذي منعني من ذكر نتائج الخلوات، فإنني ما أصف سوى ما وجدت، ما من نبي إلاّ واستعد وخلا مع ربه و: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2] تقتضيه الحضرة الإلهية، فتقتضيه للصورة التي خلقت عليها، فالواجب ذكر الداعي والاستعداد للتحصيل لا ذكر ما يحصل.

---

(١) مستدرك الوسائل، ١٨٧/١، مسند أحمد بن حنبل، ٢٣٧/٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٨.

باب ما ينبغي أن يكون صاحب الخلوة

إن شاء اللّه تعالى ينبغي أن يكون شجاعاً مقداماً لا يكون جباناً خواراً، فإن كان حاكماً على وهمه غير مقهور تحت سلطانه تخيله زاهداً في كل ما سوى مطلوبه، عاشقاً لمن توجه إليه، عارفاً بقوته من قوة الأمور القواطع التي بين يديه، نافذ الهمة، صادق الخواطر، ثابتاً عند زعقة عظيمة، أو وقع جدار، أو مفاجأة أمر هائل، غير طائش، كثير السكون، دائم الفكر، عائباً على أكثر الحالات، ساهياً عن لذة المدح، وعن ألم الذم، وصاحب قوت طيب، لا يجد في نفسه عند أكله أثراً يريبه من باب الورع، فلهذا قال بعض أئمتنا: ما رأيت أسهل من الورع، كلما حاك له في نفسي شيئاً تركته، وهو قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)[1]، فإن كان مما يحتاج إليه من أسباب خلوته لا يكلف له أحداً، فحينئذٍ له أن يدخل الخلوة، وإن لم يكن على شيء من هذا فلا سبيل له إلى الخلوة، لكنه يشتغل بالعزلة، ويدرب نفسه ويهذبها ويروضها بما ذكرناه إلى أن يعتاد، فإن الخير عادة، فإذا حصل هذا الأمر دخل الخلوة إن شاء اللّه تعالى، أي خلوة شاء عامة أو خاصة، وليقدم صاحب الخلوة بين يدي خلوته صدقة إن كان له شيء، ولو لم يكن له سوى ثوبين يتصدق بأحدهما، أو ثوب واحد يمكن أن يباع بثوبين يستبدله بغيره ويتصدق بالفضل.

باب ذكر الخلوة المطلقة

أيها السائل هيأك اللّه لاستعداد ما سألت عنه واستعماله، لتعلم أنك لما سألت عن الاستعداد الكلي لم يتمكن لي أن أخص به صاحب شرع التنزيل وصاحب شرع الكون، لمشي الاستعداد على حسب ما تعطيه النشأة الإنسانية القابلة عند صفاتها وتخليصها، لما ذكرناه من هذا الأمر الذي يقع به التفضيل بالعوالم والأسماء على حسب ما تعبد به أيضاً من الأمور المشروعة المنزلة عن الأمر والمشيئة، فأقول: إن لم يكن صاحب شريعة أمر منزل، وكان صاحب شريعة أمر مشيأ أو مطلق، فلا بدّ أن يلتزم موافقة ما توطنت عليه النفوس من مكارم الأخلاق، وترك ذميمها وسفسافها، وبنفس ما يفعل يبدأ من فعله، فقد دخل تحت هذا الأمر الشرعي المنزل، فإنه صلى اللّه عليه وسلم بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، والحكم عندنا للأحوال وحالة ما ذكرناه، فلا بدّ من الكشف بلا ريب ولا شك؛ لأن الأحوال تطلب لا العقائد والأقوال، فتفطن لما ذكرناه، ولا يقتصر في وجود الحكمة عند بعض الناس، وإن كان الفاعل

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ١١٢/٣، سنن الدارمي، ٦١/١.

من الخلوة قابلاً بالشرع، معتقداً له، قائلاً به، فليعلم أنه منقسم بين افعل ولا تفعل، وإن شئت افعل، وإن شئت لا تفعل، فأما قسم لا تفعل، فامتثله مطلقاً من غير توقف، ولا حديث نفس ولا تردد، وأما قسم إن شئت [٢٢٣] فهو المباح، فانظر إن كان فعله يؤدي إلى خلق كريم شرعاً فافعله، وإن كان تركه يؤدي إلى ذلك فاتركه، وأما قسم افعل فامتثله امتثال السائس لنفسه، الخائف من شرورها، وذلك أن قطعها في نتائج ذلك الفعل بما يكون لها من الشفوف والاختصاص بدرجة الكمال على جنسها، ثم ما يستحق كل عالم من الحيوان الناطق وغير الناطق، والنبات، والجماد مما ينبغي أن يعامل به من الخلق الذي يوافق غرضه إن كان ذا غرض مع حفظ الشرع، وهو كل الحيوان، أو ما يوافق الحكمة في عالم لا غرض له كالنبات والجماد، وهو بترك العبث، فلا يقطع نبتاً ولا يفسد نظامه وترتيبه عبثاً لغير فائدة تعود فيه على حيوان تجتلب بذلك منفعة، أو دفع مضرة عنه، وكذلك لا يحرك حجراً عن موضعه عبثاً، والجامع من هذا كله ألا ترسل جوارحك وحواسك عبثاً هذا شرط لا بدّ منه، فمهما زال انحلّ النظام، ثم معرفة الذنوب صغيرها وكبيرها، خفيها وجليها، واستجابة التوبة عليها، وردّ المظالم المقدور على ردّها من عرض ومال لا من دم، وتطهير عالمك الباطن من كل مذموم شرعاً وعرضاً وطبعاً، وتقييده عن الجولان في مراتب الكون وتفريغه عن الفكر، فإن الفكر أضرّ شيء في هذا الاستعداد، وفي جميع المخلوقات لا يصح به أبداً، ولا يظهر لصاحبها ثمرة صحيحة إلاّ بحكم الاتفاق، فالله الله يا أخي احفظ نفسك منه، وكذلك حديث النفس وتصرفها في مراتب الكون لا تساعدها على ذلك، فإنه تمزيج وتخليط، وليكن ذكرك الاسم الجامع الذي هو: «الله الله»، وإن شئت «هو هو»، ولا يتعدى هذا الذكر أن يتفوّه به لسانك، وليكن قلبك هو القائل، «ولتكن الأذن مصغية لهذا الذكر، حتى ينبعث الباطن من سرّك، فإذا أحسست بظهور الناطق فيك الذكر، فلا تترك حالتك التي كنت عليها، فإنها قوة عرضية، إن أخللت بجمعيتك لم تلبث أن تزول بسرعة، وأما مقدار ما يلبس من الثياب، فهو ما يكون به بذلك معتدلاً، وليكن من وجه لا يريبك مثل الأكل سواء، وليكن عندك حفاظ هي تباشر بمودتك نفسك في أكثر الأوقات، ولا سبيل إلى الاضطجاع، ولا إلى النوم إلاّ على غلبة، وليقدم أولاً قبل دخولك الخلوة الأولى أية خلوة كانت مطلقة أم مقيدة رياضة وعزلة عن الخلق وصمتاً، وتقليلاً من الطعام، وترك شرب الماء جملة واحدة أجهد فيه، فإنه يسير المؤونة، فإذا أنست النفس بالوحدة عند ذلك تدخل الخلوة، ومما يختص بهذه الخلوة وبعض الخلوات ألا تقتل حيواناً أصلاً لا قملة ولا غيرها، وإذا خفت من الهوام في رأسك فاحلقه، ولكن عند دخولك في الرياضة، وقبل أن يتكون فيه حيوان، ولتستعد بثياب لطهرك، تستر بها في أكثر الأوقات قبل أن يتعلق به حيوان فيشغلك، وذلك ما دمت تحس بنفسك، فإن استغنيت عن هذا كله فهو

المطلوب، ولا تقعد ساعة دون طهارة، والأساس كله على التوجه إلى اللّه تعالى بالتوحيد المطلق الذي لا يشوبه شرك خفي ولا جلي، ونفي الأسباب والوسائط كلها جملة وتفصيلاً عقداً جزماً، فإنك إن ضربت هذا التوحيد، فلا بدّ من الشرك، فقد تُنادى من الشريك وهو كون، فلا يلوح لك من الأمر الكلي أصلاً، وينحل النظام، ويحفظ من الشك والتعطيل، فإنه يناقض المطلوب، ويكفيك ما سامحتك به من شرع الكون، فإنك إذا كشفت [٢٢٤] الحقائق لا تقدّر على جهل ما علمت، وإنكار ما شاهدت، فلهذا سامحتك بشرع الكون لمعرفتي برجوعك إلى الحق، ووقوفك عند الأدب الإلهي، فاشترطت التوحيد وهو الباب الأول، الإيمان، فإنه قال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] لأهل الشرك والشكر، فإنه لم يثبت غير اللّه، فأين اسأل استعدادك على أول الأبواب الإيمانية، وهذا معنى ما ترجم الإمام (البخاري) رحمه اللّه باب ما جاء من أن الأنبياء دينهم واحد في هذا المقام، وفي بعض الأحكام فقد حصلت في الدائرة والحمد اللّه، والصمت لا بدّ منه، وأما الأكل ما دمت تؤثر نفسك ألاّ تجوع الجوع المشغل، ولا تشبع الشبع المثقل، ولا تترك الطبيعة تتعدى منك، ولا تترك عندها فضلاً عن الوقت حتى يكون آخر الخلاء المعدة أقل تحصيل الغذاء وهو قوله عليه السلام: (حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه)[2]، ولكن من وجه لا يريبك ولا يتضرر فيه مخلوق بكلمة، ولا سبيل إلى أكل الحيوان البتة، ولا أن تسخّر في غذائك سواك، بل تشتغل في غذائك بخلوتك، ولا تصرف في تحصيله غيرك البتة، وإن جهلت مزاجك، فاعرض نفسك على الأطباء، فهم ينظرون لك في الغذاء الذي يلائم طبعك، ويصلح لمزاجك، ولتقل لهم ما تريد أن تفعله من التقليل، وعدم الفضول من أجل التصرف، والحركات، والثقل المؤدي [إلى] النوم والكسل، فهم يركّبون لك الغذاء لتبقى على الأيام الكثيرة، ولا تحتاج فيها إلى غذاء أو لبراز، وإنما لم نعين في هذه الأوراق الغذاء المخصوص لما ذكرنا من اختلاف الأمزجة، والذين يفهمون هذه الأوراق كثر، فربما يستعمل ذلك من لا يلائم طبعه فيتضرر، فيعاقب عند اللّه سبحانه وتعالى، هذا وإن انحصرت الأمزجة في الأمهات، ولكن فيها دقائق وتفصيل لا تُعلم إلاّ بما شاهده الشخص في الوقت، ويحتاج في الغذاء بعد معرفة شخصه ونفسه إلى معرفة الزمان والمكان، فهذا منعني من أن أعين الغذاء، لكن لنا أن نبين الأمر الكلي، وهو أن تستعمل الغذاء الخفيف الملائم للطبع البطيء الهضم، المشبع الذي لا يحتاج معه إلى التصرف، وأما صورة الأكل في الرياضة في أوان العزلة وفي الخلوة فهو أن تأخذ اللقمة

---

(١) سورة محمد، الآية ١٩.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ١٣٢/٤، سنن ابن ماجه، ١١١١/٢.

فتسمي عليها خالقها بذلة وافتقار وحضور وخشوع، فإذا ألقيتها في فمك فأكثر مضغها جداً، فإذا ابتلعتها فاحمد الذي سوغها حمداً تاماً في حالة حضور ومراقبة وتربص، حتى تعلم أنها قد استقرت في فم المعدة، ثم بعد ذلك لقمة أخرى تفعل بها مثل الأولى هكذا إلى أن تنتهي إلى القدر الذي فيه غذاؤك، وكذلك شربك الماء مصاً، وتقطع نفسك مراراً، واعلم أن العطش جربناه فوجدناه من الشهوات الكاذبة، وجربه غيرنا فوجده كذلك، فعوّد نفسك أن تمسكها عن الماء، وإن عطشت فإنك إن جاهدتها قليلاً تنعمت بها كثيراً، وتقيم واللّه الشهور الكثيرة نعم، والسنين وأكثر ولا تشرب فيها الماء، ولا تشتهيه ولا يؤثر في مزاجك، ولا في بدنك، وتقنع الطبيعة بما تستمده من الرطوبات التي في الغذاء ولهذا يستحب بل يجب المجاهدة والرياضة في العزلة قبل الخلوة حتى يصير ذلك طبعاً وعادة ولا تحس النفس به، فتدخل الخلوة عقيب ذلك مستريحاً نشيطاً طيب النفس فارغاً من المجاهدة [٢٢٥] خالي المحل من المكابدة فيها، مفرغاً للذكر المذكور، والتجلي المطلوب، والوارد الآتي عليك، فإن المجاهدة في الخلوة تذهب بجمعية الخلوة التي هي روحها؛ لأنها تشغل الوقت، فتحفظ من ذلك جهدك، وقدم العزلة ولا بدّ، واجعل مجاهدتك التي تأنس النفس [إليها] بذلك، واندرج فيها إلى الخلوة المطلوبة يسرع إليك الفتح إن شاء اللّه تعالى، ومهما تكلفت شيئاً من خلوتك من سهر وجوع، أو عطش أو برد أو حديث نفس أو وحشة، فاخرج منها إلى عزلتك حتى يستحكم ذلك صورة الخلوة وحالها فيها وشروطها، ثم لتسكن بيت خلوتك على ما أذكره لك، ولتكن فيه على حسب ما تجد، فأما صفة البيت المخصوص بهذه الخلوة، فينبغي أن يكون لكل خلوة، وهو أن يكون ارتفاعه قدر قامتك، وطوله قدر سجودك وعرضه قدر جلستك، ولا يكون فيه ثقب ولا كوة، ولا يدخل عليك رأساً، ويكون بعيداً من أصوات الناس، ويكون قصير الباب، وثيق الغلق، وليكن في دار معمورة فيها ناس، وإن أمكن أن يبيت أحدهم بقرب الخلوة فهو حسن، وأما صورتك في ابتدائه فهو أن تغسل لها وتنظف ثيابك، ولا بدّ من النية بالتقرّب إلى التوجه إليه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، ولا سبيل إلى كثرة الحركة فيها، ولا تزيد على الفرائض والرواتب والركعتين عند كل طهارة من الحدث، والقعود مستقبلاً القبلة دائماً، وإذا أردت الحاجة فليكن موضع خلائك قريباً من خلوتك، وتحفظ عند خروجك من الهواء الغريب، فإنه يؤثر فيك تفريغاً زماناً طويلاً، وليكن ماؤك لا يتغير عليك، وإذا خرجت لحاجتك فسد عينيك وأذنيك، وليكن غذاؤك معك في بيتك أو خلف باب بيتك، ومن شرط هذه الخلوة، بل كل خلوة ألا يعرف

(١) سورة آل عمران، الآيتان ٦ و١٨.

غيرك أنك في خلوة أصلاً، وإن كان ولا بدّ أن يعرف فلا يعرف منك ذلك إلاّ أقرب الناس إليك في خدمتك ممن يجهل ما أنت عليه، ولا يعرف ما تقصده، وإنما منع من ذلك تشوف نفسه عند النفوس المتشوفة بخروجك بماذا تخرج، وهي علة كبيرة، ونحن نريد تقريب الفتح على الشخص، وهذا يبعده، فإنه لا سبيل إلى الفتح وفي النفس أثر، فهذه صورة الخلوة المطلقة، وجرت فيها الكثير من الأشياء نبهنا عليها مما يحتاج إليها في الخلوة كلها العامة والخاصة، فلا نحتاج إلى تكرار ذلك في الخلوة المقيدة، والله المرشد، وقد ذكرنا صورة ترتيب الفتح في رسالة الأنوار[1] فلتنظر هناك.

خلوة الهدهد

هذه الخلوة عجيبة جداً، تدخل الخلوة كما ذكرت لك، وتستعمل في غذائك قلوب الهداهد تسحقها وتسفها سفاً، فإنك ترى العجائب، ويكون ذكرك: لا إله إلاّ الله رب العرش العظيم.

خلوة الصمدانية

أيامها ثلاثون يوماً لا نوم فيها البتة بليل، ولا فطر فيها بنهار، وإن اتفق أن تكون في رمضان فهو أولى، وإلا ففي المحرم، وذكرها سورة الإخلاص.

خلوة العزيز

ذكرها جماعة من إخواني وصحتها، وأما أنا فما عملت لها من أجل الأسماء التي فيها، قال القوم الذين أخبروا بها: أن يلبس لها في كل يوم ثوباً جديداً لأربعين يوماً، وأن يكون الغذاء مرة خبزاً وزيتاً، ومرة خبزاً بزبيب، ولا يزال يذكر هذه الأسماء عقيب الصلاة في أكثر الحالات وهي: تهلطف، سلبطيع، اسماطون، اطون، نهكس، يوفس.

واعلم أن صورة الخلوة ما ذكرت لك، ثم إنه تختلف الحالات فيها على الإنسان بحسب أذكاره مع الاستعداد الداعي إلى الفتح [٢٢٦]، ولكن مما يناسب الذكر الذي يكون عليه صاحب الخلوة، وقد أدخلت مريداً لنا بذكر سهل بن عبد الله التستري[2] الذي أعطاه

---

(١) طبعت هذه الرسالة ضمن رسائل ابن عربي المطبوعة في حيدر آباد الدكن، ١٩٤٨.

(٢) أبو محمد سهل عبد الله بن يونس التستري، صاحب كرامات من الصوفية درس عنده الحلاج مدة، سكن واسط البصرة، توفي سنة ٢٣٣، وقيل غير ذلك، راجع «الأنساب» للسمعاني، ٤٦٥/١.

خاله وهو: (اللّه معي، اللّه ناظر إلي، اللّه شاهد علي)، فتح له به في أربعة أيام، وأما أنا ففتح لي به في ليلة، وأدخلت شخصاً بليلة على (سبحان اللّه العظيم وبحمده)، فرفع من ليلته، ودخل بعض شيوخنا بذكر: (لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير، وهو على كل شيء قدير)، ولزمه مرة ففتح له في التوحيد والتوكل، وكان واحد عصره فيهما، ووقفت على أسماء وأنا بالمسجد الأقصى، فعرفتها وخوطبت بها، وهي في الخلوة عجيبة، وهي: (عنت وجوه الروحانيات العلى للسبحات العظمى التي فتق بها الرتق، يا علي يا قيوم السبحات العظمى، هي المحرقة للكائنات، يا من أوجد الآباء العلويات متحركة، والأمهات السفليات ساكنة بالصفة التي هي عين الموصوف، يا من أدار القمرين حول مراكز تداويرها، وأدار الدورة الكبرى للسكون والفضل المبتغى المنطوق به على ألسنة الروحانيات العلى، يا من نظر إلى من نظر إليه، يا مذل الأعزاء، يا قدوس يا أحد، لك العز الأفخم، والملك والملكوت الأعظم، أثر جلالك الهيبة في القلوب، وأنت المحسان تنقل الأطوار والأدوار، وتعلم ما سكن في الليل والنهار، يا عظيم لا أعظم منه، يا كبير لا أكبر منه، أنت المقصود بكل هم، والمسؤول بكل لسان)، وكذلك (يا حي يا قيوم)، وكذلك خلوة (يا علي يا عظيم يا عليم يا حليم)، وما من ذكر إلاّ وله نتيجة، فإذا فهمت كيفية حالات الخلوة وصورتها، فادخلها بأي ذكر شئت، فإنه يعطيك ما في قوته ولا بدّ، ويكفي هذا القدر من التنبيه، والحمد للّه رب العالمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى اللّه على صاحب المقام الجليل (محمد) وصاحب الذكر والتنزيل، وعلى آله وأصحابه المتأدبين وسلم تسليماً كثيراً، تمت بعون اللّه وحسن توفيقه، وفقنا اللّه للعمل بما فيه بحرمة صاحبه وأسراره آمين، والحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على سيدنا (محمد) وآله وصحبه وسلم.

رسالة نسبة
الخرقة وشروطها

التحقيق

اعتمدت في تحقيق رسالة الخرقة على مخطوطتين أساسيتين:

ـ الأولى: المخطوطة المرقمة (٣٧٩٥) المحفوظة في دار المخطوطات ببغداد، وهي مجموع في التصوف يقع في (١٠٣ ورقة)[1]، وجاء تسلسل رسالة (الخرقة) في المجموع الرسالة: ٨، تبدأ الرسالة من الورقة ٦٢ وجه وحتى الورقة ٦٨ ظهر، بقياس ١٥ × ١٠ سم، وعدد الأسطر ٢٨ سطراً في كل صفحة، تضمن كل سطر منها ١٢ كلمة تقريباً.

كتبت الرسالة بخط نسخ دارج، على ورق يرقى إلى القرن العاشر الهجري، وخلت الرسالة من اسم الناسخ، لكنه ورد أنها نسخت يوم الجمعة أول يوم في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٨٤ هجرية، دوّنت الرسالة بمداد أسود، بينما دوّن عنوان الرسالة بمداد أحمر في صفحة منفصلة، كذلك الفوارز التي استخدمت كعلامات توقف، وقام الناسخ بتصفيح أوراق الرسالة التي رقمت ترقيماً حديثاً بمداد أحمر.

ـ الثانية: المخطوطة المرقمة (٧٠٧١) المحفوظة في مكتبة الأوقاف ببغداد، وهي مجموع في التصوف بضمنه رسالة الخرقة، كتبت المخطوطة بخط نسخ عادي، عدد أسطر الصفحة: (٢٩) سطراً، في كل سطر (١٤) كلمة تقريباً.

---

(١) تمّ الحديث عن هذه المخطوطة ووصفها في المقدمة التحقيقية لرسالة(كشف الستر) فانظرها هناك.

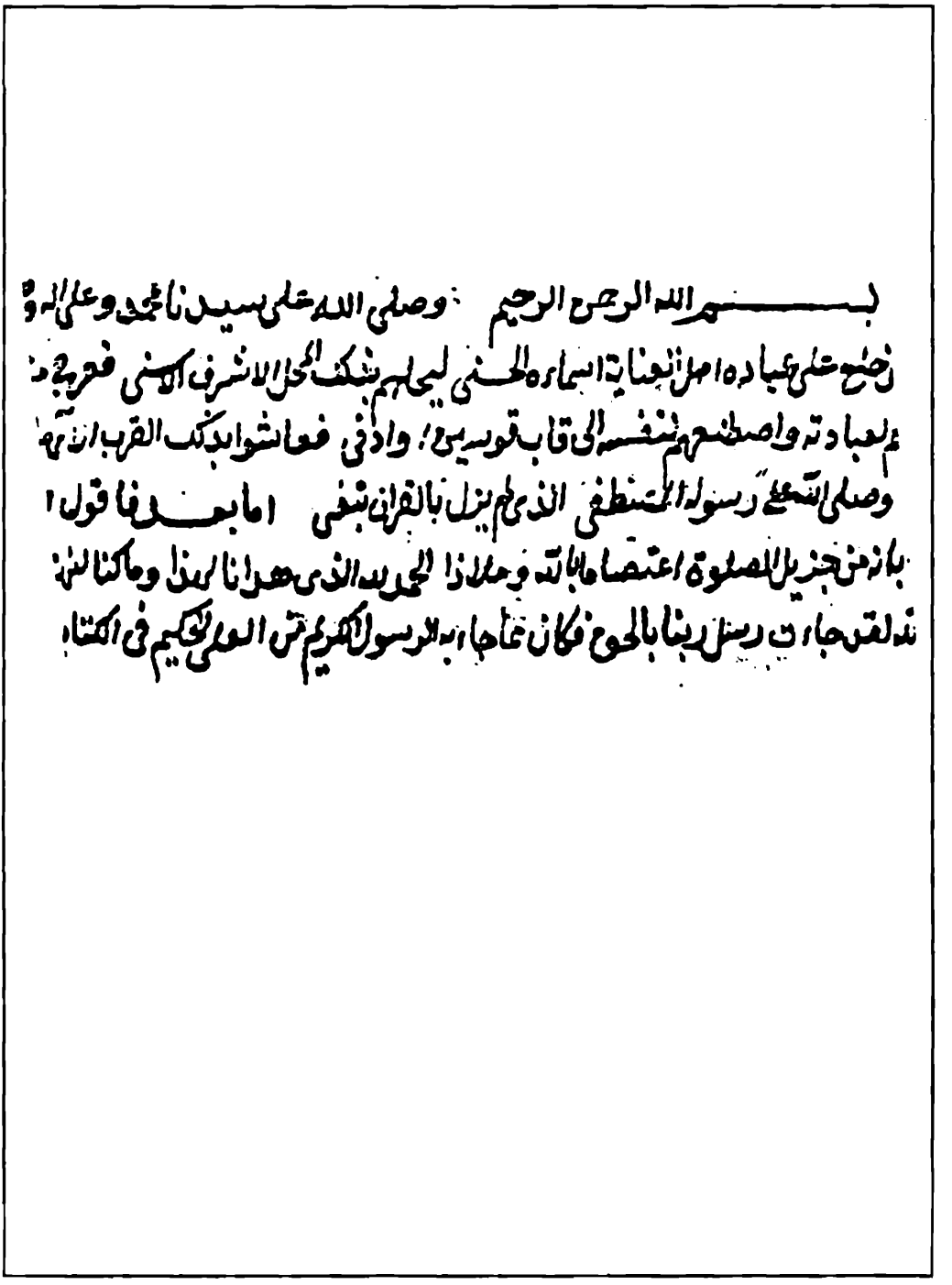
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله و
تجلى على عباده اهل العناية اسماءه الحسنى ليجليهم بتلك الحلل الاشرف الاسنى فتوجه
بالعبادة واصطلحهم بنفسه الى قاب قوسين او ادنى فعاشوا بذلك القرب الى آخره
وصلى الله على رسوله المصطفى الذى لم يزل بالقرآن يثنى اما بعد فاقول
بازمة جبريل الصلوة اعتصاما بالله وحمدا لله الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى
لولا جاءت رسل ربنا بالحق فكان مما جاء به الرسول الكريم من العلى الحكيم فى الكتاب

نموذج من رسالة الخرقة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي خلع على عباده أهل العناية الأسماء الحسنى، ليحلّهم بذلك المحل الأشرف الأسنى، فعرج من عرج بها ممّن اصطفاهم لعبادته واصطنعهم لنفسه إلى قاب قوسين أو أدنى، فعاشوا بذلك القرب الإلهي العيش الأرغد الأهنى، وصلى الله على رسوله المصطفى، الذي لم يزل بالقرآن يتغنى، أما بعد فأقول بعد الحمد والصلاة على ما جاء به من جزيل الصلاة اعتصاماً بالله وملاذاً: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾[1]، فكان مما جاء به الرسول الكريم من العليّ الحكيم في الكتاب المنزّل الذي هو [٥٧] القرآن العظيم: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[2]، فالضروري من لباس الظاهر ما يستر السوءة، وهو لباس التقوى من الوقاية، والريش ما يزيد على ذلك مما يقع به من الزينة التي هي زينة الله التي أخرج لعباده من خزائن غيوبه، وجعلها خالصة للمؤمنين في الحياة الدنيا، ويوم القيامة فلا يحاسبون عليها، وإذا لبسوها وتزينوا من غير هذه النية ولا هذا الحضور، ولبسوها فخراً وخيلاءً، فتلك زينة الحياة الدنيا، وهو ثوب واحد ويختلف الحكم عليه باختلاف المقاصد، ثم أنزل في قلوب العباد لباس التقوى وهو خير لباس على صورة لباس الظاهر سواء، فمنه لباس ضروري يواري سوآت الباطن، وهو تقوى المحارم مطلقاً، وفيه ما هو مثل الريش في الظاهر، وهو لباس مكارم الأخلاق مثل نوافل العبادات كالصفح والإصلاح، وإن كان الشارع قد أباح لك أخذ حقك، ولكن تركه مما يتزين به الرجل في باطنه، فهي زينة الله في الباطن، وهو كل لباس باطن ندبك الشرع إليه، فقد تحقق له من الباطن أنه على صورة لباس الظاهر شرعاً، وكما يختلف

(١) سورة الأعراف، الآية ٤٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٦.

الظاهر بالمقاصد والنيات، كذلك يختلف لباس الباطن بالنيات والمقاصد، ولما تقرّر هذا في نفوس أهل اللّه، أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين، ويتزينوا بالزينتين، ليجمعوا بين الحسنين، فيثابوا من الطرفين، بسبب لباس هذه الخرقة المعلومة عندهم، ليكون تنبيهاً على ما يريدونه من لباس بواطنهم، وجعلوا ذلك صحبة وأدباً، وأصل هذا اللباس عندي على ما أُلقي في سرّي، ونُفث في روعي، أن اللّه تعالى لبس قلب عبده، فإنه قال: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي)[1]، فإن الثوب وسع لابسه، فظهر الجمع بين اللبستين من زمان الشبلي[2]، وابن خفيف[3]، وهلم جرّا، فجرينا على مذهبهم في ذلك فلبسناها من أيدي مشايخ جمّة سادات بعد أن صحبناهم، وتأدبنا بآدابهم، ليصح إذاً اللباس ظاهراً وباطناً، ومذهبنا في لباس مريد التربية هو غير ما هو عليه اليوم من الأمر، وذلك أن الشيخ المربي ينظر في المريد وحاله الذي يريد أن يلبسه فأي حال يكون للمريد فيه نقص، فإن الشيخ يتلبس بذلك الحال حتى يتحقق به ويعمره، فتسري قوة ذلك الحال في الثوب الذي يكون على الشيخ، فيجرده في الحال ويكسوه ذلك المريد، فيسري عليه سريان الخمر في أعضائه، فيعمّره ويتم له الحال، وهذا اليوم عزيز، فلمّا قصرت همم الناس عن مثل ما ذكرناه رجعوا إلى منزلة العامة، لكنهم شرطوا فيها شروطاً، وشرط هذه الخرقة المعروفة على صورة ما أظهرها الحق من ستر السوءة، فتستّر الكذب بلباس الصدق، وتستر سوءة الخيانة بلباس الأمانة، وسوءة الغدر بخرقة الوفاء، وسوءة الرياء بخرقة الإخلاص، وسوءة سفساف الأخلاق بخرقة مكارم الأخلاق، وسوءة المذام بمعرفة المحامد، وكل خلق دني بكل خلق سني، وترك الأسباب بتوحيد التجريد، وترك التوكل على الأكوان بالتوكل على اللّه، وكفر النعمة بشكر المنعم، ثم يتزين بزينة اللّه من ملابس الأخلاق المحمودة، مثل الصمت عما لا يعنيك، وغض البصر عمّا لا يحل النظر إليه، وتفقد الجوارح بالورع، وترك سوء الظن بالناس، وتصفح ما مضت به الأيام من أفعالك، وما سطرته أقلام الكتبة الكرام عليك، والقناعة بالموجود، وعدم التشوق إلى طلب المزيد إلاّ من أفعال الخير، وتفقد أخلاق النفس، ومعاهدة الاستغفار، وقراءة القرآن، والوقوف مع الآداب النبوية، وتعرف أخلاق الصالحين، والمنافسة في الدين، وصلة الرحم، وتعاهد الخسران بالرفق، وبذل العرض،

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٥/٣.

(٢) أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي، ولد في سر من رأى سنة ٢٤٧هـ، وتوفي في بغداد سنة ٣٣٤هـ، صوفي مشهور، اشتهر بكنيته، واختلف في اسمه ونسبه، وله شعر جيد.

(٣) أبو عبد اللّه محمد بن خفيف الشيرازي، شيخ الصوفية ببلاد فارس، كان من أعلم المشايخ بالعلوم الظاهرة، صحب رويماً وأبا العباس بن عطاء، توفي بشيراز سنة ٣٧١هـ.

وقد رغب رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله في ذلك بقوله عليه السلام: (لا يستطيع أحدكم أن يكون كأبي ضمضم[1]، كان إذا أصبح يقول: اللّهم إني تصدقت بعرضي على عبادك)[2]، وسخاوة النفس وهو أن يبدلها في قضاء حوائج الخلق، وصنائع المعروف مع الصديق والعدو، والتواضع ولين الجانب، واحتمال الأذى، والتغافل عن زلل الأخوان، وعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة ومن تقدم من الأكابر، وترك مجالسة الغافلين، إلاّ أن تذكرهم أو تذكر اللّه فيهم، والكف عن الخوض في الأعراض، وفي آيات اللّه تعالى بغير علم، وترك الطعن في الملوك والمذنبين من أمة محمد صلى اللّه عليه وسلم، وترك الغضب إلاّ عند انتهاك محارم اللّه تعالى، وترك الحقد والغل من الصدور، والصفح عن المسيء، وهو ألاّ تغضب لنفسك، وإقالة عثرات أهل المروءة ذوي الهيآت، والإبقاء على أهل الستر، وتعظيم العلماء وأهل الدين، وإكرام ذي الشيبة، وإكرام كريم القوم كانوا من كانوا من مسلم وكافر كل ذلك على الحد المشروع، مما يجوز لك أن تكرم به ذلك الشخص، وحسن الأدب مع اللّه، ومع [٥٨] كل أحد من حي وميت، وحاضر وغائب، ورد الغيبة عن عرض أخيك المسلم، وإياك وكثرة الكلام، والتصنّع والتشدّق، فإن كثرة الكلام تؤدي إلى سقطة، وتوقير الكبير، والرفق بالضعيف، ورحمة الصغير، وتفقد المحتاجين، ومواساتهم بالبر والصلة، وميسور القول، والهداية، وإكرام الضيف، وإفشاء السلام، والتحبب إلى الناس على الحد المشروع، ولا تكن لعاناً ولا عياباً ولا سباباً ولا سخاباً، ولا تجزي بالسيئة في حقك إلاّ إحساناً، والنصيحة للّه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامّتهم، ولا تنظر[3] الدوائر بأحد، ولا تسب أحداً من عباد اللّه على النفس من حي ولا ميّت، فإن الحي لا يعرف إن كان كافراً بما يختم له، وإن كان مؤمناً بما ختم له، ولا تعيّر أحداً من أهل الشهوات بشهواتهم، ولا ترد الرياسة على أحد، ولا توطأ عقبك خدمة عن امرأة، وإياك أن تترك الناس يبولون في أذنك بنقل ما يسوء، عنك وعن غيرك، ولتحب المؤمنين كلهم مسيئهم إليك ومحسنهم، لحبهم اللّه ورسوله، ولا تبغضهم لبغضهم إياك، أو من كان من غير اللّه ورسوله، فبهذا أوصاني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في المنام في رؤيا رأيتها في حق شخص وقع في بعض شيوخي بهجر فأبغضته، فرأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في المنام، وقال لي: لم أبغضت فلاناً؟ فقلت له: لبغضه ووقوعه في شيخي، فقال لي عليه السلام: ألست تعلم أنه

---

(١) غير منسوب روى عنه الحسن بن أبي الحسن، وقتادة أنه قال: اللّهم إني تصدقت بعرضي على عبادك... الحديث، راجع «أسد الغابة»، ٢٣٢/٥.

(٢) منتقى الجمان، ٩٧/٣.

(٣) (تنظر): حاشية.

يحب اللّه ويحبني؟ قلت: بلى، قال: فلمَ لا تحبه لحبه إياي، وأبغضته لبغضه شيخك، فقلت له: يا رسول اللّه ما أحسنك من معلم لقد نبهتني على أمرٍ كنت عن مثله غافلاً. ولا تفرح بما ينتشر في العامة من ذكرك بما تحمد وإن كنت عليه، فإنك لا تدري هل يبقى عليك أو يسلب عنك، ولا تتميز عن المؤمنين بخلق غريب محمود يعرف منك إلاّ إن كنت ممّن يقتدى به، ولا تظهر الخشوع في ظاهرك بجمع أكتافك وإطراقك إلى الأرض إلاّ أن يكون في باطنك كذلك، ولا تحب التكاثر من الدنيا، ولا تبال بجهل من جهل قدرك، بل ينبغي ألا يكون لنفسك عندك قدر، ولا ترغب أن ينصت الناس لكلامك، ولا تخرج للجواب بما لا يسرك في حقك، واصبر للحق ومع الحق ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1]، وأنصف من نفسك، ولا تطلب الإنصاف من أحد في حقك، وسلّم على المسلمين، وردّ السلام على من سلّم عليك، وإياك والطعن على الأغنياء إذا بخلوا، وعلى أبناء الدنيا إذا تنافسوا فيها، ولا تطمع فيما في أيديهم، وادع للملوك، وولاة الأمر، ولا تدع عليهم، وإن جاروا، وجاهد نفسك وهواك، فإنه أكبر أعدائك، ولا تكثر الجلوس في الأسواق، ولا المشي فيها، وكفّ ضررك عن أئمة الدين، وترك الشهادة على أهل القبلة بما يؤدي عند السامعين إلى الخروج عنها، والإمساك عن الخوض فيما شجر بين الصحابة، بل عن الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدّموا، وترك المراء في القرآن، وسلّم للقضاء والقدر، وترك مجالسة أهل الأهواء والبدع القادحة في الدين والملك، وعليك بإخراج الحرص والحسد والعجب من قلبك، وأن تصرف هذه الصفات في غير مواطنها المشروعة، وعليك بالدخول في الجماعة، (فإن الذئب لا يأكل إلاّ القاصية)[2]، وإياك والعجلة في أمورك إلاّ في خمس: الصلاة لأول وقتها، والحج عند وجود الاستطاعة، وتقديم الطعام للضيف قبل الكلام، وتجهيز الميت، وتجهيز البكر إذا أدركت، وبذل المجهود في نصح عباد اللّه من مسلم وكافر ومشرك بعلم وسياسة، وقطع أسباب الغفلة، والمحافظة على إقامة الصلوات، وعلى تحسين نشأتها، والقيام على النفس بالحسبة، والخروج من الجهل بطلب العلم، وأن تستوصي بطالب العلم خيراً، والندم على التفريط في استعمال الخير، والتجافي عن الشهوات ودار الغرور، واعتقاد مقت النفس؛ فإن للنفس في اعتقاد أهل اللّه كل خاطر مذموم، وردّ المظالم، وإصلاح الطعمة، والسعي في

---

(١) سورة الكهف، الآيتان ٢٨، ٢٩.

(٢) يدُ اللّه مع الجماعة ومن شذَّ شذ إلى النار، فإنَّ الذئبَ لا يأكل إلاّ من الغنم القاصية. الترمذي ٣١٦/٣.

إصلاح ذات البين، فإن اللّه يصلح بين عباده يوم القيامة، وإسقاط الريب، والحذر الدائم، والخشية والهمّ في اللّه، والحب والبغض في اللّه، والمودة في قرابة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وموالاة الصالحين، وكثرة البكاء والتضرّع إلى اللّه تعالى، والابتهال ليلاً ونهاراً، والهرب من طريق الراحات [٥٩] والتذلل في كل حال إلى اللّه تعالى، ومراقبة الكمد وتنغيص العيش بالفكر فيما يتعيّن عليك من شكر المنعم فيما أنعم عليك، والقصد إلى اللّه في كل حال منك، والتعاون على البرّ والتقوى، ونصرة المظلوم وإجابة الصارخ وإغاثة الملهوف، وتفريج الكرب عن المكروب، وصوم النهار، وقيام الليل وإن كان بالتهجد فهو أولى، وذكر الموت، وتعاهد زيارة القبور، والصلاة على الجنائز وتشييعها، إن كنت ماشياً فأمامها، وإن كنت راكباً فمن خلفها، والمسح على رؤوس اليتامى، وعيادة المرضى، وبذل الصدقات، ومحبة أهل الخير، ودوام الذكر والمراقبة، ومحاسبة النفس على أفعالها الظاهرة والباطنة، والأنس بكلام اللّه تعالى، وأخذ الحكمة من كل كلام وكل متكلم، بل من نظرك في كل منظور، والصبر على أحكا[illegible] فإنك بعينه، كما قال لك: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾[1]، والتعرّض لكل سبب يقرب إلى اللّه تعالى واستفراغ الطاقة في محابّ اللّه ومراضيه، والرضا بالقضاء لا بكل مقضي، وتلقي ما يرد إليك من اللّه تعالى بالفرح، وموالاة الحق بأن تكون معه، فإن اللّه مع عباده أينما كانوا، ودُرْ مع الحق حيث ما دار، كن مع الصدق دائماً، والتبري من الباطل، والصبر في مواطن الامتحان، والزهد في الحال، والاشتغال بالأهم في الوقت، وطلب الجنة بالشوق إليها، لكونها محل رؤية الحق تعالى، ومجالسة أهل البلاء بالاعتبار، ومحادثة المساكين والقعود معهم في محافل فقرهم، ومعونة من يطلبك حاله بإعانته، وسلامة الصدر، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب، وخدمة الفقراء، وأن تكون مع الناس على نفسك فإنك إذا كنت عليها فأنت لها، والسرور بصلاح الأمة والغم بفسادها، وتقديم من قدّمه اللّه ورسوله، وتأخير من أخره اللّه ورسوله، فيما قدّمه وفيما أخره، فإذا لبست هذه الملابس صلح أن تقعد في صدور المجالس عند اللّه، وتكون من أهل الصفوف الأول اللابسين لباس الصوف والصفا المجمّل، فهذا لباس[2] أهل التقوى الذي هو خير لباس، المتخلقين بالصدق والصفاء والإخلاص، فاجهد أن تكون هذه وأمثالها ملابسك، فهذا مذهب الجماعة من أهل اللّه، الممتثلين لأمر اللّه، فعلى مثل هذه الأخلاق درجوا، وهي لباسهم وحليتهم وعليها لبستُ وألبست من ألبسته للّه الحمد والمنة على ذلك.

---

(١) سورة الطور، الآية ٤٨.

(٢) في الأصل: (فهذه ملابس).

فصل بلا وصل

في نسب بعض خرقنا جعلنا اللّه ممّن قام بحقها، ألبستك أيها الولي الحميم موفق الدين أحمد بن علي بن أحمد الإشبيلي هذا اللباس من الصحبة والأدب من يدي، ولبستُ أنا من يدي الشيخ جمال الدين يونس بن أبي الحسن العباسي القصار بمكة بالحرم الشريف تجاه الكعبة المعظمة بعد أن صحبته وتأدبت به، ولبسها يونس من يدي شيخ الوقت عبد القادر بن أبي صالح بن عبد اللّه الجبلي، ولبسها عبد القادر من يدي أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي، من يد علي بن حسن، من يد علي بن محمد بن يوسف الهكاري، من يد أبي الفرج الطرسوسي، ولبس الطرسوسي من يد أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي، ولبس التميمي من يد أبي بكر محمد بن خلف بن جحدر الشبلي، والشبلي صحب الجنيد وتأدب به، والجنيد صحب خاله السري السقطي وتأدب به، والسري صحب أبا محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، والكرخي صحب الإمام علي بن موسى، وعلي بن موسى صحب أباه موسى بن جعفر، وموسى صحب أبا جعفر بن محمد وتأدب به، وجعفر صحب أباه محمد بن علي وتأدب به، ومحمد صحب أباه علي بن الحسين وتأدب به، وعلي صحب أباه الحسين بن علي بن أبي طالب، والحسين صحب جده رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وأباه علي بن أبي طالب وأخذ عنهما، وعلي بن أبي طالب رضي اللّه عنه صحب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأخذ عنه وتأدب به، والنبي صلوات اللّه عليه أخذ عن جبريل عليه السلام، وجبريل عليه السلام أخذ عن اللّه تعالى.

فقلت للشيخ يونس: ما أخذ عنه؟ فقال: سئل الشيخ عبد القادر: ما أخذ عنه؟ فقال: أخذ العلم والأدب، واللّه أعلم.

وكذلك أُلبست أيضاً الخرقة بمدينة فاس بالمسجد الأزهر بعين الخيل من يد أبي عبد

اللّه محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي، ومن يد تقي الدين بن عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن آب التورزي المصري بمسجد ابن الجد بباب الحديد من إشبيلية، وكلاهما لبسها من يد أبي الفتح محمود بن أحمد بن علي المحمودي، ولبس المحمودي من يد أبي الحسين علي بن محمد البصري، ولبس البصري من يد أبي الفتح ابن شيخ الشيوخ، ولبس ابن شيخ الشيوخ من يد أبي إسحاق بن شهريار المرشد، ولبس المرشد من يد حسن أو حسين الأكار، ولبس الأكار من يد أبي عبد اللّه بن خفيف، وابن خفيف صحب الحداد، والحداد صحب أبا عمرو الإصطخري، والإصطخري صحب أبا تراب النخشبي، والنخشبي صحب البلخي، والبلخي صحبه ابن أدهم، وابن أدهم صحب موسى بن زيد الداعي، وموسى صحب أويساً القرني، والقرني، صحب عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وكلاهما صحب رسول اللّه عليه وسلم، وأخذ عنه، وتأدب به.

وكذلك ألبستك الخرقة التي لبستها من يد أبي الحسن علي بن عبد اللّه بن جامع، ولبسها ابن جامع من يد الخضر، وصحبه وتأدب به، وأخذ عنه، وكذلك صحبت أنا أيضاً الخضر عليه السلام، وتأدبت به، وأخذت عنه التسليم لمقالات الشيوخ، وغير ذلك، ورأيت منه ثلاثة أشياء من خرق العوائد، رأيته يمشي على البحر، وطي الأرض، ورأيته يصلي في الهواء، فليلبس الولي وفقه اللّه من شاء وأحب من صغير وكبير، وذكر وأنثى هذه الخرقة التي ألبسته على الشرط المذكور من رجال ونساء، وصغير وكبير من المؤمنين بالسند المذكور، وليس من شرط لباس هذه الخرقة الصحبة ألا يلبسها إلاّ من واحد، هذا لم يشترطه أحد، بل ثبت عن بعضهم أنه قال: من أراد أن يرى ثلاثمائة رجل في رجل واحد فليرني، فإني صحبت ثلاثمائة شيخ، أخذت عن كل شيخ خلقاً، وانظر في رسالة القشيري عند ذكره من ذكر منهم، فما يذكر رجلاً إلاّ ويقول: صحبت فلاناً وفلاناً، وليست الخرقة إلاّ الصحبة والأدب، وذلك غير محمود، وإنما قبعت جهلاً منهم لا علم لهم، فتخيلوا أن الإنسان لا يجوز له إلاّ من شخص واحد، ولم يقل بذلك أحد من الناس، واللّه الموفق، لا ربَّ غيره، تمّ الكتاب بعون الملك الوهّاب، وصلى اللّه على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

حزب الأحدية[1]

(١) أثبت الناسخ قبل البسملة ما نصه: (حزب الأحدية) لمولانا الشيخ محيي الدين بن علي العربي قدس الله سره ونفع به آمين.

التحقيق

اعتمدت في تحقيق رسالة (حزب الأحدية) على المخطوطة المرقمة (٤١٧) المحفوظة في مكتبة الأسكوريال في إسبانيا، وحصلنا على نسخة مصورة عنها محفوظة في خزانة مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم (١٧/مجاميع).

وصف النسخة:

- عدد الأسطر: ١٧ سطراً.
- عدد كلمات السطر: ١٠ كلمات.
- نوع الخط: نسخ دارج.
- محمد بن علي بن عبد الملك الحنفي مذهباً الأنصاري نسباً.
- تاريخ النسخ: أواخر شهر جمادى الآخرة من شهور سنة ٩٩٩ هجرية.

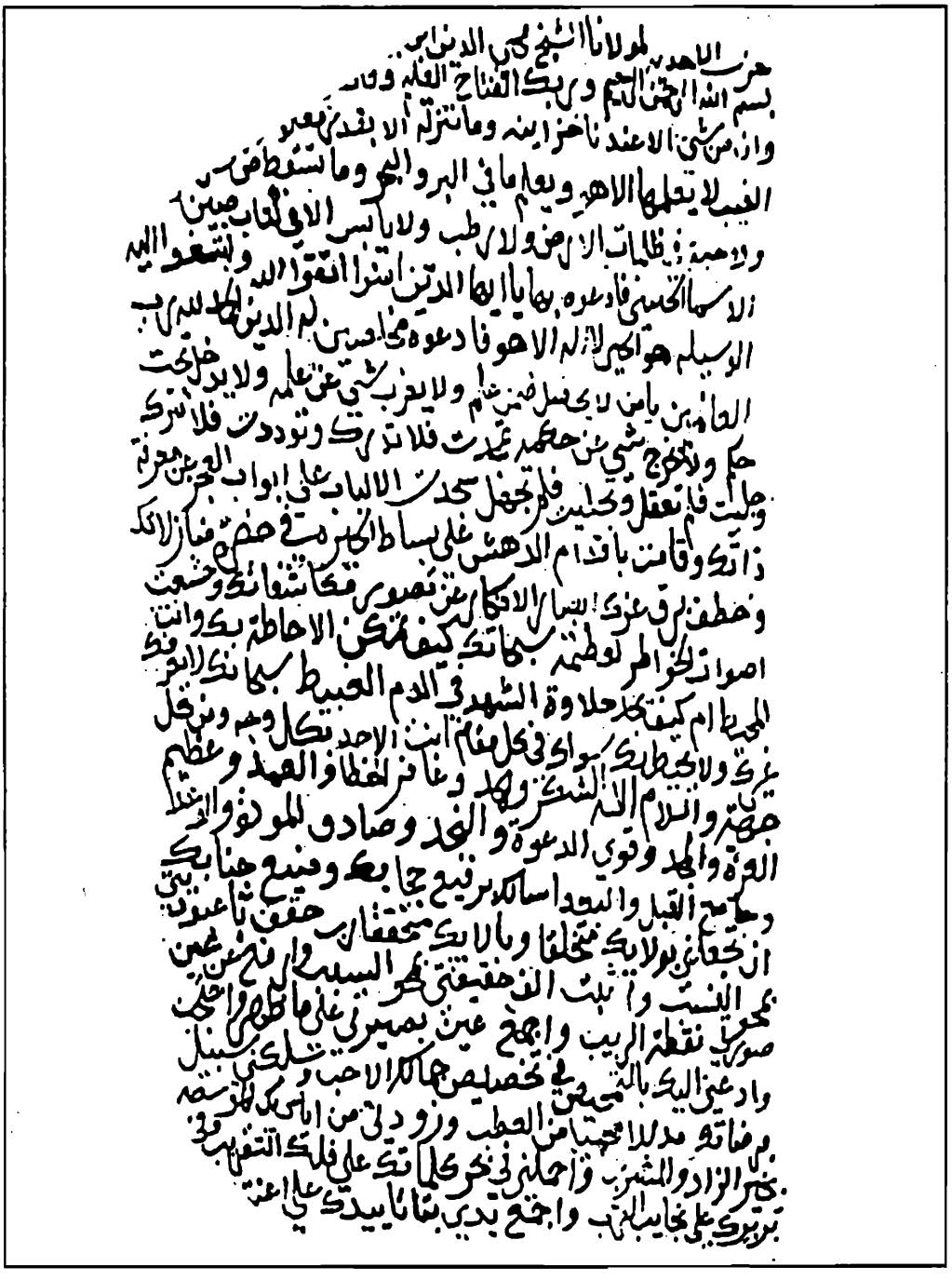

نموذج من رسالة حزب الاحدية

بسم الله الرحمن الرحيم

وربك الفتاح العليم، وقال ربكم: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[2]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[3].

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[5].

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾[6].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[7].

يا من لا يحصل ضمن علم، ولا يغرب شيء من علمه، ولا يدخل تحت حكم، ولا يخرج شيء عن حكمه، تمجّدت فلا تدرك، وتودّدت فلا تترك، وجليت فلم تعقل، وتجليت فلم تجهل، وسجدت الألباب على أبواب العجز عن معرفة ذاتك، وقامت بأقدام الدهش على بساط الحيرة في حضرة منازلاتك، وخطف برق عزتك أبصار الأفكار عن تصور مكاشفاتك، وخشعت أصوات الخواطر لعظمة سبحاتك، كيف تمكن الإحاطة بك وأنت المحيط؟ أم كيف

---

(١) سورة غافر، الآية ٦٠.
(٢) سورة الحجر، الآية ٢١.
(٣) سورة الأنعام، الآية ٥٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٨٠.
(٥) سورة المائدة، الآية ٣٥.
(٦) سورة غافر، الآية ٦٥.
(٧) سورة الفاتحة، الآية ٢.

يجد حلاوة الشهد في الدم العبيط؟ سبحانك لا يعرفك غيرك، ولا يحيط بك سواك، في كل مقام أنت الأحد بكل وجه، ومن كل جهة، والسلام.

إله الشكر والحمد، وغافر الخطأ والعمد، وعظيم العزة والمجد، وقوي الدعوة والنجد، وصادق المودة والوعد، وجامع القبل والبعد، أسألك برفيع حجابك، ومنيع جنابك أن تجعلني بولايتك متخلقاً، وبآلائك متحققاً.

رب حقق باء عبوديتي بمحو النسب، وأثبت ألف حقيقتي بمحو السبب، وارفع عن عين صورتي نقطة الريب، واجمع عين بصيرتي على ما ظهر واحتجب، وادعني إليك بالتمحيص في تلخيص جمالك الأحب، وسلّكني سبيل مرضاتك مدللاً محمياً من العطب، وزوّدني من أياديك الموسعة بخير الزاد والمشرب، واحملني في بحر كلماتك على فلك التقريب، وفي برّ برّك على نجائب القرب، واجمع يدي بتاء تأدييك على أعنة صدق [١] الطلب، وثبت بقولك الحق قدم صدقي في مقعد عنديتك حتى أغلب بأمرك ما أستحق فأغلب، وطيّب رياح مرسلاتي بنشر رحمتك الأطيب، ورافقني بأنعم الرفيق في كل الرتب، وقني بك من وعثاء السفر وسوء المنقلب، ووصلني إليك محفوفاً بالعناية العظمى متحوفاً بأرحب، وأدخلني عليك من باب أمكن أو أوجب، وكن لي سمعاً خبيراً وبصراً منيراً، لأرى آياتك بعين اليقين، وأسمع حديثك بأذن واعية جبيرة من يؤمن باللّه ويؤمن للمؤمنين، وارفع حجاب إنيتي عن وجه وجودك حتى أنظر بك إليك، واستمع بك منك، وأدلّ بك عليك، اللّهم أقمني في حضرات علمك بما تقتضي، وسلكني في عوالم حكمتك بما ترتضي، واعصمني في عوالم القدرة من الالتفاتات، واحفظني في عوالم الحكمة من المخالفات، واجعلني لك عبداً في الاستواءات والوقفات، كي لا أفرح بما هو آتٍ، ولا أحزن على ما فات، وجهت وجه محبتي للذي فطر السماوات الروحانية، والأرض الجثمانية حنيفاً عن عالم الطبيعة، وما أنا من المشركين بتصور ولا بصورة، وأسلمت وجه ذاتي لوجهك المواجه من جميع الجهات، ومن اتبعني من القوى واللواحق والصفات، وأنزل على أرضي من سمائك ماء السكينة، ليطهّر به لباس تقواي، واسقني معينه، وأذهب به عني نجس الشرك كي لا يقرب، فسجد قلبي المعمور، بعد عام عموم تخصيصك لي بالفناء وثبات القدم المنصور، رب اردني إلى ودوديتك فرداً، واجعل لي من كمال رحمانيتك وداً، اجعل تجليك عليك نوراً على نور، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[1]، حبيبي هب لي من لدنك الرحمة، وهب لي الرشد، وأشهدني طالعات الواحد، في خلعات العدد، وفي نشر

(١) سورة النور، الآية ٤٠.

الكثرة بتجريد الأحد، وحقّقني بحقائق الأزل في خلائق الأبد، لأوحّدك بك كما تحب وتحمد، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] دكت الأرض دكا دكاً، فرداً فرداً، وطويت السماء كطي السجل للكتاب، ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[2] غارت عيون الأغيار، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[3] لله الواحد القهار، لا يقصد سواه، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[4] لا يوجد له ضد خفي ولا باين، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[5] وأسأله التحقيق لما يقتضيه مني، والتوفيق لما يرتضيه عني، اللّه هو البرّ الرحيم، المنعم الكريم، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا (محمد) منبع الكمالات، ومظهر الزيادات، ومشرع السيادات، ومورث السعادات، على كل منسوب بجنابه المجيد، بغير نهاية ولا تحديد، وهو المراد والموقف لمن اصطفاه من المؤمنين، وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين.

---

(١) سورة الإخلاص، الآية ١.

(٢) سورة النمل، الآية ٨٨.

(٣) سورة غافر، الآية ١٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ١١٥.

(٥) سورة الحديد، الآية ٣.

كتاب
التنزلات الموصلية

التحقيق

اعتمدت في تحقيق رسالة (التنزلات الموصلية) على المخطوطة المرقمة (٧٠٧١) المحفوظة في مكتبة الأوقاف ببغداد، وهي مجموع في التصوف، تضمنت المخطوطة من رسائل كتابنا ما يلي:

١ ــ رسالة الاستعداد الكلي (كتاب الخلوة).

٢ ــ رسالة التنزلات الموصلية.

٣ ــ رسالة المحبة.

٤ ــ رسالة الخرقة.

كتبت المخطوطة بخط نسخ عادي، عدد أسطر الصفحة: (٢٩) سطراً، في كل سطر (١٤) كلمة تقريباً.

نموذج من رسالة التنزلات الموصلية

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

إذا نزل الروح الأمين على قلبي تضعضع تركيبي، وحنّ إلى الغيب، فأودعني منه علوماً تقدست عن الحدس والتخمين، والظن والريب، وفصلت الإنسان نوعين، إذ رأت يقوم به الصفو النزيه مع الشوب، فنوع يرى الأرزاق من صاحب الغيب، ونوع يرى الأرزاق من صاحب الجيب، فيعبد هذا النوع أسباب ربه، ويعبد هذا خالق المنع(٢) والسبب، فهذا مع العقل المقدس وصفه، وهذا مع النفس الخسيئة بالعيب، لعلك يا وليّ إذا سمعتني أقول: تنزل الروح الأمين على القلب، تنكر وتقول: أوحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم؟ لا تقل أعاذنا الله وإياك من وحي كل شيطان غويّ، إنما هو عبارة في العامة عن اللّمة الملكية، وفي الخاصة هو بالحديث كما ورد في صحيح الحديث، في القديم وفي الحديث، قال خير البشر: (إن في أمتي محدثين وإن منهم عمر)(٣)، وقال أيضاً عليه أفضل الصلاة والسلام: في قلب العبد إنه (يتصرف بين لمّة الملك وبين لمة الشيطان)(٤)، ثم كنى أيضاً عن هذا التصرف، والتقليب بالإصبعين، وأضافها إلى الرحمن(٥)، فما زالت الملائكة تتعاهد القلوب بأسرار الغيوب، وهي التي تأمرك بالطاعة، والتزام السنة والجماعة، حين تأمرك الشياطين بلمّتها في ذلك الأمر بالمخالفة، فإن تسمح لها أمرتك بالتسويف أو الموافقة، وتتنوّع تنزلات الغيوب بتنوع استعداد القلوب، ولا تظن أيها الخليل أني أعني بالروح الأمين (جبريل)، فإن الملائكة كلهم أرواح أمناء على ما أودعها الله سبحانه من أصناف العلوم الموقوفة على

(١) بعد البسملة ما نصه: قال الشيخ رضي الله عنه في كتابه المسمى بالتنزلات الموصلية.

(٢) (المنع): حاشية.

(٣) الفايق في غريب الحديث: ٢٣١/١، تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ١٥٢.

(٤) سنن الترمذي، ٢٨٨/٤.

(٥) إشارة إلى الحديث الشريف: (قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن)، الكافي، ٣٥٣/٢، مسند أحمد، ١٦٨/٢.

التوصيل، تارة بالإجماع، وتارة بالتفصيل، ولا بدّ أن يكون صاحب التنزلات الغيبية عارفاً بالخواطر وأجناسها، وعالماً بالروائح وأنفاسها، فلا يتصور إنكار في ما ذكره بعد ما قرّرناه من اللّمة والحديث إلاّ من معاند خبيث، متعنا الله وإياكم بنتائج الأذكار، وعصمنا وإياكم من أغاليط الأفكار، وقدّس قلوبنا من دنس التعصّب والإنكار، على ما ظهر من المتقين والأبرار، من غوامض العلوم والأسرار.

في سر وضع الشريعة[1]

سبب وضع الشريعة في العالم أمران فيهما سران الأمر الواحد: صلاح العالم، وهو منهج الأنبياء، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[2]، وسرّه أن نصر المؤمنين حق عليه، والأمر الآخر: إثبات ذلة العبودية، وظهور عزة الربوبية، وسرّه حكم سلطان اسمه، فتنبه لما رمزناه، وفكّ المعمّى الذي لغزناه، فهذا سبب وضع الشرع الموافق للعقل والطبع، جعلنا الله وإياكم من العلماء العاملين، وحال بيننا وبين القوم الفاسقين.

في معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه[3]

نزل روح أمين على قلب مكين، وقال: إنما جعل الرسول من الجنس لاستخراج عيب النفس، وأُنزل بلسانهم لارتفاع اللبس، وإن دعا إلى أمر أن يكون من غير الجنس في الحقيقة، فلا بدّ وأن يظهر في صورة الجنس في عالم تمثيل الرقيقة، انظر أيها القلب في إيجاد المسيح لم يصح حتى تمثل في عالم البشرية الروح، فوقع النفخ، وأعقبه السلخ، وقد رمينا بك على الطريق، فادرج عليه إلى عالم التحقيق، وسيقوم معك رسول الخيال إلى المتخيلات، فخذ منه ما أعطاك، وإياك والالتفات، وانهض على طريقتك المثلى، وقل: الرفيق الأعلى، فسيقوم معك رسول العقول، فخذ منه ما يقول، واركض برجلك حيث براق عملك [١ظ] إلى نيل أملك، زكى الله أعمالنا، وبلّغنا وإياكم آمالنا آمين.

---

(١) وقال رضي الله عنه في التنزلات الموصلية.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧٩.

(٣) وقال رضي الله عنه في الكتاب المذكور.

في معرفة مقام الرسالة، ومقام الرسول من حيث هو رسول، ومن أين نودي وأين مقامه، والخلافة والنبوة والولاية والإيمان، والعالم والجاهل، والظان والشاك والمقلدين لهم[1]

نزل الروح على القلب، وقال: الرسالة عرش الرّب، وسماء المربوب، ومقام الرسول بينهما؛ لأنه طالب مطلوب، فلو لم يناد الرسول في مقامه الإلهي لما أجاب، ولو سقى من غير مشربه ما طاب، فإن قيل له في ذلك الخطاب: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[2]، فذلك الرسول وإن زيد عليه، وقاتلهم إن أبوا القبول، فذلك الخليفة الرسول، فله أن يصول.

واعلم أن فلك الولاية هو الفلك المحيط الأعم الأتم الأكمل العقلي، وفلك النبوة هو الفلك الأتم النفسي، وفلك الرسالة هو الفلك القريب المثلث الهيولي، وفلك الجهل هو الفلك الزحلي، وفلك العلم هو الفلك المشتري، وفلك الشك هو الفلك المريخي، وفلك النظر هو الفلك الشمسي، وفلك الظن هو الفلك الزهري، وفلك التقلب هو الفلك العطاردي، وفلك الإيمان هو الفلك القمري. الرسول وُجه على قومه، والنبي تُعبد في نفسه إلى يومه، والولي أيقظه الرسول من نومه، فالرسول هو الإمام، والولي هو المأموم محفوظ غير معصوم، فالرسول من هذا النمط هو المطلوب، ومنه وإليه يكون الهرب المرغوب، فالمؤمن به صدقه وانصرف، والعالم أقام له البرهان، فأقرّ بصدقه واعترف، والجاهل نظر فيه، والخرف والشاك تحيّر فيه وتوقف، والظان تخيل وما عرف، والناظر تطلّع وتشوّف، والمقلد مع كل صنف تصرف، إن مشى متبوعه مشى، وإن وقف وقف؛ حيث ما كان، إما في النجاة وإما في التلف، جعلنا الله وإياكم ممن نظر واستبصر، وعلم فلم يجهل، ولم يتحير آمين.

في تلقي الرسالة وشروطها وأحكامها[3]

نزل الروح الأمين على القلب وقال: يا طالب الرسالة أقصر فإنها موهوبة غير مكسوبة، وطالبة غير مطلوبة، لا تنال بالسعايات، وليس لها بدايات فتوجد عند الغايات، وإن كان من شرطها أن تكون نية صاحبها قريبة من الاعتدال، ولطيفته متوسطة بين الجلال والجمال، وأحكامها ألا يسكن في النور ولا في الظلمة، وليتحرَّ مواضع الضياء والظلال، وليكن فرشه

---

(١) قال رضي الله عنه في الكتاب المشار إليه.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٣) قال رضي الله عنه في التنزلات الموصلية.

الرمال، ووقته الرقيقة التي قبل الزوال، وأن تكون مرآته صافية، ويواجه بها حضرة البلاء والعافية، ومن أحكامها الثبوت عند التلقي، وعدم الالتفات عند الترقي، وأما تلقيها فرقيقة ربانية تمدّ إلى لطيفة روحانية بكلمة غيبية، مدرجة في قوة قلبية تجري في أنبوب تلك الرقيقة، فتستقر في النقطة الدقيقة، فيبثها الرسول في عالم المجاز والحقيقة، على حسب ما تعطيه الطريقة، فالتدلي انبعاثها الرباني، والتلقي اتصالها الروحاني به، علمنا اللّه وإياكم من لدنه علماً، وآتانا رحمة من عنده ومغفرة وعزماً آمين.

في معرفة تلقي الرسالة الثانية الموروثة من النبوة

نزل الروح الأمين على القلب وقال: لتعلم أن الرسالة الثانية موهوبة مكسوبة، وطالبة ومطلوبة، وموروثة غير منفوثة، وباعثة ومبعوثة، وصورة تلقيها حقيقة ربانية تمتد في رقيقة نورانية إلى لطيفة روحانية، فاللطيفة الروحانية رتبة، والحقيقة الربانية مرتبة في واسطة مرآة نبوية، فينعكس شعاعها على قلب الولي، فلهذا يخرج بصورة النبي لا ينسخ شريعة، ولا يثبت أخرى، ولا يسأل على تعليمه أجراً، وإنما صح لنا ورث الكتاب؛ لكون إعطائه إيانا من غير اكتساب؛ وكل وراث مصطفى، وما سواه فهو على شفا، وإنما أُلحق الوارث منا بالنبي السالف، لأنه للإلقاء النبوي ذائق، ولمقامه العلّي كاشف، فهو في قلبه على شريعة من ربّه، وإنما نسب رسول الرسول إليه لاشتراكهما في التكليف الذي أنزل عليه، ولم ينسب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى (جبريل)، لأنه ليس له من رسالة غير التعريف الذي أودع الرحمن لديه، فنسب الرسول إلى اللّه بغير واسطة لعدم هذه الرابطة، فإن كنت من أهل الإشارات فقد منحتك العلم النافع في إيجاز هذه العبارات؛ جعلنا اللّه وإياكم ممن ورث فبعث، ودُعي فانبعث، وإن ترك لم يكترث بمنه آمين.

من التنزلات في معرفة النية والفرق بينهما وبين الإرادة والقصد والهمة والعزم والهاجس[1] [٢و]

أساس وجود الفعل في القلب خمسة: فأولها عند المحقق الهاجس، ومن بعده عين الإرادة قائمة، وهمّ وعزم صادفته، ومن بعد هذا نية مستقيمة، تباشر فعل الشخص والقلب سائس، وقد قيل أيضاً النص المحقق، فإن صح هذا القول فالقصد سادس، ومن قال: إن

(١) قال الشيخ رضي اللّه عنه في تنزلاته.

القصد معناه نية فحسب، فإن القصد المقوّم خامس، نزل الروح على القلب وقال: أيها العقل الأقدس اعلم أن اللّه تعالى إذا أراد إيجاد فعل ما بمقارنة حركة شخص ما بعث إليه رسوله المعصوم، وهو الخاطر الإلهي المعلوم، ولقربه من حضرة الاصطفاء، هو في غاية الخفاء، فلا يشعر بنزوله في القلب إلاّ أهل الحضور والمراقبة في مرآة الصدق والصفاء، فينقر في القلب نقرة خفية لتزول نكتة غيبية، فمن حكم به فقد أصاب في كل ما يفعله، وتحجج في كل ما يعلمه، وذلك هو السبب الأول عند الشخص الذي يعوّل، وهو نقر الخاطر عند أرباب الخواطر، وهو الهاجس عند من هو للقلب سائس، فإن رجع إليه مرة أخرى فهو الإرادة، وقد قامت تصاحبه العادة، فإن قام ثالثة فهو الهمّ، ولا يعود إلاّ لأمر مهم، فإن عاد رابعة فهو العزم، ولا يعود إلاّ لنفوذ الأمر الجزم، فإن عاد خامسة فهو النية، وهو الذي باشر الفعل هذه النية، وبين التوجه إلى الفعل وبين [أن] يظهر القصد، وهو صفة مقدسة يتصف بها الرّب والعبد.

في معرفة أسرار التكبير[1]

قال الروح في تنزله: اعلم أن الجمع في حضرتين، كما بيّنا من قبل أن الوجود كله بني على اثنتين: فاللّه وأعني به الاسم حضرة جامعة لجميع الأسماء الحسنى، والذات التي لها الألوهية حضرة جامعة لجميع الصفات الذاتية القدسية، والصفات الفاعلية في العالم الأبعد والأدنى، والأرفع والأدنى، فإذا كنت في حالة من الأحوال، أحوال الأرض وأحوال السماء، فلا تشك أنك تحت قهر اسم من الأسماء سواء عرفت ذلك أو لم تعرف، أو وقفت في مشاهدته أو لم تقف، فإن ذلك الاسم الذي يحرّكك أو يسكّنك، أو يلوّنك أو يمكّنك، يقول لك: إنه إلهك ويصدق في قوله، فيجب عليك أن تقول: اللّه أكبر، وأنت يا اسم سبب فعله، فلك الرفعة السيئة، وللّه الرفعة الإلهية، ويصح (أفعل) على طريق المفاضلة، فإنها من حضرة المماثلة، قال اللّه تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2]، وكذلك له الصفات العلى، فإن اللّه هو الرحمن الرحيم إلى ما يعلم منها وما لا يعلم، وما يفهم منها صفاته وما لا يفهم، وعلى هذا يصحّ «اللّه أكبر»، وبه ثبتت المعارف الإلهية وتقررت.

واعلم قطعاً أن الذات لا يتجلى إليك أبداً من حيث هيأة، وإنما يتجلى إليك من حيث صفة ما متعلّية، وكذلك اسم اللّه لا يُعرف أبداً معناه، ولا يسكن وقتاً ما في معناه، وبهذا السر

(١) قال الشيخ رضي اللّه عنه في التنزلات.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١١٠.

تميز الإله من المألوه، والرّب من المربوب، ولو لم يكن ذلك كذلك، لالتحق المهلك بالهالك، فقد بانت الرتب، وعُرفت النِّسب، وثبتت حقيقة السبب، جعلنا اللّه وإياكم ممن شاهد فخرّ من الكبر، فتجلى له ما هو أكبر منه، لا ربّ غيره، وما أشقى إلاّ على العمر ينقضي، وليس لنا في الاجتماع نصيب، انتهى.

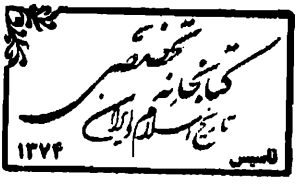

في[1] إسرائه مع المخاطبة بآدم عليه السلام

قلت له: يا أبت إني أريد أن تخبرني بما عُلِّمت من الأسماء، وهل كانت لك خلافة في السماء؟ فقال: يا بُني إن القدم الواحدة مخصوصة بالسماء، والخلافة ذات قدمين، فلا يصح فيه وجود الخلفاء، وما سألت عنه من مقام الأسماء، فإن اللّه عرض عليَّ الحقائق قبل تأليفها، وعرَّفني بأسمائها وأسماء من يتألف منها، وأعلمني بكيفية تركيبها وتصريفها، ثم عرض على الملائكة تلك الحقائق وأخفى عنهم ما أشهدني من الرقائق لما تقدم منهم في حقي من التحريج، كما رأيته في البناء الصحيح فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[2]، وأشار إليهم لكونهم حاضرين، ولو أراد الأسماء خاصة لقال: عرضها، وفي قوله: عرضهم، حجة واضحة عرفها من فرضها، فعرفت الملائكة أسماء الحقائق في حال افتراقها، حين اختصصت أنا بمعرفة أسماء تركيبات حقائقها: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[3]، قال اللّه جلّ ثناؤه: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾[4]، فألفتُ الحقائق بطريق ما، وقلت [٢ظ]: هذا قدس بطريق آخر، وقلت: هذا إنسان، فلما أنبأتهم بأسمائهم، فظهرت حجة اللّه على خلقه، وقام بهم برهان حقه فبمثل هذه الأسماء اختصصتُ، وهي التي على الملائكة نصصتُ، وإلاّ فليست في الأسماء عند وجود الأعيان معرفة غامضة عند الأرواح أنها على مجرد الاصطلاح، ولهذا اختلفت عوالم العبارات عنها عند شهودها، ولم تختلف المعاني التي بها قوام وجودها، فالنفس تعقل معانيها، وإن اختلفت أساميها في مبانيها. فقلت:

---

(١) قال رضي اللّه عنه في التنزلات.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٢.

(٤) سورة البقرة، الآية ٣٣.

هذه الأسماء الكيانية، فهل اختصصت أيضاً بالأسماء الإلهية؟ فقال: عليها فُطِرت الصورة الإنسانية، انظرها فهي مصرَّفَتُك، وتحقَّقها فهي معرفتك، بمعرفتها تفاضل أشخاص هذا الجنس، وبمشاهدتها تقدس العقل، وتزكت النفس، فقلت له: كذلك وجدتها، ولهذا عبدتُها، واللّه أعلم.

في بيان الصلاة الوسطى، أي صلاة هي ولماذا سميت بالوسطى[1]؟

إن الوسطى من الوسط والفضيلة، فمن جعلها من الوسط فهي المغرب لما جاء في الخبر: إن أول صلاة صلاها (جبرائيل) بالنبي عليهما السلام صلاة الظهر، وقد ثبت ذلك وظهر، فمن جعلها من الفضل فيكون العصر، لاقتران فواتها بمصيبة الأهل والمال وتغير الأحوال، وقد جاء الخبر الحق في يوم الخندق: إنه عليه الصلاة والسلام أبدل العصر من الوسطى، بدل الشيء من الشيء، ومن العين الواحدة، وهي المختارة المثلى، وقد أثبتتها (عائشة) أم المؤمنين رضي اللّه عنها في مصحفها بواو التأكيد، وهذا في المسألة من أعظم التأييد، ومن خالف ما ذكرناه من العلماء الآراء والرواية، فروايات واهية، وآراء ما عليها من طلاوة رونق، فسلطان هذا الحكم من معارف الرسم، وعلوم الوسم، فنرجع فيها إلى محكم يعلم الكشف المحقق بالنور المطلق، فأقول:

شاهد عين السرّ في حضرة الوتر
إن الصلاة هي صلاة العصر

إلى آخر ما ذكره.

وفي معنى قوله: والذين هم على صلاتهم دائمون[2]

من عرف سرّ وضع الصلوات لم يزل في عموم الحالات على تنوع التصرفات، فلا يبرح على صلاته دائماً، ولسرّها حاكماً، ولا يقنع بالاقتصار على محافظة الأوقات؛ فإنه لأهل الأشغال والغفلات، ولا شغل للعارفين إلاّ بربهم، ولا مراقبة لهم في شيء إلاّ في قلبهم، فإنه الذي وسعه وناداه فسمعه، فهو في كل الأحيان يشاهده، وسرّه مع الأنفاس عابده، فقابل الدوام بالدوام، وزاد على التعيين عند أصحاب الليالي والأيام، فجواد صمته في ميدان الديمومية سانح، ونور سرّها في بحرها المتلاطم سابح، وإن كانت الصورة في مرتبتين محققتين: مرتبة عميمة،

---

(١) قال رضي اللّه عنه في أواخر كتاب التنزلات من المعارف الرسمية، والعلوم الوسمية.

(٢) قال رضي اللّه عنه في تنزلاته.

ومرتبة مخصوصة، وأسرارهما عند المحققين الذين على بينة من ربهم منصوصة، والدوام إنما يقع في المرتبة العامة، وهي المناجاة، وأما المرتبة المخصوصة فلا يتمكن فيه الدوام لاختلاف المقامات، بتنوع التنزلات لتنوع الحالات، فمن وقف على سرّ الحضور لم يقتصر على بعض الأمور، وفيه يصح الدوام عند علماء الإلهام، فقد تبيّنت الرتب، وتحققت النسب، جعلنا اللّه وإياكم ممن داوم على صلاته في الحكمين ففاز بالعلمين، آمين.

رسالة المحبة

التحقيق

اعتمدت في تحقيق رسالة (المحبة) على المخطوطة المرقمة (٧٠٧١) المحفوظة في مكتبة الأوقاف ببغداد، وهي مجموع في التصوف، تضمنت المخطوطة من رسائل كتابنا ما يلي:

١ ــ رسالة الاستعداد الكلي (كتاب الخلوة).

٢ ــ رسالة التنزلات الموصلية.

٣ ــ رسالة المحبة.

٤ ــ رسالة الخرقة.

كتبت المخطوطة بخط نسخ عادي، عدد أسطر الصفحة: (٢٩) سطراً، في كل سطر (١٤) كلمة تقريباً.

رسالة المحبة لابن العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ان للمحبة اربعة القاب منها الحب وهو حلوصه الى القلب وصفاؤه من كدورات

فلا غرض ولا ارادة مع محبوبه والقلب الثاني الود ولهذا سمي ودودا وهو الوزوه

والود من تعوته وهو الثبات فيه وسمي الودود الشيوخ في الارض والقلب الثالث العشق

وهو افراط المحبة وكنى عنه بشدة الحب في القرآن العظيم في قوله تعالى والذين امنوا اشد حبا

لله وهو قوله قد شغفها حبا اي صار حبها يوسف عليه الصلاة والسلام على قلبها كالشغاف

وهو الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب فهو ظرف له فتحيط به وقد وصف الحق تعالى شدة

الحب غيرة لا يطلق اسم العشق والعاشق عليه تعالى والقلب الرابع الهوى وهو استفراغ

منه الارادة في المحبوب والاستيلاء فيما يحصل في القلب ليس لله تعالى اسم وقلنا فيه

علقت من اهوى بعشرين منحه ... فلم ادر من اهوى ولم اعرف الصبر

ولا نظرت عيني الى حسن وجهها ... ولا سمعت اذناي قط لها ذكرا

الا ان قرب الدار خير من النوى ... فنحن نهوى ما وعدنا في دهرنا

وقلنا فيه ايضا

علقت من اهوى بعشرين منحة ... ولم ادر من هذا الذي قال لا ادري

وقد حارت الحيران في وفي امري ... وقد حارت الحيران في وفي امري

ارحم عن حب يعاقبني به ... ولم ادر من هذا الذي عنه صدني

كمثل نجاح الليل اسفر عن الضحى ... بغير عين القلب لم تهتد لي الصدا

فليتني اراني على ليلة القدر

والمتاخرون من اصحابنا اخذوا بالحد الذي نال للتيقظ وذلك

لما خاف من عدم الانتباه بحر وانا له ولوازمه ولا سيما وقد اتصف به الجناب العزيز

وهو الله عز وجل واحسن فيه بمعرفة ما حد شاعر ولقد عنى ابو العباس بن

الصفا حي رحمه الله تعالى قالوا استفتاه يقول وقد سئل عن المحبة فقال الغيرة

من صفات المحبة والعين تالي الا الستر فلا اتحد والمطف يحالي الحب وجد تر وهو

ان يجد عشقا مبرحا وهوى وشوقا مقلقا وغراما وتحولا وامتناع نوم وملالة

الطعام ولا تدري قيمن ولا يمن ولا يتغير لك محبوب وهذا الطف ما وجدت

وقد عاتم بعد ذلك الاضافة اما بعد ذلك فحجاب في كشف فيتعلق ذلك الحب بما

يخصا يتعلق ذلك الوجد بحدة برعد رويته فتعلم ان ذلك كان محمد

نموذج من رسالة المحبة

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن للمحبة أربعة ألقاب:

منها الحبّ: وهو خلوصه إلى القلب وتنقيته[1] عن كدورات العوارض، فلا غرض له ولا إرادة مع محبوبه.

واللقب الثاني: الودّ، وله اسم إلهي، وهو الودود، والودّ من نعوته، وهو الثبات فيه، وسمّي الودود لثبوته في الأرض.

واللقب الثالث: العشق، وهو إفراط المحبة، وكنّى به بشدة الحبّ في القرآن العظيم في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾[2]، وقوله: ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبّٗاۖ﴾[3]، أي صار حبّها ليوسف عليه الصلاة والسلام على قلبها كالشغاف، وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب، فهي ظرف له، فتحيط به، وقد وصف الحق نفسه بشدة الحب، غير أنه لا يُطلق اسم العشق والعاشق عليه تعالى.

واللقب الرابع: الهوى، وهو استفراغ الإرادة في المحبوب، والتعلّق به في أوّل ما يحصل في القلب، وليس للّه تعالى منه[4] اسم، وقلنا فيه:

علقتُ بمن أهواه عشرين حجة
فلم أدر من أهوى ولم أعرف الصبرا

---

(١) في نسخة أخرى (صفاؤه).
(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٥.
(٣) سورة يوسف، الآية ٣٠.
(٤) (منه): حاشية.

ولا نظرت عيني إلى حسن وجهها
ولا سمعت أذناي قط لها ذكرا
إلى أن تراءى البرق من جانب الحمى
فنعّمني يوماً وعذّبني دهرا

وقلنا فيه أيضاً:

علقتُ بمن أهواه من حيث لا أدري ... ولم أدر مَنْ هذا الذي قال: لا أدري
قد حلت في حالي وحالت خواطري ... وقد حارت الحيرات فيَّ وفي أمري
فبينا أنا من بعد عشرين حجة ... أترجم عن حبّ يعانقه سبّي
فلم أدر من أهوى ولا أعرف اسمه ... ولم أدر من هذا الذي ضمّه صدري
إلى أن بدا لي وجهها من نقابها ... كمثل سحاب الليل أسفر عن بدر
فقلت لهم: من هذه؟ قيل: هذه ... بنيّة عين القلب بنت أخي الصدر
فكبّرتُ إجلالاً لها ولأصلها ... فليلي بها أربى على ليلة القدر

واختلف الناس في حدّه، فما رأيت أحداً حدّه بالحدّ الذاتي، بل لا يتصور ذلك، فما حدّه من حدّه إلاّ بنتائجه وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد اتصف به الجذاب العزيز، وهو اللّه عزّ وجل، وأحسن ما سمعتُ فيه ما حدثنا غير واحد عن أبي العباس بن الصنهاجي رحمه اللّه تعالى، قالوا سمعناه يقول وقد سُئل عن المحبة فقال: الغيرة من صفات المحبة، والغيرة تأبى إلاّ الستر، فلا تحدّ.

وألطف ما في الحب وجدته، وهو أن تجد عشقاً مفرطاً، وهوى وشوقاً مقلقاً وغراماً ونحولاً، وامتناع نوم، ولذة طعام، ولا تدري فيمن، ولا بمن؟ ولا يتعين لك محبوبك، وهذا ألطف ما وجدته ذوقاً، ثم بعد ذلك بالاتفاق، أما يبدو لك تجلٍ في كشف فيتعلق الحبّ به، أو ترى شخصاً فيتعلق ذلك الوجد تجده به عند رؤيته، فتعلم أن ذلك كان محبوبك [١ظ] وأنت لا تشعر، أو يُذكر الشخص فتجد الميل إليه بذلك الهوى، فتعلم أنه صاحبك، وهذا من أخفى دقائق استشراف النفوس على الأشياء من خلف حجاب الغير، فيجهل حالها، ولا تدري بمن هامت، ولا فيمن هامت وما هيَّمها؟ وتجد الناس في ذلك القبض والبسط الذي لا يعرف له سبب، فعند ذلك إما يأتيه ما يحزنه، فيعرف أن ذلك القبض كان لذلك الأمر، أو يأتيه ما يسرّه فيعرف أن ذلك البسط كان لهذا الأمر، وذلك لاستشراف النفوس على الأمور من قبل تكوينها في تعلق الحواس الظاهرة، وهي مقدمات التكوين، وينسبه ذلك أخذ الميثاق على

الذرية بأنه ربنا[1]، فلم يقدر أحد على إنكاره بعد ذلك، فيجد في فطرة كل إنسان افتقاراً لموجود يستند إليه، وهو اللّه تعالى، ولا يشعر به بعد ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]، يقول له: ذلك الافتقار الذي تجدونه في أنفسكم متعلقه اللّه لا غيره، ولكن لا تعرفونه، فعرّفنا به الحق، ولما ذقنا هذا المقام قلنا فيه:

علقت بمن أهواه عشرين حجة

بالتمام إلى آخره، واللّه أعلم.

تمّ في مكة.

---

(١) إشارة إلى الآية ١٧٢ من سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾.

(٢) سورة فاطر، الآية ١٥.

رسالة المرائي
المسماة بالمبشرات

التحقيق

اعتمدتُ في تحقيق رسالة (المرائي) على المخطوطة المرقمة (١٧/مجاميع) المحفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، وهذه النسخة مصورة عن نسخة المكتبة الوطنية بتونس، تمَّ تصويرها سنة ١٩٦٦، تقع الرسالة في (٩) ورقات، أفرد الناسخ ورقة منفصلة لعنوان الرسالة.

وصف النسخة:

- قياس الصفحة: ١٥ × ٢٥ سم.
- عدد الأسطر: ١٨ سطراً.
- عدد الكلمات: ١٦ ـ ١٨ كلمة تقريباً.
- نوع الخط: خط نسخ دارج.
- اسم الناسخ: تخلو المخطوطة من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على سيدنا

محمد فان الله تعالى جعل الرؤيا وحيا من انبائه والمنامين من جملة

جزء من اجزاء النبوة كما ذكر ذلك من حديث مسنده من رواية ابي هريرة رضي الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهبت الرسالة والنبوة فلا رسول بعدي

ولا نبي قال فشق ذلك على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المبشرات

قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال رؤيا المسلم يراها الرجل او ترى له وهي جزء من

اجزاء النبوة قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وذكره مسلم في مسنده الصحيح

من حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان اول ما بدء به رسول الله صلى الله عليه

وسلم من الوحي الرؤيا كان لا يرى رؤيا الا خرجت مثل فلق الصبح وقال الله تعالى

اخبارا عن يوسف عليه السلام اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي

ساجدين فلما اخبر اخوته وابواه بين يديه سجدا قال عليه السلام هذا تأويل

رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقال تعالى اخبارا عن ابراهيم مع ابنه اسمعيل

عليهما السلام يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى عليه السلام ان يذبح

ابنه كما رآه في المنام فاماه الله تعالى قد صدقت الرؤيا وقال تعالى واوحينا الى ام موسى

ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم الغصة قيل ان هذا الوحي كانت رؤيا

في المنام ولقد عزمت ان اذكر في هذا الجزء ما رأيته في المنام مما تعود منه منفعة

على الغير

نموذج من رسالة المرائي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، أما بعد؛

فإن الله تعالى جعل الرؤيا وحيه إلى أوليائه والمسلمين من عباده، وجعلها جزءاً من أجزاء النبوة، كما ذكر الترمذي في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه[1] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي، قال: ففزع الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكن المبشرات، قالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال: رؤيا المسلم يراها الرجل أو ترى له، وجزء من أجزاء النبوة)[2]، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وذكره مسلم في مسنده الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا، فكان لا يرى رؤيا إلاّ خرجت مثل فلق الصبح، وقال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[3]، فلمّا خرّ أخوته وأبواه بين يديه سُجداً، قال عليه السلام: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[4]، وقال تعالى إخباراً عن إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ﴾[5]، فلما أراد عليه السلام أن يذبح ابنه كما رآه في المنام، ناداه الله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ

(١) سنن الترمذي، ٣٦٣/٣.
(٢) فتح الباري، ٣٣٢/١٢، الجامع الصغير، ٣٠٦.
(٣) سورة يوسف، الآية ٤.
(٤) سورة يوسف، الآية ١٠٠.
(٥) سورة الصافات، الآية ١٠٢.
(٦) سورة الصافات، الآيتان ١٠٤، ١٠٥.

فِي ٱلْيَمِّ﴾[1]، القصة، قيل: إن هذا الوحي كانت رؤيا رأتها في المنام. وإني عزمت أن أذكر في هذا الجزء ما رأيته في المنام مما تعود منه منفعة [١ظ] على الغير، وتُعين على أسباب الخير، وما يختص بذاتي فلا أحتاج إلى ذكره.

واعلم أن الرؤيا على ثلاثة أقسام: رؤيا من اللّه، وهي المبشرات.

ورؤيا من النفس، وهي التي يحدِّث بها الرجل نفسه في اليقظة.

ورؤيا من الشيطان، وهي المفزعة، يحزنك بها الشيطان.

فمن رأى رؤيا تحزنه، فليستعذ باللّه من شرّ ما رأى، وليتفل عن يساره ثلاثاً، فإنها لا تضره، ولا يتحدث بها، هكذا رويناه عن النبي صلى اللّه عليه وسلم، وروينا عنه عليه السلام أنه قال في الرؤيا: (إنها معلقة على رجل طائر فإذا قيلت سقطت لما قيلت له)[2].

واعلم أن رؤية اللّه في النوم، ورؤية الملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء على نوعين: يُرون على صورة حسنة كاملة بتفاضل الكمال والحسن في بابه، ويُرون على صورة قبيحة ناقصة على مراتب القبح والنقص، وهذا الإدراك لهذه الصورة لأمرين: فالحسن منها لتعظيم الدين والحق وكماله، والقبح منها لإظهار الباطل والشرّ، وما لا يرضي اللّه، وذلك يرجع إلى موطنين: إما إلى حال الرائي في نفسه، وإما إلى الموضع الذي رأى فيه الرسول أو الحق أو الفاضل العالم، فإن الدين والحق في ذلك الموضع على وفق الصورة التي رأيتها في النوم من القبح والحسن، كما أخبرني رجل من الصالحين بمجلس الإمام العالم الزاهد محمد بن العاص الباجي، قال: إن رجلاً من أصحابنا رأى النبي صلى اللّه عليه وسلم في النوم فلطمه هذا الرائي في حرّ وجهه حتى أثّر كفه في وجه النبي صلى اللّه عليه وسلم، فاستيقظ الرجل فازعاً، فقصَّها على بعض شيوخنا، فقال له: إنك مع امرأتك في حرام، فطلب الرائي في نفسه، فإذا به قد حلف بطلاق امرأته، وحنث ولم يطلق وبقي معها، ومثل ذلك ما اتفق لرجل من الصالحين [٢و] رأى فقهاء ذلك البلد الذي كان فيه قد اجتمعوا ودفنوا النبي صلى اللّه عليه وسلم وقد مات بينهم، فاستيقظ الرجل، فسأل فوجدهم في مسألة من الحج قد أبينت لهم الأحاديث الصحيحة التي لا مطعن فيها، فأبوا قبولها، وحكموا في المسألة بالرأي، وقالوا مذاهب قد استقرت، يريد هذا المنازع أن يردّها بهذه الأحاديث، وتعصبوا عليه، فنعوذ باللّه من الخذلان.

---

(١) سورة القصص، الآية ٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ١٠/٤ ـ ١٣، سنن الدارمي، ١٢٦/٢.

ولقد رأيت النبي صلى اللّه عليه وسلم في المنام ميتاً، وقد دفن في موضع من المسجد بإشبيلية، فسألت عن ذلك الموضع فإذا به مغصوب أخذ من صاحبه، ولم يعط حقه، فلمثل هذا ترجع أحوال من ذكرنا في الرؤيا، لا في ذواتهم، فأنا أحبّ أن لا أذكر مما رأيته في المنام إلاّ ما يثبت حكماً، أو يفيد علماً، أو يحرض على طاعة.

فمن ذلك مبشّرة تحرّض على التمسّك بحديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم:

رأيت النبي صلى اللّه عليه وسلم في المنام وأنا بمكة، وكان إبراهيم بن همام الإشبيلي قد اعتنى بضبط الحديث، والعمل به وعليه، وقام هؤلاء الفقهاء الذين دفنوا النبي صلى اللّه عليه وسلم كما ذكرنا، فرأيت النبي صلى اللّه عليه وسلم يقبّل إبراهيم بن همام ويضمّه إليه ضم مودة، ويعرّفه أنه يحبه.

مبشرة أخرى في معناها: رأيت في النوم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يعانق الإمام المحدث علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي، صاحب المحلّى، وكان إماماً في الحديث عالماً به عاملاً، وقد غشي النور ذات رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وذات ابن حزم، وقد انضما حتى وكأنهما بجسد واحد، فهذا من بركة الحديث.

مبشّرة أخرى في معناها: كان جملة أصحابنا قبل أن أعرف العلم قد رغبوا وقصدوني يحرضونني على قراءة كتب الرأي، وأنا لا علم لي بذلك، ولا بالحديث، فرأيت نفسي في المنام وكأني في فضاء واسع وجماعة بأيديهم السلاح يريدون [٢ظ] قتلي، ولا ملجأ معي آوي إليه، فرأيت أمامي ربوة ورسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقف عليها، فلجأت إليه، فألقى ذراعه عليّ وضمني ضماً عظيماً، وقال لي: يا حبيبي استمسك بي لتسلم، فنظرت إلى هؤلاء الأعداء فلم أر على وجه الأرض أحداً، فمن ذلك الوقت اشتغلت بتقييد الحديث.

مبشّرة أخرى في معناها: رأيت مالكاً رضي اللّه عنه إمام دار الهجرة في المنام وعليه ثوب أبيض يجر منه في الأرض اثنا عشر ذراعاً، وهو على باب يقال له باب الفتح، فقلت له: يا مالك ما أقرأ؟ فقال: تحب أن تقرأ كتب الرأي، ـ فكنت أرى شخصاً كان يشتغل بكتب الرأي وهو ينظر في مزبلة معرضاً عن مالك مقبلاً على المزبلة ـ فقلت: يا مالك أخاف أن تقودني كتب الرأي إلى ما قادت هذا الشخص، فتبسم مالك رضي اللّه عنه، وقال: صدقت عليك يا بني بتقييد الحديث، والعمل به.

ومن شرف علم الحديث ما حدثنا به العالم أحمد بن داود بن علي بن ثابت ابن منصور الحريري الحلفاوي رحمه اللّه بمدينة تونس بدار الشيخ الصالح العارف عبد العزيز بن

أبي بكر القرشي المهدوي، قال أبو العباس أحمد بن داود كان لي اعتقاد كبير في الإمام أبي حنيفة لحسن رأيه، وجودة ذهنه، وكنت أميل إليه من دون الأئمة، فرأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في النوم، فلم يكلمني، وهبتُ أن أسأله، وكان أبو بكر خلفه، فقلت: يا أبا بكر كيف مراتب الأئمة عندكم؟ فقال: اللاحق بنا أحمد بن حنبل، ثم الشافعي، ثم مالك ثم أبو حنيفة، قال أبو العباس: فتعجبت وعلمت أن النجاة في متابعة الحديث، ولقد أخبرت بهذه الحكاية القاضي عبد الوهاب الأزدي الإسكندراني بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة، فقال: هو الصحيح، وأنا أخبرك بما يقوّي ما رآه أبو العباس، فقلت له: أخبرني ـ ونحن تجاه الركن اليماني عند باب الحزورة ـ فقال: كان [٣و] عندنا رجل صالح فيه خير، وله سمت حسن، فمات فرآه بعض الصالحين من أصحابنا في المنام، فقال له الرائي: يا فلان كيف تكون الأرض إذا جاءك الملكان؟ فقال: إنها تصير كالماء، كلما اخترقت فيها لم تمتنع عليك كما تخترق الماء[1]، قال الرائي: سواء، فقلت له: ما رأيت؟ قال: رأيت كتباً مرفوعة، وكتباً في الأرض موضوعة، فسألت عنها، فقيل لي: أما المرفوعة فكتب الحديث، وأما الموضوعة فكتب الرأي، حتى يسأل عنها أصحابها.

مبشرة في معرفة المسجد الحرام: رأيت وأنا بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة في النوم أبا بكر الصديق رضي اللّه عنه، فسألته: أين حدّ المسجد الحرام الذي تكون الصلاة فيه بمائة ألف، هل هو الحرم كلّه؟ أو هل هو المسجد المعروف وحده؟ فقال: لا أقول هو الحرم كلّه، ولا أقول هو المسجد وحده، ولكني أقول كل موضع في الحرم تقع الصلاة فيه فهو مسجد، وهو في الحرم فهو من المسجد الحرام، والصلاة فيه بمائة ألف، هكذا هو عندنا، ثم استيقظت.

مبشرة تحرّض على الأمر بالمعروف: رأيت وأنا بحرم مكة في المنام كأن القيامة قد قامت، وكأني أقف بين يدي ربي مطرقاً خائفاً من عقابه إياي من أجل تفريطي، فكان يقول لي جلّ جلاله: يا عبدي لا تخف، فإني لا أطلب منك عملاً إلاّ أن تنصح عبادي، فانصح عبادي، وكنتُ أرشد الناس إلى الطريق القويم، فلما رأيت الداخل إلى طريق اللّه عزيزاً تكاسلتُ، وعزمت تلك الليلة أن اشتغل بنفسي وأترك الخلق، وما هم عليه، فرأيت هذه الرؤيا، فأصبحت وقعدت للناس أبين لهم الطريق الواضح، والآفات القاطعة لكل صنف عنه من الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام، فكلهم قام عليّ، وسعى في هلاكي، فنصر اللّه عليهم وعصم فضلاً

(١) (كما تخترق الماء): حاشية.

منه ورحمة، قال عليه الصلاة والسلام: (الدين النصيحة للّه ولرسوله ولأئمة [٣ظ] المسلمين وعامتهم)[١] ذكره في صحيح مسلم.

مبشرة تحرّض على الإيمان: أخبرني كمال الدين أبو عمرو وعثمان بن أبي عمرو الأبهري الشافعي من أولاد البراء بن عازب بالمسجد الأقصى، قال: رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في المنام وهو يقول: لكل نبي آل وعدة، وآلي وعدتي المؤمن، فما زال يكرّرها مراراً، وأخبرني أيضاً قال: رأيت النبي صلى اللّه عليه وسلم وهو يقول: الأنبياء يأمرون أمتهم بأن لا يعبدوا الأصنام، وأنا أمرت أمتي بأن لا يعبدوا الأوثان.

مبشرة تحرض على حفظ القرآن: رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت وقد ماج الناس، فسمعت قراءة القرآن في عليين، فقلت: من هؤلاء الذين يقرؤون القرآن في هذا الوقت ولا خوف عليهم؟ فقيل لي: هم حملة القرآن، فقلت: وأنا منهم، فأدلى لي السلم فرقيت إلى غرفة في عليين فيها الكبار والصغار يقرؤون على رسول اللّه إبراهيم الخليل عليه السلام، فقعدت بين يديه، وافتتحت أقرأ القرآن آمناً لا أعرف خوفاً ولا هولاً ولا حساباً، ولا أدري ما هم الناس فيه من الكرب في الحشر، قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: (أهل القرآن هم أهل اللّه وخاصته)[٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[٣].

مبشرة ترغّب في قيام الليل: رأيتُ كأني بمكة، وكأني مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في دار واحدة، وبيني وبينه وصلة عظيمة، حتى كأني هو، وكأنه أنا، وكنت أرى له ابناً صغيراً وكان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الرجل ليراه أخرج معه ذلك الصغير ليتبرك به الناس ويعرفوه، وكأن لذلك الصغير عند اللّه قدراً عظيماً، فبينا نحن قعود وإذا بقارع يقرع الباب، فخرج إليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم والصغير معه، ثم رجع إليّ وقال لي: إن اللّه أمرني أن [٤و] أمشي إلى المدينة وأصلي المغرب بشرقيها، ثم خرج وأنا لا أفتقده، وعيني لا تزال عليه، وكأني ذاته، فلا أنا هو، ولا أنا غيره، فبينا هو بين مكة والمدينة إذ رأى خيراً عظيماً ينزل فقال: يا جبريل ما هذا الخير العظيم الذي لم أرَ مثله؟ فقال: نزل من الفردوس الأعلى

---

(١) (الدين النصيحة للّه ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم) صحيح البخاري، ٢٠/١، صحيح ابن حبان، ٤٣٥/١٠ ـ ٤٣٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ١٢٧/٣.

(٣) سورة سبأ، الآية ٣٧.

على المتهجدين، وأنّى يكون لك أن تكون منهم، ثم أخذ جبريل يثني على المتهجدين على اللّه تعالى بثناء ما سمعت مثله، وكان عليه الصلاة والسلام واللّه من أعلاهم وأفضلهم، فعلمت أن ذلك في حقي، وقوله: أنّى يكون لك أن تكون منهم خطاب يرجع إليّ واستيقظت.

مبشرة على الرغبة في دعاء الصالحين رضي اللّه عنهم: دخلتُ ـ بإشبيلية ـ على الشيخ الورع الصالح أبي عمران موسى بن عمران المارتلي، فأخبرته بأمر سُرّ به واستبشر، فقال لي: بشرك [اللّه] بالجنة كما بشرتني، فلم تمض عليه أيام حتى رأيت بعض أصحابنا في المنام ممن كان قد مات، فقلت له: كيف حالك؟ فذكر خيراً في كلام طويل، وقصة طويلة، ثم قال لي: وقد بشّرني اللّه بأنك صاحبي في الجنة، فقلت له: هذا في المنام، فهات الدليل على قولك، فقال: نعم إذا كان في غدٍ عند صلاة الظهر يطلبك السلطان ليحبسك، فانظر لنفسك، فلمّا أصبح وما من أمر يوجب عندي ذلك، فلما صليت الظهر، وإذا بالطلب من السلطان، فقلت: صدقت الرؤيا، فاختفيت خمسة عشر يوماً حتى ارتفع ذلك الطلب، وهذا من بركة دعاء الصالحين.

مبشرة: رأيت في المنام كأنّ اللّه يناديني ويقول لي: يا عبدي إن أردت أن تكون عندي مقرباً مكرماً منعماً فأكثر من قولي: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾[1]. **كرّر ذلك عليّ مرات.**

مبشرة تفيد علماً في القرء: رأيت في المنام النبي صلى اللّه عليه وسلم، فقلت: يا رسول اللّه [٤و] قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾[2] ما أراد اللّه بالقرء هنا الحيض، أما الطهر فإنه من الأضداد، وقد اختلف العلماء فيه، وأنت أعرف بما أنزل إليك، فقال عليه الصلاة والسلام: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء، وكلوا مما رزقكم اللّه، فوقع في نفسي أنه يريد الحيض، فقلت له: فإذاً هو الحيض، فأعاد عليّ: إذا فرغ قرؤها.. مثل الأول، فأعيد عليه، فيُعيد عليّ ثلاث مرات ويبتسم، وكنت أتحقق أنه يريد الحيض.

مبشرة: رأيت النبي صلى اللّه عليه وسلم بين اليقظة والنوم، وبيده ميزان الشمس، فرمى به وقال: بدعة ملعونة صلوا كما شرّع لكم.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

مبشرة تفيد علماً فيمن لفظ بالطلاق ثلاثاً هل ترجع إلى واحدة أو لا؟ رأيت وأنا بمكة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بين باب الجياد وبين باب الحزورة، ومحمد بن مالك الصدفي التلمساني يقرأ عليه كتاب البخاري، فسألت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في الرجل يقول لامرأته أنت طالق ثلاثاً، ولم يكن طلقها هل هي ثلاث كما قال أو ترجع إلى واحدة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: هي ثلاث كما قال، قلت فقد حكم بعض العلماء بأنه: ترجع إلى واحدة، فقال: هؤلاء حكموا بما وصل إليهم وأصابوا، فقلت له: يا رسول اللّه ما أريد في هذه المسألة إلاّ ما تدين به، فقال عليه الصلاة والسلام: هي ثلاث كما قال لا تحل له إلاّ أن تنكح زوجاً غيره، وكان في ذلك المجلس من يردّ عليه قوله، وكان إبليس، فكأني أنظر إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وكأن حبّ الرمان قد فقىء في وجنتيه وقد غضب وصاح صياحاً عظيماً على الرادّ عليه بقوله عليه الصلاة والسلام: في صياحه تستحلون [٤ظ] الفروج، يكرر ذلك مراراً: هي ثلاث كما قال، ثم قرأ القارىء كتب صحيح البخاري، فلما أكمل المجلس أخرج رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يديه واستقبل الركن اليماني وقال: اللّهم أسمعنا خيراً، وأطلعنا خيراً، ورزقنا اللّه العافية وأدامها لنا، وجمع اللّه قلوبنا على التقوى، ووفقنا لما يحبه ويرضاه.

مبشرة: رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في المنام وهو يقول: إنكم تفتنون في قبوركم مثل فتنة الدجال، ثم استقبل القبلة وحسر عن ذراعيه، وفرش سجادة وصلى ركعتين، وقمتُ عن يمينه، وأدركت الركعة الثانية.

مبشرة في الركعتين عقيب الطواف: رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في النوم، وأنا بمكة سنة أربع وستمائة، وهو يقول: يا مالك هذا، ويا ساكن هذا البيت مر من يطوف به أن يصلي عقيب طوافه ركعتين في أي وقت كان، فإن اللّه يخلق من صلاته ملكاً يعظم اللّه ويسبحه.

مبشرة تفيد علماً بالشجرة التي لا شرقية ولا غربية المذكورة في النور: رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في المنام فقلتُ قوله تعالى: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾[1] إلى آخر الآية، ما هذه الشجرة؟ فقال: كنى عن نفسه سبحانه، لذلك نفى عنها الجهات، فإنه لا يتقيد بالجهات، والغرب والشرق كناية عن الفرع والأصل، فهو اللّه خالق المواد وأصلها، ولو لا هو ما كانت مادة، في كلام طويل، وتفصيل واضح، وكان قبل أن يقول لي هذا الكلام

(١) سورة النور، الآية ٣٦.

يقول لي: أنت تعرف ما هي الشجرة، وما كان لي علم بها، فلمّا قال: أنت تعرفها، فكنت أقول له: نعم أعرفها، وأحبّ أن أسمعها من فيك صلى اللّه عليك، وكان يقول ما ذكرته، واستيقظت، فهذا بعض ما رأيته مما جرى على ذكري في هذه الساعة قد ذكرته لسائل الوقت، الحمد [٥و] للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خيرته من خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين.

منهج البيان
لأهل الرضوان

التحقيق

اعتمدت في تحقيق رسالة (منهج البيان لأهل الرضوان) على المخطوطة المرقمة (٣٧٩٥) المحفوظة في دار المخطوطات ببغداد، وهي مجموع في التصوف يقع في (١٠٣ ورقة)[١]، وجاء تسلسل رسالة (منهج البيان لأهل الرضوان) في المجموع الرسالة: ٤، تقع الرسالة في الورقة ٤٩ ظهر فقط، بقياس ١٥ × ١٠ سم، وعدد الأسطر ٢٨ سطراً في كل صفحة، تضمن كل سطر منها ١٢ كلمة تقريباً.

كتبت الرسالة بخط نسخ دارج، على ورق يرقى إلى القرن العاشر الهجري، وخلت الرسالة من اسم الناسخ، لكنه ورد أنها نسخت يوم الجمعة أول يوم في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٨٤ هجرية، دوّنت الرسالة بمداد أسود، بينما دوّن عنوان الرسالة بمداد أحمر في صفحة منفصلة، كذلك الفوارز التي استخدمت كعلامات توقف، وقام الناسخ بتصفيح أوراق الرسالة التي رقّمت ترقيماً حديثاً بمداد أحمر.

(١) تمّ الحديث عن هذه المخطوطة ووصفها في المقدمة التحقيقية لرسالة (كشف الستر) فانظرها هناك.

رساله منهج البيان لأهل الرضوان

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وحسبنا الله ونعم

الحمد لله الموجود المعبود الغني المقصود وصلى الله على سيدنا محمد صاحب المقام المحمود وعلى اله واصحابه اهل العهود

اما بعد من كان على الهمة في سلوك طريق المقربين سميي النهمة في الوصول الى اعالي مقامات الصديقين

فعليه باربعة امور لا بد له منها ولا يرتقي اليها الا بها الاول تركي الدنيا ظاهرا وباطنا بخلو اليد عن

الاملاك كلها والقلب عن الاماني والاقتصار على الضرورة الحالية مما لا بد له لقوام البنية الانسانية من

لقمة تسد الجوعة وخرقة تستر العورة فلا يخلي في ملكه الا ما يتيسر امر العبادة الا بها في الوقت والحال

ولا يحفظ بباله شيء من الاماني والآمال ويترك الاختيار والتدبير الى المالك الحق الحكيم الخبير العلي العظيم الكبير

والمعين على حصول هذه المنقبة والوصول الى هذه المرتبة امران احدهما القناعة بما فتح الرزاق

الكريم من خزائن جوده العميم وقمع الطبع الانساني والجزء الحيواني من تناول حضوضه وغرضه ومقصوده

والثاني قصر الاهل وحصر الحيوة على التنفس الذي هو فيه دون ان يتخيل النفس الثاني الذي يأتيه فانه

اذا واظب على هذين الامرين والزم نفسه على مراعات هذين المعنيين حصل على قرة العين وسعادة

الدارين وهان عليه ترك الدنيا ظاهرا وباطنا بل شمر باطنه من التلوث بها وتنفر طبعه منها ومن الميل

اليها سيما اذا صرف ذكر النفس الذي اعتبره اخرا نفاسه بذكر لا اله الا الله ناظرا في مرآة الى عظمة الحق

سبحانه وفي شرح الآي وحدانيته تعالى كانه يودع قرن هذه الكلمة ولا يترك شيئا من الاداب ولا

يخل بشرط من الشرائط ويكون ملازم التقوى ظاهرا وباطنا بان لا يصدر من بصره ولا سمعه ولا لسانه

ولا يبارح جوارحه واركانه ما يكون سببا لسخط الحق سبحانه لا اله الا هو ويكون دائما بصدد الاحتراس

والاحتراز والاتقاء من الوقوع في شيء من المناهي مع الاستقصاء التام في المآكل والمشارب والملابس

في كل احواله حتى لا يتناول مما فيه شبهة تمام ولا يتصرف فيما لا يتحقق حله البتة فالمعين على هذا

الاتقاء الظاهري والاتقاء الباطني الانفراد والتوحد وترك التزوج والصبر على البلايا والمحن والغربة

والعزلة عن الناس وان لا تحرك نفسه بشيء مما ذمه الله سبحانه وتعالى في كتابه او على لسان رسوله من

الحب والكبر والحقد والحسد وعداوة المسلمين وسائر المذمومات والنقايص عقلا وشرعا وعرفا من

ارذال الدنية الدينية والدنيوية وتخلق صفة البشرية والحيوانية بل يكون حاكم القلب على التخلق

بالخصال الملكية والاخلاق الالهية منتهض السر لاقتباس الانوار والاسرار الذاتية والذاتية معرض

للمواد الفتوحات الرحمانية والمعارف الربانية ولم يزل مصرا على تحصيل الكمالية ومستمرا في طلب الوصول

الى حضرة دار الكرامة والجنان وليكن مقتناعه في مواضع خلقوه هذه الزعافير متبصرا منها نفسه بالسوء

على الدوام غير مركن اياها ولو حلفت الف مرة ان هذه الخصلة الذميمة ليست في واني تركتها

وخلصت بضدها من الفضيلة لا يصدقها في يمينها ويعز بنور بصيرته الثاقبة خشيتها من سمينها

متضرعا الى الحق سبحانه في ان يرزقه علما نافعا وكشفا رافعا وان ينور قلبه بنور معرفته ويهدي

سره لشهود ذاته ويخلق روحه باسمائه وصفاته ويزكي نفسه بافعاله واياته ويرزقه غاية

الدرجات العلية في الحضرت القدسية وان يثبته على الاستقامة الكلية والآداب المرضية

في تحقيق العبودية والقيام لحضرت الربوبية بما يليق لحضرتها العلية والاستمداد من الاوراد

الفكرية والذكرية وليكن طلبه دائما التوفيق والعناية للتحقيق والاستعانة بالله في سلوك

[illegible] صاحب الهمة العلية البلوغ الى هذه الغايات العلوية فان الحق سبحانه هو الذي

[illegible] ما يشاء ويختار لقلة الكسر والاكسير يقلب الاعيان [illegible]

[illegible] بل بسط الى كمال قدرة الفاعل المختار ما في الاسرار والاذ

[illegible] الاكثار قلب الاعيان عن الانسان ولو فتحة الاباد في مرآة

نموذج لأول وآخر رسالة منهج البيان لأهل الرضوان

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاّ باللّه، عليه توكلت وإليه أنيب، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل. الحمد للّه الموجود المعبود، الغني المقصود، وصلى اللّه على سيدنا محمد صاحب المقام المحمود، وعلى آله وأصحابه أهل العقود وسلم أما بعد؛

من كان عَليّ الهمة في سلوك طريق المقرّبين، سمّي النهمة في الوصول إلى مقامات الصديقين، فعليه بأربعة أمور لا بدّ منها، ولا يرتقي إليها إلاّ بها.

الأول: ترك الدنيا ظاهراً وباطناً، بخلو اليد عن الأملاك، والقلب عن الأماني، والاقتصار على الضرورة الحالية، مما لا بدّ له لقوام البنية الإنسانية من لقمة تسدّ جوعه، وخرقة تستر العورة، فلا يخلي في ملكه إلاّ ما [لا] يتيسر أمر العبادة إلاّ به في الوقت والحال، ولا يخطر بباله من الأماني والآمال، ويترك الاختيار والتدبير إلى الملك الحق الحكيم الخبير، العلي العظيم الكبير، والمعين على حصول هذه المنقبة، والوصول إلى هذه المرتبة في طريقين: أحدهما: القناعة بما فتح الرزاق الكريم من خزائن جوده العميم، وقمع الطبع الإنساني، والجزء الحيواني من تناول حضوضه وغرضه ومقصوده.

والثاني: قصر الأمل، وحصر الحياة على النفس الذي هو فيه دون أن يتخيل النفس الثاني الذي يأتيه، فإنه إذا واظب على هذين الأمرين، وألزم نفسه على مراعاة هذين المعنيين حصل على قرة العين، وسعادة الدارين، وهان عليه ترك الدنيا ظاهراً وباطناً، بل يشمئز باطنه من التلوث بها، وينفر طبعه منها، ومن الميل إليها، سيما إذا صرف ذلك النفس الذي اعتبره آخر أنفاسه بذكر لا إله إلاّ اللّه، ناظراً في مدّ (لا) إلى عظمة الحق سبحانه، وفي شدّ (إلاّ) إلى وحدانيته، كأنه يودّع قول هذه الكلمة، ولا يترك شيئاً من الآداب، ولا يخل بشرط من الشرائط، ويكون ملازماً التقوى ظاهراً وباطناً، بأن لا يصدر من بصره وسمعه ولا لسانه، ولا سائر جوارحه وأركانه ما يكون سبباً لسخط الحق سبحانه لا إله إلاّ هو، ويكون دائماً بصدد الاحتراس والاحتراز، والاتقاء من الوقوع في شيء من المناهي مع الاستقصاء التام في المآكل

والمشارب والملابس، بل في كل أحواله، حتى لا يتناول مما فيه شبهة ما، ولا يتصرف فيما لا يتحقق حدّه البتة، والمعين على هذا الاتقاء الظاهري والاتقاء الباطني الانفراد والتوحد وترك التزوج، والصبر على البلايا والمحن، والغربة والعزلة عن الناس، وبأن لا تتحرك نفسه بشيء مما ذمّه اللّه سبحانه وتعالى في كتابه، أو على لسان رسوله من العجب والكِبر والحقد والحسد وعداوة المسلمين، وسائر المذمومات والنقائص عقلاً وشرعاً وعرفاً من الرذائل الدنية، الدينية والدنيوية، وتعلق صفة البشرية والحيوانية، بل يكون ساكن القلب على التخلق بالفضائل الملكية، والأخلاق الإلهية، منتهض السرّ لاقتباس الأنوار والأسرار الذاتية والدينية معرض الفؤاد للسمات الرحمانية، والمعارف الربانية، ولم يزل مصراً على تحصيل الكمال، ومستمراً في طلب الوصول إلى حضرة ذي الجلال والجمال، وليكن مفتشاً عنه في مواقع ظهور هذه الذمائم متبصراً منها نفسه بالسوء على الدوام غير مبرىء إياها، ولو حلفت ألف ألف مرة: إن هذه الخصلة الذميمة ليست فيّ، وإني تركتها، وتحليت بضدها من الفضيلة، لا يصدقها في يمينها، ويميز بنور بصيرته النافذة غثها من سمينها، متضرعاً إلى الحق سبحانه في أن يرزقه علماً نافعاً، وكشفاً رافعاً، وأن ينوّر قلبه بنور معرفته، ويهدي سرّه بشهود ذاته، ويخلّق روحه بأسمائه وصفاته، ويزكّي نفسه بأفعاله وآياته، وأن يرزقه غاية الدرجات العلّية في الحضرة القدسية، وأن يثبته على الاستقامة الكلية، والآداب المرضية، وتحقيق العبودية، والقيام لحضرة الربوبية بما يليق بحضرتها العليّة، والاستمداد من الأرواح المقدسة الزكية، وليكن طلبه دائماً التوفيق، والهداية للتحقيق، والاستعانة باللّه في سلوك الطريق، ولا يستصعبنّ صاحب الهمة العليّة البلوغ إلى هذه الغايات العلوية، فإن الحق سبحانه هو الفياض الغدير، يحدث من أمره ما يشاء، ويجبر القلب الكسير، والإكسير يقلب الأعيان، واللّه هو الحنان المنان، فلا يلاحظ السالك حاله واستعداده، وبعد الطريق، وقلة راحلته وزاده[1]، بل ينظر إلى كمال قدره الفاعل المختار، مانح الأسرار والأنوار؛ فإن التجليات الذاتية الخاصة الإكسير، كما يقلب الأعيان يقلب عين الإنسان، ويرقيه أبد الآباد في مراتب الوصول والعرفان.

تمت رسالة منهج البيان، واللّه هو المتفضل بالكرم والجود والإحسان، والطول والامتنان.

(١) (وبعد... وزاده): حاشية.

مصادر ومراجع المقدمة والتحقيق

١) ابن عربي، حياته وآثاره، آسين بلاثيوس، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٦٥.

٢) الآثار المتناقضة للتصوف في الإسلام، عمر فروخ، مجلة الباحث، العدد العاشر/١٩٨٠، باريس.

٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، أحمد البابي الحلبي، القاهرة، ب.ت.

٤) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٩.

٥) إنشاء الدوائر ـ ويليه عقلة المستوفز والتدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، ابن عربي، تحقيق: نيبرج، طبع في ليدن، مطبعة أبريل، ١٩١٩.

٦) البداية والنهاية، ابن كثير، مطبعة المعارف، بيروت، ط٢، ١٩٧٧.

٧) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار ود. رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦ ـ ١٩٧٥.

٨) ترجمان الأشواق، ابن عربي، دار صادر، بيروت ١٩٦١.

٩) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، د. زكي مبارك، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٤.

١٠) التكملة لوفيات النقلة، المنذري، تحقيق وتعليق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ط٢، بيروت ١٩٨١.

١١) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مطبعة السنة المحمدية، مصر ١٩٥٣.

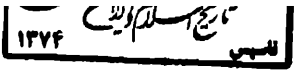

١٢) ثلاثة حكماء مسلمين، د. سيد حسين نصر، ترجمة: صلاح الصاوي، بيروت دار النهار، ١٩٧١.

١٣) جامع كرامات الأولياء، النبهاني، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٤) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٣.

١٥) ديوان ابن عربي، دار الطباعة، القاهرة، ١٨٥٥م.

١٦) ديوان الحلاج، صنعه وأصلحه د. كامل مصطفى الشبي، مكتبة النهضة بغداد ط١، ١٩٧٤.

١٧) رسائل ابن عربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وهي مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٤٨، وتشمل تسعاً وعشرين رسالة.

١٨) رسالة القدس، ابن عربي، تحقيق: محمود محمود غراب مؤسسة العلم للطباعة والنشر، دمشق ١٩٦٤.

١٩) الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٦.

٢٠) سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٣.

٢١) سنن أبي داود، تعليق: أحمد سعيد علي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٥٢.

٢٢) سنن الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٣٧.

٢٣) سنن الدارمي، مطبعة الاعتدال، دمشق ١٣٤٩هـ.

٢٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق بشار: د. عواد معروف ود. محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١، ١٩٨٥.

٢٥) سير الأولياء في القرن السابع الهجري، الحسين بن جمال الدين الأنصاري، تحقيق: مأمون محمود ياسين وعفت وصال حمزة، ط١، بيروت.

٢٦) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.

٢٧) شرح الجامع الصغير (فيض القدير)، المناوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٢.

٢٨) شرح فصوص الحِكَم (خصوص الكلم)، القصيري.

٢٩) شرح مبتدأ الطوفان، رسائل ابن عربي، دراسة وتحقيق: قاسم محمد عباس وحسين محمد عجيل، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٩٩٧.

٣٠) صحيح البخاري، القاهرة، محمد علي صبيح وأولاده، ب.ت.

٣١) صحيح مسلم، القاهرة، محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٦٠.

٣٢) الصورة والغيب، عبد الوهاب المؤدب، مجلة الكرمل، العدد: ١٣/١٩٨٤، قبرص.

٣٣) طبقات الصوفية، السلمي، تحقيق: نور الدين شريبة، جماعة الأزهر للنشر والتأليف، القاهرة ١٩٥٣.

٣٤) الطبقات الكبرى، الشعراني، القاهرة، محمد علي صبيح وأولاده، ب.ت.

٣٥) طبقات المفسّرين، الداوودي، تحقيق: علي محمد عمر، مركز تحقيق التراث بدار الكتب بمصر ب.ت.

٣٦) الطواسين، الحلاج، تحقيق: لويس ماسينيون، باريس، بول كونتر ١٩٤١.

٣٧) العبادلة، ابن عربي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط١، مكتبة القاهرة ١٩٧٩.

٣٨) العبر في خبر من غبر، الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٦.

٣٩) عنوان الدراية، الغبريني، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٠.

٤٠) الفتوحات المكية، ابن عربي، دار صادر، بيروت ب.ت. أربعة مجلدات، وهي مصورة عن طبعة دار الكتب العربية الكبرى، مصر ١٣٢٩هـ.

٤١) فصوص الحِكَم، ابن عربي، نشرة د. أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٤٦.

٤٢) فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي، د. نصر حامد أبو زيد، دار الوحدة ـ دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣.

٤٣) فهرست كتب محيي الدين بن عربي، تحقيق: أبو العلا عفيفي، مجلة كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية، مجلد ٨ سنة ١٩٥٤.

٤٤) فهرست كتب محيي الدين بن عربي، تحقيق: كوركيس عواد، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مجلد ٢٩ ـ ٣٠ سنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥.

٤٥) الكتاب المقدس، دار المشرق، بيروت ١٩٨٣.

٤٦) كشف الخفاء ومزيل الالباس، إسماعيل بن محمد العجلوني، دار إحياء التراث العربي ط٢، بيروت ١٣٥١هـ.

٤٧) كشف الظنون، حاجي خليفة، دار الفكر، بيروت ١٩٨٢.

٤٨) كنه ما لا بد للمريد منه، ابن عربي، طُبع مع كتاب الأخلاق المنسوب لابن عربي، المكتبة المحمودية، مصر ب.ت.

٤٩) لسان العرب، ابن منظور، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، القاهرة ب.ت.

٥٠) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ط٢، ١٩٧١.

٥١) مسند أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ب.ت.

٥٢) مشكاة الأنوار فيما روي عن اللّه من أخبار، ابن عربي، المطبعة العلمية، حلب ١٩٢٧.

٥٣) المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، د. سعاد الحكيم، دار ندرة، بيروت ١٩٨٣.

٥٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الشعب، القاهرة، ب.ت.

٥٥) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتّبه ونظّمه: لفيف من المستشرقين، ونشره د. أ.ي. ونسنك و. د ي.ب. منسج ـ مطبعة ابريل، مدينة ليدن، سنة ١٩٤٣.

٥٦) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.

٥٧) المعشرات، ابن عربي، طبع مصر، ب.ت.

٥٨) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة، السخاوي، صحّحه وعلّق حواشيه: عبد اللّه محمد الصديق، قدّمه وترجم للمؤلف: عبد الوهاب عبد اللّطيف، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٦.

٥٩) مناقب ابن عربي، القاري البغدادي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مؤسسة التراث العربي، بيروت ١٩٥٩.

٦٠) ميزان الاعتدال، الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.

٦١) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ب.ت.

٦٢) نفح الطيب، المقري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ب.ت.

٦٣) الوافي بالوفيات، الصفدي، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٥٩.

٦٤) Corbin, Henery: Creative Imagination in the sufism of Ibn Arabi, trans. By Ralph Manhein, Bolling Series xci, Prinston. University Press, 1969.

رسائل ابن عربي

كتاب التنبيهات وكشف الستر
وتبصرة الطالب ورسائل أخرى

كان اختيار هذه الرسائل التي أتيح لنا العثور عليها ودراستها ،اختياراًمستنداً إلى دوافع عديدة أهمها : إن الموضوعات التي يتناولها ابن عربي في هذه الرسائل تمثل امتداداً حقيقياً لمشروعه الوجودي والمعرفي ، فضلاً عن أنها تقدم للنشر للمرة الأولى ، وهي أيضاً تتمحور حول رؤية الوجود ، رؤية ذات طابع أحادي يتركز حول وجود الله ، لتثير بشكل واسع إشكالية الذات الإلهية والعالم من جهة ،والعالم والإنسان من جهة أخرى ، وهي لا تنفصل بأي حال من الأحوال عن الموقف الأول الذي أعلنه ابن عربي عن مشروعه الأساسي فصوص الحكم تحديداً ، عندما بدأ اندفاعته الحادة التي شكلت خروجه الجديد على الفكرة الإسلامية السائدة ، مختصراً بذلك صيحات الصوفية قبله وشطحاتهم العاطفية إلى منظور جديد ، مستمداً رؤاه ومواقفه من المدوّنة الشرعية والفلسفية ، ومن التراث الصوفي السابق عليه ، لذا جاءت أول معارضة لهذا المنظور الجديد من قبل الفقهاء والعلماء المتزمتين ، الذين أكدوا طرد ابن عربي من الحضيرة الإسلامية ، بالاستناد إلى الآراء التي أعلنها دون تردد في كتابه فصوص الحكم .